الثورات العراقية ضد الاستعمار البريطاني (١٩١٨م - ١٩٢٠م)

م. م رقية حيدر طاهر القاضي[١]

الملخّص

إنّ مفهوم الثورة هو تغييرٌ جذريّ سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، والقائمين بها مصمّمون على التغيير الشامل ورسم هيكل تنظيميّ سياسيّ جديدٍ بوعي وإرادة، ومثل هذه الحركات الثوريّة حدثت في العراق وهي (ثورة العشرين) التي عبّرت عن وحدة وتلاحم أبناء العراق بأثنوغرافيته المجتمعيّة، فلم تكن صنيعة حزبٍ أو كتلةٍ معينةٍ؛ وإنما استنهضتها الروح الوطنية ورفض الظلم والاستبداد الذي مارسه الاحتلال البريطاني.

تتبعت الدراسة الثورة العراقية على الاستعمار البريطاني وعناصرها وجذورها التاريخية والوطنية والقومية، كذلك تناولت أسباب قيام الثورة وعوامل قيامها ومواطن نجاحها، وغير ذلك، بدراسة موضوعية مجردة عن الأهواء والأغراض.

وممّا توصّل إليه البحث وجود دورٌ كبيرٌ للثوّار والمقاومة للاستعمار البريطاني من قبل رؤساء العشائر والأحزاب والحركات الشبابيّة. وانّ السمة الغالبة على الأفكار والخطط والمشاريع للاحتلال البريطاني في العراق هي السعي لتحقيق المصلحة البريطانية قبل كلّ شيء، فجاءت القوانين المدنية والعسكرية والسياسية والقضائية وشكل الحكم ونظامه وفقا لذلك.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، الثورة، الثوار، الاستعمار البريطاني، الثورة العراقية الكبرى.

---

١. كليّة العلوم السياسيّة / جامعة الكوفة – العراق.

المبحث الأول:
التعريف بالثورة ومقدّماتها وأسبابها وأهميتها في تاريخ العراق المعاصر

المطلب الأول: مقدّمات الثورة وأسبابها

المقصد الأول: مقدمات الثورة:

إنّ مفهوم الثورة هو تغييرٌ جذريّ سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ومن الثورات الكبيرة التي تركت أثرًا في سفر التأريخ البشري، ومن الحركات الثورية التي حدثت في العراق هي (ثورة العشرين)، إذ إنّها الثورة التي عبّرت عن وحدة وتلاحم أطياف الشعب العراقي بأثنوغرافيته المجتمعية، فلم تكن صنيعة حزبٍ أو كتلةٍ أو طائفة، وحتى لم تكن لها جغرافية محددة مقفلة، بل كانت مساحتها العراق، والعراق كلّه، وهذا الحراك الوطني الشامل هو التصميم على الخلاص والتغيير بالاعتراف بدولة اسمها العراق.

وهنا تبرز أهمية الثورة في إفهام الشعب بنوايا بريطانيا الخبيثة في (تهنيد العراق) وإلحاقه بدول التاج البريطاني، إذ هي شهادةٌ تاريخيةٌ للمشاركة الشاملة للعراقيين وهو البعد الوطني للثورة، كثورة مدينة النجف الأشرف ومعركة الرارنجية، وحصار الكوت، ومعارك العارضيات والهاشميات، ومعارك الكفل والحلة، ومعارك عشيرة زوبع وقطعهم سكك الحديد بين بغداد وسامراء، ومعارك العشائر الكردية؛ لذا لم يكن الكرد في معزل عن ثورة العشرين، فقد تحركت القبائل والعشائر الكردية تضامنًا مع العشائر العراقية الأخرى[1]، وهبّ ثوار كردستان في السليمانية وهولير (أربيل) وعقرة وسنجار وخانقين وكفري،

١. آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقية في ثورة العشرين، ص ١٤٥-١٤٦.

وفي كفري بالذات وقعت معارك طاحنة بقيادة القائد الكردي إبراهيم خان نهاية ١٩٢٠م، واستولوا على مدينة كفري، وقتل قائدهم (كوردن).

ومعارك اشتركت فيها عشائر من الكرد الفيليين مع إخوانهم من العشائر العربية في ديالى، ومندلي، وخانقين، وبدره، والحي، والنعمانية، والصويرة، ومعارك سنجار وتلعفر بمشاركة أتراكها ومسيحييها، وكانت الأهازيج والهوسات هي تقنيات الحرب الإعلامية استعملها الثوّار في ثورة العشرين محفّزًا ومصدرًا إعلاميًّا لبطولاتهم، وأرشيفًا احتفظت به الذاكرة العراقيّة لشحذ الهمم وتفاخر الأحفاد بها[١].

وجاء قيام الانتفاضة العراقية جرّاء عدم إيفاء دول الحلفاء بالوعود المقطوعة للعرب بنيل الاستقلال كدولةٍ عربيةٍ واحدةٍ عن دولة الخلافة العثمانية، بالإضافة إلى حدوث التضخّم النقدي وما أدّى من بعده إلى ارتفاع في الأسعار في العراق، ونقص العدالة والمساواة التي قام الإنجليز بتطبيقها أثناء حكمهم للعراق، ورعونة بعض الحكّام السياسيين ومعاونيهم من الإنجليز الذين تولّوا مناصب الحكم فى ألوية العراق وأقضيته، وتم إعلان الثورة رسميًا في يوم ١١ يوليو اجتمع

١. (يا لترعد بالجو هز غيري) هزج بها بطل معارك الشامية الشيخ (مرزوك العواد من عشيرة العوايد)، حين كانت الطائرات البريطانية تقصف منطقته وعشيرته، وألقت مناشير تدعو للاستسلام، ومنها (الطوب أحسن لو مكواري) أحد الفلاحين في معركة الرارنجية تسلل إلى مكان الطوب وهو المدفع الذي كان يقصف الأهالي، وقتل صاحبهُ وهو يهزج، ومنها (هزّيت أُو لوليت الهذا)، هزجت بها الشاعره (فطيمة) من عشيرة الظوالم حين سألت أخاها عن ابنها فقال لها: (لا جن هزيتي أُو لوليتي)، ففهمت قصده بأنّ ابنها قتل وضاع تعبها، فأجابت بهذه الأهزوجة مفتخرة، وتعني هذا اليوم. ومنها (كل جابت خابت بس آنه)، التي هزجت بها إحدى النساء العراقيات عندما شاهدت ابنها مرميًا على الأرض. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ١/ ٤٣.

رؤساء العشائر في المشخاب في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، وقرروا البدء بإعلان الثورة وفي اليوم التالي تم إعلان الثورة ورفع رايتها وتقدمت جموع العشائر نحو منطقة (أبو صخير) لمحاصرتها.

فكانت ثورة العشرين الكبرى أول حدثٍ في تاريخ العراق يشترك فيه العراقيّون بمختلف طبقاتهم وفئاتهم، فقد شوهدت فيها العمامة إلى جانب الطربوش، والكشيدة إلى جانب اللفة القلعية، والعقال إلى جانب الكلاو، وكلهّم يهتفون (يحيا الوطن)[١]، ولم يشهد العراق خلال حكم العثمانيين، أية معركةٍ اشترك فيها أهل المدن مع العشائر، فقد كان هناك نفور بينهما اختفى أثناء ثورة العشرين، ولم يكن للمعارك السابقة أية صبغةٍ دينيّةٍ إلّا نادرًا، كما لم يحدث أن أفتى العلماء بتأييدها، أمّا ثورة العشرين فقد أفتى العلماء بتأييدها وعدّوها جهادًا في سبيل الله، إذ إنّ مفاهيم الوطنية والاستقلال لم تكن معروفة لدى العراقيين، ومن الممكن عدّ ثورة العشرين المدرسة الشعبية الأولى التي علّمت العراقيين تلك المفاهيم، ومناطقيًا لم يحدث أن امتدّت معركة سابقًا في أنحاء العراق بمثل ذلك النطاق الذي امتدت بها ثورة العشرين[٢].

وذكر السيّد عبد الرزاق الحسني في كتابه الثورة العراقية الكبرى، مقدماتٍ سبق اندلاع الثورة تتعلّق بالوضع الاقتصادي وسوء إدارة الاحتلال المتمثلة باحتياجات الجيش المحلّية، التي تضمّنت السخرة وجمع الطعام وإشغال العقارات ببدلاتٍ ضئيلةٍ، وإذلال الناس وسلب ثروات البلاد، بينما كان العامل الأبرز والأهم هو موقف علماء الدين، وإنّ هناك أوضاعًا اجتمعت مع بعضها

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢١٠- ٢١٨.

٢. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٥/ ١١٦.

خلال تلك الفترة بين ظروف الحرب العامة، وعنف الموظفين البريطانيين ضد رجال القبائل التي بعثت فيهم روح التكتل وتناسي الضغائن والعصبيات القبلية، لتحلّ محلها العصبية القبلية العامة، ومن جانب آخر تأثّرت المدن بحركة الأحزاب السياسية والحركة الثقافية الكبيرة والحس الوطني الذي بدأ بالنمو حتى قبل الإطاحة بالحكم العثماني[١]، كذلك سلوك البريطانيين كما يصفه علي الوردي وصل إلى حد الرعونة في حالات كثيرة، ومن قبل بعض الحكام بالإضافة لقسوتهم وعدم معرفتهم بعادات وتقاليد العراقيين، أبرزهم الميجر ديلي الذي كان يحكم الديوانية، والكولونيل ليجمن الذي كان يحكم الموصل، ثم تحوّل إلى الرمادي، كما أنّ بريطانيا عملت في العراق وفق سياسة (فرّقْ تَسُدْ)، فكانت تأتي إلى العشيرة وتختار شخصًا منافسًا لرئيسها وتمنحه الإقطاعيّات والأموال وعددًا من الشبانة (الشرطة) لحمايته، بالتالي حاولت شقّ العشيرة إلى نصفين، فاستفادت بعض العشائر، وأخرى تضررت[٢]، أما العامة من الطبقات المسحوقة والكادحة فقد عانت من جرّاء سياسات الاحتلال ورفضته تمامًا، ساعدها على ذلك تأييد عددٍ كبيرٍ من رجال الدين، وبدأت شرارة الثورة من الرميثة نتيجة لعدة وقائع هي أحداث دير الزور، وواقعة تلعفر، وأحداث رمضان في بغداد، ونفي نجل الميرزا الشيخ الشيرازي، انتهت بقمع البريطانيين لأهل هذه المناطق بوحشية، ونفي عددٍ كبيرٍ من قادة الاحتجاجات، قبلها بخمسة أيام سمع الميجر ديلي أنّ عشيرة الظوالم رفعت راياتها مظهرة أنّها في حربٍ مع الحكومة، أرسل أبو الجون الخبر إلى ابن عمّه غثيث الحرجان الذي سارع مع عشرة رجالٍ مسلّحين

١. م، ن، ص ٤٥- ٥٢.

٢. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص٥٣.

لتحريره، لتبدأ أحداث ثورة العشرين بسلسلةٍ من المعارك بعد قيامه باقتلاع أخشاب سكة الحديد، واستمرت عشائر الرميثة تقاتل البريطانيين منفردةً وحدها زهاء أسبوعين، بعدها بدأت رايات الثورة ترفع في مناطق عديدةٍ من الفرات الأوسط[١].

كما كانت هناك بعض الأسباب والعوامل والأمور التي مهّدت وهيّأت لانطلاق الثورة، فكانت أسباب وظروف محليّة ودوليّة متعددة الجوانب، إذ خلقَ البريطانيون بسياساتهم القمعيّة تجاه الشعب العراقي الجو الملائم لاندلاع الثورة منذ قيامهم بقمع انتفاضة النجف (١٩١٨م)، ومن ثم تزوير رأي الشعب في الاستفتاء، فضلًا عن إلقاء القبض مرتين على الوطنيين من أعضاء الجمعية الوطنيّة الإسلامية، ونفيهم الى خارج البلد، أدت كل هذه الأعمال وغيرها الى زيادة الاحتقان الشعبي داخل العراق، ومن ثم انفجاره بثورة عارمة شملت مختلف مناطق العراق من الشمال إلى الجنوب. ويمكن إيجاز الأمور التي مهّدت لانطلاق الثورة الكبرى بالآتي:

١. دور المرجعيّة الدينيّة وعلماء الدين في استنهاض الناس للمطالبة بحقوقهم عن طريق القيام بثورةٍ ضد الاحتلال البريطاني أسوةً بشعوب المنطقة، إذ إنّ من أهمّ الأسباب والشواهد على نجاح الثورة هو دعم ودور المرجعية الدينية الذي كان الداعم والمؤثر الأول والأكبر والأهم في انطلاق الشرارة الأولى للثورة؛ إذ عد شيوخ العشائر والثوار من يعمل مع بريطانيا كافرًا، وتضامنوا مع فتاوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، منطلقين من تلك

١. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ١/ ٤٣.

الهتافات نحو إشعال سراج الثورة التي خلّدها التأريخ والى اليوم، كذلك كان انطلاق المظاهرات السلميّة بدعمٍ وتوجيهٍ وإرشادٍ من المرجعية الدينية إذ كان لها دورٌ كبيرٌ في التأجيج للثورة، ومن أهم الأسباب لقيام الثورة واندلاع لهيبها هو موقف رجال الدين، ولاسيّما المجتهدين من علماء الشيعة الإماميّة[١].

٢. الضرائب الباهظة التي فرضتها الإدارة البريطانيّة على سكّان العراق، والتي لم تكن مألوفةً خلال العهد العثماني، هذا أدّى الى تدهور الأوضاع الاقتصاديّة وارتفاع الأسعار.

٣. تغيير الوضع الاجتماعي السائد في العراق قبل الاحتلال عن طريق استمالة شيوخ العشائر ودعمها بالمال والسلاح وبكلّ ما يلزمها لكي يكون الشيخ هو المسؤول أمامهم عن الأمن والنظام في منطقته، ممّا أثار عامة الناس على تلك الإجراءات الجديدة.

٤. نكث الاحتلال البريطاني بوعوده باستقلال العراق بعد تحريره من العثمانيين، وتسلطه على مقدرات العراق، واستعمال أسلوب القسوة ضد السكان، وإجبار المواطنين على العمل في السخرة، وإصرار الحكّام البريطانيين على إخضاع العراق إلى الإدارة البريطانيّة المباشرة.

٥. تنامي الحسّ الوطني لكثيرٍ من العراقيين في مدن العراق المهمّة مثل النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وبغداد والكاظميّة، وقيام مجموعة من الزعماء المحليين بالتصدّي لقضية العراق ومطالباتهم بالاستقلال[٢].

---

١. الطائي، صالح عباس ناصر، عبد الواحد ينظر: الدراجي، عبد الرازق عبد، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنيّة في العراق ١٩٠٨- ١٩٤٥، ص٣٨.

٢. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائر ي ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق

٦. التضييق على الحريّات العامة في العراق، وتحجيم دور الموجهين من رجال الدين، والوعاظ، والخطباء، والشعراء، والكتاب والمعلمين وغيرهم، ولا سيّما بعد فشل الجهود السلميّة في إقناع الإدارة البريطانيّة بالاستجابة إلى مطالب الشعب العراقي، وبدأت بتصعيد سياستها وممارساتها ضدّ المعارضين والناشطين، ففي(٢١ نيسان ١٩٢٠م) ألقى الميجر بولي القبض على الشيخ محمد رضا نجل الشيخ الشيرازي وعدد من شيوخ ووجهاء العراق، ثم نفيهم إلى جزيرة هنجام[١] في الخليج العربي، إلّا أنّ تهديد الشيخ لبريطانيا بإعلان الجهاد عليهم جعلهم يعيدونهم مرة أخرى للعراق.

٧. إنّ أخبار الثورة التي قام بها الأحرار في مصر في(آذار١٩١٩م)، في وجه الاحتلال البريطاني، ألهبت الحماسة في نفوس العراقيين، فضلًا عن ذلك قيام الحكومة الفيصلية في الشام قبيل انتهاء الحرب العالميّة الأولى، وانخراط معظم الضباط العراقيين فيها، وتمتعهم بالمراكز المهمة في دواوينها، وسعي (حزب العهد العراقي) في دمشق ليكون للعراق حكومة عربيّة[٢].

ويرى السيّد عبد الرازق الحسنيّ «أنّ تلك العوامل أثارت العراق سياسيًّا ولا سيّما بعد أنْ ظهرت نيّات بريطانيا نحو مستقبل البلاد، فتحرّكت الجماهير العراقيّة بكافة طبقاتها وهيئاتها، وممّا دفع هذه الجماهير بحركتها السياسيّة سوء الإدارة المحتلّة بأعمالها فدفعت بالعراقيين نحو الثورة، وكانت بيانات الحملة

١٩١٨ –١٩٢٠، رسالة ماجستير، ص٨١.

١. جزيرة هنجام: جزيرة صخرية في الخليج العربي، لا تبعد كثيرا عن المضايق، أما حالتها الجوية فحرارتها مرتفعة وتزداد فيها نسبة الرطوبة، وتكثر فيها الحشرات، فيليب ويلارد أيرلاند، العراق – دراسة في تطوره السياسي، ص٢٠٥.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٨٦.

العسكريّة البريطانيّة تصور للعراقيين بأنّ بريطانيا احتلّت بلدهم لتخلّصهم من الاحتلال العثماني، إذ نصّ أحد تلك البيانات على الآتي: «بخصوص محافظتها على المراقد المقدّسة على أن يمرّ الحُجّاج أو الزوّار الهنود القادمون من الهند وألّا يعترضهم أحد في طريقهم..»[١].

ويلاحظ أنّ تلك البيانات كان المقصود منها زعزعة الوحدة الإسلامية، وإثارة النفرة بين العراقيين، وفي يوم (١٤ شباط ١٩١٥م)، أذاع السير بيرسيكوكس بلاغًا خطيًّا، وهذا نصه: «إنّ الحكومة البريطانية قد اضطرت ضدّ رغبتها إلى محاربة تركية بسبب الأعمال العدوانيّة التي قامت بها الحكومة التركية، أمّا العرب فإنّ الحكومة البريطانية ليست لها رغبة في أن تعاملهم كأعداء لها، طالما ظلّوا هم أنفسهم أصدقاء ومحايدين، بل إنّ الحكومة البريطانية على العكس ترغب في تحرير العرب من ظلم الترك، وتيسير التقدم لهم، وزيادة رفاههم وصناعتهم». وقد أدّت احتياجات الجيش البريطاني المحلية إلى إصدار عددٍ كبيرٍ من البيانات والإعلانات والأوامر المعقّدة، هيمنت على العلاقات بين الجيش والآهلين، فكانت شديدة الوطأة صعبة التنفيذ.

يشير علي الوردي في كتابهِ (لمحات اجتماعيّة)، إلى أسباب اندلاع ثورة العشرين، بقولهِ: «أصاب البلاد تضخّم نقدي أيام الاحتلال البريطاني، فارتفعت أسعار القمح والرز؛ فولّد مجاعةً، وبالمقابل زادت الضرائب إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه أيام العثمانيين، واتّبع الإنجليز سياسة تقريب شيوخ عشائر وإهمال آخرين؛ فثارت الضغينة بينهم، وامتعضوا من سياسة المُحتل البريطاني، كما أنَّ السياسة البريطانية التي تتوخَّى العدالة والمُساواة في الحكم

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص ٣٣- ٤٠.

القضائي، دفعت الفلاَّحين إلى أن لا ينظروا إلى شيوخهم كما كانوا في الماضي؛ ولهذا زاد كُره الملاَّكين للسياسة البريطانية، وهناك أخيرًا رعونة بعض الحكَّام السياسيين البريطانيين ومعاونيهم وقلَّة خبرتهم، ومنهم ليجمان في الموصل، ومن ثمَّ الرمادي، والنقيب ديلي في الديوانية، حيث اتَّسمت سياستهما بالتعسُّف والاستبداد والفظاظة»[١].

وبذلك تعدّ ثورة العشرين العراقية الخالدة ثورةً تاريخيةً ضدّ الظلم وضدّ الاحتلال البريطاني الذي أراد بأرض العراق وشعبه فسادًا، ولقد بدأت الثورة بادئ الأمر، بتظاهراتٍ سلميّةٍ ضد الاحتلال البريطاني وللمطالبة بالاستقلال، وسرعان ما تحوّلت التظاهرات السلميّة إلى ثورةٍ مسلّحة، نتيجة ممارسات الاحتلال القمعيّة، إذ حاول الاحتلال البريطاني طمس حضارة العراق بجعله تحت الحكم المباشر ثم الانتداب ففي ٢٥نيسان ١٩٢٠م، أعلنت مقررات مؤتمر سان ريمو والتي تضمنت إعلان الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والفرنسي على سوريا ولبنان، لقد كان القرار صدمةً قويةً للأوساط الشعبيّة والدينيّة العراقيّة، وكانت قد سبقته تحركاتٌ سياسيّةٌ فجّرها الاستياء من سوء معاملة الإدارة البريطانيّة للعراقيين عمومًا، وكانت المرجعيّة الدينيّة بزعامة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي ﷺ تشرف على الاتصالات مع الأطراف الداخليّة والخارجيّة للمطالبة بحقوق العراقيين[٢]، وجرى عقد العديد من الاجتماعات في المدن العراقيّة الكبرى لاسيّما المقدسة في كربلاء والنجف حضرها عددٌ من العلماء ورؤساء العشائر حضره الشيخ محمد رضا الشيرازي

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص ٤٥.
٢. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢١٠- ٢١٨.

نجل المرجع الشيرازي، طرحت في تلك الاجتماعات أفكار مختلفة، وكان أقواها فكرة الثورة ضد الاحتلال البريطاني، أجابوا الثوار الشيخ الشيرازي بأنّه إنْ كان يخشى الفوضى، ويعدّ حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها، بأنهم قادرون على حفظ الأمن والنظام، وأنّ الثورة لا بدّ منها وسوف يبذلون ما في وسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم، فقال لهم: « إذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم[١] »، وبدأت التحركات السياسيّة بدعوة الناس للتظاهر سلميًّا للمطالبة بالحقوق المشروعة، فأصدر الشيخ الشيرازي ﷺ بيانًا يدعوهم فيه للتظاهر السلمي مع المحافظة على الأمن، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات، مع المحافظة على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق[٢]، ولم ينسَ الشيخ الشيرازي أنْ يوصي بغير المسلمين فقال في رسالته: «وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدًا منهم بسوء أبدًا، وفقكم الله لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٣].

المقصد الثاني: أهميّة الثورة العراقية الكبرى في تاريخ العراق المعاصر وآثارها

انطلقت الثورة من ظروفٍ اجتماعيّةٍ واقتصاديّةٍ عسيرة، فهي تُعد أوّل ثورةٍ في تاريخ العراق المعاصر وشكلت منعطفًا تاريخيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا للشعب

---

١. م، ن، ص٢١٩.

٢. حمد جاسم محمد، المرجعيّة الدينيّة والثورات في العراق، ثورة العشرين نموذجًا، مركز الفرات للتنميّة والدارسات الإستراتيجية: www.fcdrs.com؛ شبكة النبأ المعلوماتية على الرابط: https:// annabaa.org).

٣. التميمي حميد أحمد حمدان والركابي عكاب يوسف، السيد علوان الياسري الزعامة العشائريّة والعمل الوطني دارسة في سيرته ومواقفه الوطنيّة في تاريخ العراق المعاصر١٨٧٥-١٩٥١، ص٣٦.

العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقيّة الحديثة[١]، وهذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخضت عنها والتي كان لها أثرٌ كبيرٌ على مستقبل العراق السياسي الحديث، وتنبع أهميّتها من الآتي[٢]:

١. إنّها أول ثورةٍ وطنيّةٍ ضد المحتل خاضها الشعب العراقي بكلّ طوائفه، وهي تعدّ مفتاح وحدة العراق من الريف الى المدينة، فضلًا عن أنّها أول ثورةٍ في الشرق الأوسط صدمت الاحتلال البريطاني، وكانت مفتاح إعلان العراق دولةً مستقلةً تحت حكم النظام الملكي، بعد سنواتٍ من السيطرة الأجنبيّة عليه.

٢. جعلت هذه الثورة بريطانيا تعيد النظر في سياستها التي كانت تعتمد على القوة في السيطرة على الشعوب، تلك السياسة التي كانت أحد أسباب قيام ثورة العشرين في العراق، فقد رأت الحكومة البريطانيّة أنّ سياسة القمع والشدة لا يمكن أنْ تؤدّي إلى نتيجةٍ حاسمةٍ في العراق، والثورة برهنت على أنّ شعبًا مثل الشعب العراقي لن يرضخ للسيطرة الأجنبيّة ممّا قاد إلى قيام بريطانيا بتغيير مندوبها السامي في العراق تحت وطأة الثورة.

٣. أفشلت الثورة كلّ خطط الاحتلال التي كانت ترمي إلى جلب أعدادٍ كبيرةٍ من شعوب جنوب شرق آسيا وإسكانهم العراق، من أجل استمرار السيطرة عليه لأطول مدةٍ وربطه في فلك بريطانيا، وكان للثورة دورٌ مهمٌّ في تأسيس

---

١. بحر العلوم، محمد صادق، دور النجف في الثورة العراقيّة الكبرى عام ١٩٢٠م والانتفاضات الوطنيّة الأخرى حليم أحمد، موجز تاريخ العراق الحديث (١٩٢١-١٩٥٨)، ص ٦٢.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٨٦.

الدولة العراقيّة، إذ تقول المس (جيرترويد بيل)[١] في أوراقها بهذا الخصوص: «لم يكن يدور بخلد أحد ولا حكومة صاحبة الجلالة، أنْ يمنح العرب مثل الحرية التي سنمنحهم إيّاها الآن كنتيجة للثورة»[٢].

٤. إنّها الثورة التي وحّدت الشعب العراقي كافة تحت قيادةٍ شعبيّةٍ موحدة، وتحت إشراف المرجعيّة الدينيّة بقيادة المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي الذي أعطى فتواه بالإذن الشرعي بالجهاد وإعلان الثورة[٣]، إذ إنّ الدور الذي خاضته المرجعية الدينيّة في بداية القرن العشرين واضحًا، وقد أيّد الشيخ محمد تقي الشيرازي (قد) الحركة الدستوريّة في إيران عام ١٩٠٦م، عندما بارك هو ومجموعة من علماء الدين في العراق بفتوى أيّدوا فيها الدستور والمجلس الشعبي الإيراني المنتخب، وبذلك فإنّ الوعي السياسي الجديد في العراق أخذ يتجسّد عبر مواقف سياسيّة جريئة، وأصبحت محاربة الاستبداد مبدأً متكاملًا لدى علماء الدين في الحوزة العلميّة في العراق.

٥. ممّا لا يخفى أنّ ثورة عام ١٩٢٠ من أهمّ الثورات ضدّ القوات البريطانيّة في العراق، وكان وراء اندلاعها أسباب متعددة، من أهمّها سوء الإدارة البريطانية وتعسّفها في إدارة البلاد، فضلًا عن الضرائب الثقيلة التي أرهقت كاهل الشعب العراقي، وسبق قيام ثورة العشرين اندلاع ثورة النجف الأشرف عام ١٩١٨م.

---

١. المس بيل١٨٦٨-١٩٢٦م موظفة بارزة في المخابرات البريطانيّة، عملت في العراق إذ رفعت تقارير إلى حكومة الهند البريطانيّة بصورة مستمرة تناولت فيها أحوال العراق خلال مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق. للمزيد من التفاصيل عن حياتها ودورها السياسي في العراق ينظر: القريشي، محمد يوسف إبراهيم، المس بيل وأثرها في السياسة العراقيّة، ٦٧.

٢. لقريشي، محمد يوسف إبراهيم، المس بيل وأثرها في السياسة العراقيّة، ص٦٧.

٣. بحر العلوم، السيد محمد صادق، دور النجف في الثورة العراقيّة الكبرى عام ١٩٢٠م، ص٧٢.

ثم تسارعت وتيرة الأحداث التي دعت إلى قيام ثورةٍ شاملةٍ ضدّ البريطانيين، وإنهاء فكرة إلحاق العراق بمحمية عدن، وجعله مستعمرةً تابعةً لها على إثر ذلك، اجتمع بعض من زعماء الفرات الأوسط في بيت الشيخ هادي المكوطر، أحد كبار شيوخ محافظة الديوانية، بعد ذلك خرج الجميع من الاجتماع بفكرةٍ واحدة، هي توعيه الناس وحشد الجهود، وأنشئت جمعية الرابطة الإسلامية للقيام بذلك، وكانت من الأسباب المباشرة لاندلاع الثورة قيام القوات البريطانية بسجن الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الظوالم في محافظة المثنى (السماوة) بجنوب البلاد، إذ هاجم رجال قبيلته سراي الحكومة وحرروه بعد أن قتلوا بعض البريطانيين، فكان ذلك إيذانًا بإعلان الثورة وانطلاق شرارتها التي احتدّ لهيبها سريعًا لتشمل أنحاء مختلفة من البلاد، ففي الثاني من تموز أعلنت النجف الثورة، وتجمهر الناس حينما وردت الأخبار من الرميثة في الصحن العلوي المطهر ورفعوا العلم العربي، وفي الرابع من تموز فرض الثوار الحصار على مدينة السماوة، ونسفوا خطة السكة لحديد، وعبثًا حاول المستعمرون القضاء على الثورة في مهدها[١].

آثار الثورة العراقيّة الكبرى

تعدّ ثورة العشرين أولى الثورات الوطنيّة الكبرى التي شهدها العراق في تأريخه الحديث؛ إذ اصطدم الشعب العراقي في هذه الثورة وبقوة السلاح مع قوات الاحتلال البريطاني، وألحق بها هزائم منكرة، وأرغم الإنكليز على الاعتراف بحقّه في التحرير والاستقلال، وتقرير المصير.

كما أعطت الثورة دلالات حاسمة:

١. إنّ وحدة الهدف يجب أن تتبعها وحدة الصف العلني، وأنّه من دون هذه

١. آل وهاب، عبد الرازق، كربلاء في التاريخ، ٣/ ٩٥.

الوحدة لا يمكن لأية ثورة أنْ تضمن النجاح.

٢. إنّ الشعب الثائر يستطيع بوحدة أبنائه واستعدادهم للتضحية أنْ يهزم العدو المحتمل مهما كان لهذا العدو من قوة السلاح، وكثرة الجند ومختلف أساليب الحرب الحديثة.

٣. لقد شملت الثورة أنحاء واسعة من العراق قبل الثلاثين من حزيران ١٩٢٠م، الذي عدّه المؤرّخون والكتّاب بداية للثورة، فإنّنا نجد أنّ لهيب الثورة في المناطق الشمالية لم يخمد أواره طوال أيام سنة ١٩١٩، وأوائل سنة ١٩٢٠م، واستمرت الى ما بعد خمود لهيبها في الفرات الأوسط[١].

٤. كان لثورة العشرين وأحداثها اليومية صدى واسع في الصحف العالمية التي قامت بنشر جملة من أحداثها، ومن تلك الصحف العالمية، صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية[٢]، وهي وإنْ كانت متأثرةً بشكلٍ كبيرٍ بمصدر الخبر المنقول من الصحف البريطانية الصادرة آنذاك كالتايمز اللندنية، والديلي نيوز، وديلي كرونكر، وديلي ميل، وديلي اكسبريس، وديلي ميل القاهرية، بالإضافة إلى اعتمادها التقارير والنشرات الحربية البريطانية، وأخبار مجلس العموم البريطاني، لكن مع ذلك يمكن للفرد المطلع على ما نشرته هذه الصحيفة من أخبار وتقارير حول ثورة العشرين أنْ يستشفّ مدى الأثر الذي أحدثته ثورة العشرين المباركة، حيث نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية في مرات عديدة متفرقة بأنّ:

---

١. شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي المعاصر، التحرّك الإسلامي ١٩٠٠- ١٩٥٧، ٢/ ٢٣٠.

٢. نيويورك تايمز صحيفة أميركية مقرها في مدينة نيويورك. تأسست الصحيفة عام ١٨٥١م، وفازت بجائزة بوليتزر للخدمة العامة ١٢٥ مرة، وتصنّف رقم ١٧ على مستوى العالم من ناحية التداول، ورقم ٢ على مستوى الولايات المتحدة، مؤسّسها: جورج جونز، وهنري جارفيس ريمون، ومقرها الرئيس: مبنى نيويورك تايمز، وجهة لنشر: آرثر جريج سالز برجر، وتاريخ العدد الأول: ١٨ أيلول ١٨٥١م.

«التقرير من طهران يقول إنّ الموقف في جنوب العراق أصبح جديًا، ويضيف: أنّه قد ذكر في طهران أنّ خط سكة حديد بصرة بغداد قد قطع في ثلاث أماكن[١].

٥. عندما انتقدت سياسة الحكومة البريطانية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٩م، من قبل الصحافة والمعارضة بمجلس العموم البريطاني على أساس أنّها تكون عبئًا ثقيلًا على موارد بريطانية المالية وقواتها العسكرية، وطالب المعارضون بالانسحاب من العراق، ردّ رئيس الوزراء المستر لويد جورج على المعارضة بقوله: «إنّ ولاية الموصل العراقية غنية بالنفط، وحالما تنسحب بريطانية من العراق تحمل حلها دولة أخرى»، وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢٠، تقدم المستر اسكويث باقتراح يرمي إلى الانسحاب من العراق، وقال: «اذا نظرنا إلى أحوال البلاد وما نحن عليه من الضيق المالي، حكمنا دون تردد أننا ساعون في تكليف أنفسنا فوق طاقتها، اذا أخذنا على عهدتنا صرف ٣٠ أو ٤٠ مليون ليرة على قطر ليس فيه من السكان سوى مليوني، نسمة». فرد عليه المستر لويد جورج بقوله: «أمن المعقول أنّنا بعد كلّ هذه الجهود التي قمنا بها نغادر العراق تاركين كل شيء خوفًا وسأمًا من ثقل حملها؟»، وقد أجابت أكثرية المجلس رئيس الوزراء بالنفي وقالوا: (كلا كلا)، ومن هذا يظهر أنّ السياسة البريطانية في العراق كانت تستهدف البَقاء في هذه البلاد، وأنّ ثورة العشرين الكبرى كانت من العوامل الرئيسة في تغيير هذه السياسة، أو إكسابها مرونة أكثر من ذي قبل

١. فريق الفرعون، الحقائق الناصعة: ص٣٥٢. الجبوري، كامل سلمان، النجف الأشرف والثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ص٢٨٥.

على الأقل[١].

٦.. لقد بعثت الحرب وسوء الإدارة، وعنف الموظفين البريطانيين في رجال القبائل روح التكتل، وتناسى الضغائن والعصبيات القبلية، وكان العامل الديني هو الأول في إثارة القبائل ضد الإنكليز، وقد ظهر أثر ذلك واضحًا في الشعر الشعبي الذي كان يترنم به أفراد القبائل أثناء القتال مع الإنكليز، كما ظهرت بوادر روح وطنية تضيق عنها روح القبيلة الضيقة، فذكر الشعراء العراق والوطن في شعرهم الشعبي كما ذكروا فكرة التعصب للعروبة، في شعرهم هذا، ولم يظهر أفراد العشائر تحسّسهم لأهداف الثورة بشعرهم الشعبي، الذي يُعدّ أحسن معبّر عن شعورهم الحقيقي، بل ظهر هذا الشعور في المضابط التي نظمها رؤساؤهم كوسيلة لإظهار إسهامهم في الحركة الوطنية، وفي المؤتمرات التي عقدوها للغرض نفسه سواء كان ذلك قبل الثورة أم في أثناء الدور العسكري منها[٢].

٧. ومن دلالات الثورة أنّها ولّدت نوعًا من الإحساس بقضية العراق العامة، ذلك الإحساس الذي تعدّى حدود الاهتمام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية إلى الاهتمام بمصلحة الوطن عامة أخذ خلال فترة ثورة العشرين يجد طريقه إلى نفوس الكثيرين من أمراء القبائل وخاصة طبقة الزعماء منهم، وقد أحس المسؤولون الإنكليز بهذا الوعي الوطني وشهدوا آثاره الفعلية، فالجنرال هالدن يقول: «شهدت أشهر صيف سنة ١٩٢٠م نوعًا من اليقظة في الشعور

١. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨- ١٩٢٠، رسالة ماجستير، ص ٦٤.

٢. بحر العلوم، محمد صادق، م، ن، ص٨٤.

الوطني الذي كان راقدًا فيما سبق، في نفوس أبناء القبائل العراقية، وأنّ الدعوات الدينيّة وجدت آذانًا صاغية من تلك القبائل، فأسفرت جهود الدعاة عن قيام عددٍ ضخمٍ من الثوار المسلحين ضدّ قواتنا». وإنّ أدوارًا تمهيدية سبقت الثورة المسلحة التي قامت في ذلك الصيف، فحركة الوعي الفكري التي بذرت بذورها في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وتأسيس الجمعيات والأحزاب قبل الحرب المذكورة وبعدها، والوسائل السلمية التي استعملها المعنيّون بالحركة الوطنية، والحركات العسكرية التي قامت ضد الإنكليز في الشمال، وحركة النجف لسنة ١٩١٨، كلها عوامل ممهدة لثورة سنة ١٩٢٠[١].

المقصد الثالث: أسباب قيام الثورة العراقيّة الكبرى

إنّ الأسباب المحرّكة لتلك الثورة الخالدة والتأريخية كثيرة، وإنْ اختلفت حولها الرؤى والأفكار السياسية، فقد عزاها السياسيون المشاركون فيها من خلال مذكراتهم، أو المؤرّخون والكتّاب أو الصحفيون إلى أسبابٍ عديدةٍ منها أسباب خارجية، ومنها أسباب داخلية متعلقة بشؤون العراق سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم غير ذلك، وأهمها بما يأتي[٢]:

أولًا: الأسباب والعوامل الخارجيّة لانطلاق الثورة:

لم يكن الانقسام في المجتمع العراقي قد توقف بعد انتهاء الحرب، واستسلام الدولة العثمانية، واحتلال العراق من قبل بريطانيا؛ بل اتّخذ أبعادًا جديدة، وأضيفت إليه عوامل وقوى جديدة، واتّخذ له وجهة أخرى؛ فأصبح الأمر يطرح

١. البصير، أحمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ص٤٩.
٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٧٢.

نفسه في سؤالٍ على النحو الآتي: من الذي يقف إلى جانب الوجود البريطاني في العراق، ويعدّه ضروريًا لتطور العراق، ومن يقف ضد الوجود البريطاني في العراق، ويدعو إلى نيل الاستقلال والسيادة الوطنية؟

إنّ الفترة بين ١٩١٨ و١٩٢٠ كانت فترة تبلورت فيها المواقف بوضوح بين بريطانيا التي تريد البقاء - وخاصة بعد تسلم (ويلسون) المسؤولية في العراق خلفًا للسير (وليم) وهو الذي كان راغبًا في ربط العراق بالهند ربطًا محكمًا لتبقى مستعمرة دائمة لبريطانيا» وبين غالبية العراقيين في موقفهم الداعي إلى الاستقلال، وإنّ الاختلاف في المواقف بين العراقيين تركّز بالأساس بين أوساط معينة من الشعب العراقي، فلم يكن مستوى الوعي آنذاك يسمح حقًا بالتعرف على نوايا الاستعمار البريطاني، أو أغراضه في العراق، فلم يكن سهلًا مثلًا على الفلاحين الخاضعين لتسلط شيوخهم، والمحرومين من نعمة القراءة والكتابة[١]، أن يصلوا إلى مصادر المعلومات، أو يطلعوا على مجريات الصراع في العراق والمنطقة؛ فيدركوا أبعاد الصراع واتجاهاته.

وكانت هذه الاختلافات في المواقف، تبرز في موضوعات الدعاية العراقية المناهضة للوجود البريطاني، التي اتّخذت في حينها صيغًا مختلفة، تراعي مستوى وانتماء الجماعات التي يراد إيصالُ المعلومة إليها، وأدّى العامل الخارجي العربي والإقليمي والدولي دورًا مهمًا في تنشيط الكفاح الداخلي، وفي تفجير الثورة العراقية، فثورة العشرين التي جاءت استكمالًا لانتفاضة وثورة النجف في عام ١٩١٨ وكذلك ثورة السليمانية عام ١٩١٩، قد تأثرتا بالعوامل الخارجية

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٧٣.

والتي منها: اطلاع الأوساط الأكثر احتكاكًا بالمعلومات القادمة من الخارج عبر الصحافة العربية وغيرها على ما تنشره الصحف البريطانية، وعلى ما يدور من نقاشاتٍ في مجلس العموم البريطاني حول مطالبة العراقيين بالاستقلال، أو حول التحركات السياسية والنضالات المسلحة، التي كانت تؤرق الأوساط البريطانية وسلطات الاحتلال، وتثير جمهرة غفيرة من الشعب البريطاني[١] من دافعي الضرائب، ومن المجندين في الخدمة في العراق، كانت تطالب الحكومة البريطانية بالانسحاب من العراق، ومنح البلاد استقلالها باعتبار الاستقلال مطلبًا عراقيًا ملحًا، وكان هذا النقاش يشجع العراقيين، عندما كان يبث في المضايف والمجالس الدينية والشعبية وكان يحفّز الناس ويدفعهم إلى التفكير بالمشاركة في العمل من أجل هذا الهدف.

كما كانت الأوساط العراقية الواعية على اطلاع على المبادئ، التي طرحها الرئيس الأمريكي ويلسون حول حرية واستقلال الشعوب، والتي روجت لها الدعاية الأمريكية في صراع الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا؛ لغاية في نفسها وهي: أنْ تحتلّ الولايات المتحدة موقعًا لها تحت الشمس، وموقعًا لها في المياه الدافئة، ولا شك في أنّ الحركات المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، والصراعات الدولية، والخوف من تطور الأوضاع في غير صالح الدولتين، أرغمت الحكومتين البريطانية والفرنسية على إصدار بيان سياسي، تضمن التأكيد على الرأي الذي أذاعه الجنرال مود عشية احتلاله بغداد، بأنّ المحتلين جاءوا محررين لا مستعبدين[٢]، وتنفيذًا لهذه الغايات قد اتفقت كلٌّ من فرنسا

١. م، ن، ص٢٧٥.

٢. وقد جاء في البيان ما يلي: «إنّ الغاية التي ترمي إليها كلٌّ من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار

وبريطانيا على تشجيع ومساعدة إنشاء حكومات وإدارات وطنية في كلٍّ من سوريا والعراق، وقد حررها الحلفاء فعلًا، وفي الأقطار التي يسعى الحلفاء إلى تحريرها، والاعتراف بهذه الأقطار بمجرد تأسيس حكوماتها تأسيسًا فعليًا، وكان لهذا البيان الذي صدر في نوفمبر عام ١٩١٨ تأثيرٌ إيجابي لصالح النضال ضد الهيمنة البريطانية على العراق، بعكس ما توقعّته كلٌّ من بريطانيا وفرنسا[١].

ورغم كلّ مصاعب الارتباط بين العراق، وبقية الأقطار العربية والبلدان المجاورة، فإنّ نضال العراقيين بمختلف فئاتهم الاجتماعية، لم يكن معزولًا تمامًا أو منفصلًا عن النضالات السياسية القائمة في تلك الأقطار أو بلدان الجوار كانت لأحداث تلك البلدان تأثيراتٌ مباشرةٌ أو غير مباشرة على الوضع في العراق؛ فثورة ١٩١٩ في مصر وتحركات البرجوازية والقوى الوطنية الأخرى في سوريا ولبنان عام ١٩١٨، والحركة (المشروطة) في إيران، والحركة الدستورية، كانت لها جميعًا أصداء مدوّية في العراق، كما كان لثورة ١٩١٩ المصرية بقيادة سعد زغلول دورٌ محفّزٌ لتلك الأوساط، التي كانت على اطلاع على أخبار الثورة من

الحرب في الشرق من جراء أطماع ألمانيا، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الأتراك تحريرًا تامًا نهائيًا، وتأسيس حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم»

١. وكانت مس (گرترود بيل) واعية لوجهة تطور الأحداث في العراق، نقل الدكتور عبد الله فياض عنها ما روت في الثاني عشر من يناير ١٩٢٠ قالت: «أبتهل إلى الله أن يهدي قادة الرأي في وطننا، ويجعلهم يفهمون أنّ الأفضل أنْ نعترف بطموح العراقيين السياسي منذ البداية، وألا نحاول أنْ نضغط على السكان. ومن يعلمنا بأنّنا قد نفقد سيطرتنا على العراق خلال سنةٍ واحدة أو أقل؛ وذلك لأنّ عوامل الاضطراب من الشمال والشرق آخذة مجراها، وربما يكون لهذه العوامل تأثيرها في أهل العراق. ليتني أتمتع بتأثيرٍ أكثر ممّا أتمتع به الآن حتى أقنع الآخرين بوجهة نظري. وقد كتبت حول هذا الموضوع إلى إدوين (Edwin) هذا الأسبوع، وسأكتب إلى السير هرتزل».

جهة، وعلى فكر الثورة من جهة ثانية، وهو الفكر الذي كان يتجلّى في ما تنشره الصحافة المصرية من معلومات وقيم نضالية ضد الهيمنة الأجنبية، ومن أجل استقلال مصر والدول الإسلامية الأخرى، وكانت تلك المعلومات تتسرّب إلى الناس في المدينة على وجه التخصيص، وكانت التحرّكات الفلاحيّة في الريف المصري تنتقل أخبارها إلى الريف العراقي أيضًا فيجري الحديث عنها في مضايف الشيوخ وفي مجالس المدينة، وقد كتب محمد مهدي البصير – نقلًا عن الدكتور علي الوردي –: «إنّ أخبار سعد زغلول والشعب المصري من جهة، وأخبار الملك حسين وأنجاله في الحجاز وسوريا من جهة الأخرى، كانت حديث الخاص والعام في العراق، وقلّما خلا مجلسٌ من ذكرها، كذلك كان للعلاقات بين العراق وإيران، ومجيء الزوار الإيرانيين إلى المدن المقدّسة مثل كربلاء المقدسة، والنجف الأشرف وغيرها من مدن العتبات المقدسة، ومدن جنوب العراق، واحتكاكهم المتواصل بالناس ورجال الدين[1]؛ تأثير خاص سلك اتجاهين هما: تبادل وجهات النظر حول تطور الحياة السياسية في إيران ودور رجال الدين وتجربتهم في النضال من أجل الدستور في الحركة التي عرفت منذ بداية القرن العشرين بالحركة المشروطية، والموقف من الهيمنة البريطانية على إيران من جهة، ونقل أخبار ثورة أكتوبر البلشفية، والثورة الألمانية، ودور العمال والفلاحين في هذه الثورة من جهة ثانية.

ولم تكن كلّ أخبار الثورة، ولا كلّ المعلومات التي تصل عنها واضحةً المعالم بالضرورة أو مفهومة الأهداف؛ إذ إنّ بعض الصحف كانت تشكّك بأهداف

١. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٦٩.

الثورة ومواقفها من العراق أو الدول العربية، ولكن بعضها الآخر كان يشير إلى الدور، الذي لعبته الثورة البلشفية، في نشر المعلومات والوثائق والمؤامرات التي حاكتها، والاتفاقات التي عقدتها قبل ذاك الدول الاستعمارية لتقسيم مناطق النفوذ بينها[١].

الأسباب والعوامل الداخليّة لانطلاق الثورة

تشير الدراسات التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ العراق المعاصر - وكذا المضابط والبيانات التي صدرت حينذاك، والصحف التي عالجت مهمّات الثورة - إلى أنّ الهدف المركزيّ لثورة العشرين تمثّل في تطلّع العراقيين إلى الاستقلال والحرية وإلى التخلص من السيطرة الأجنبيّة البريطانيّة؛ أي في النضال من أجل إقامة الدولة العراقية المستقلة، وهي مفاهيم حديثة - بطبيعة الحال - لم تكن مألوفةً في حياة العراقيين قبل ذلك التاريخ، فجلُّ ما كان يطرحه العاملون في الحقل السياسي حتى ذلك الوقت كان مقتصرًا على الحصول على الحكم اللامركزي في إطار الدولة العثمانية، ومن اللافت للنظر في هذا النضال؛ مساهمة مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية الريفية فيه؛ إذ كان الريف في ذلك الحين، يضمّ السواد الأعظم من سكّان العراق؛ حيث المعاناة اليومية من الضغوط والاستبداد والجهل والمرض والفقر[٢]، وهي معاناةٌ كانت منتشرةً بين سكّان كثير من المدن العراقية أيضًا وبين البدو من بعض القبائل والعشائر المتنقلة أو شبه المستقرة، وإذا كانت المدن العراقية تشهد قبل ذاك صراعات بين الريف والمدينة من جهة، وبين البادية والمدينة من جهة ثانية - كانت المدن تتعرض إلى اجتياحات القبائل

١. م، ن، ص ٧٨.

٢. م، ن، ص٨٤.

المستمرة – فإنّها ولأول مرة تعيش في جوٍّ من التعاون والتنسيق لصالح فكرة الخلاص من الهيمنة البريطانية، وقد ظهر ذلك أول مرة في تاريخ العراق بفضل دور المرجعية ورجال الدين المتميّز في النشاط الجهادي، كما في معارك البصرة، ومعارك التعبئة لثورة العشرين، وتجلّت أهمية رجال الدين في قدرتهم على التأثير على شيوخ العشائر وأفرادها، وفي تمكّنهم من توحيد كلمتهم وجمع شملهم حول مطالب معينة يتوجهون بها إلى سلطات الاحتلال البريطانية، وقد تجلّت نشاطات هذه القوى الاجتماعية السياسية، في فعاليات الأحزاب والجمعيات السياسية، التي تشكّلت في العقد الثاني من القرن العشرين، وهي: حزب العهد العراقي، الذي انشطر عن جمعية العهد التي تشكلت في عام ١٩١٣، وجمعية حرس الاستقلال، والجمعية الوطنية الإسلامية ذات الطابع المحلي، وعمدت هذه الأحزاب إلى شرح الأهداف السياسية للفئات الاجتماعية المختلفة، ثم طرحتها في شعاراتٍ محدّدةٍ بغية تعبئة الناس وتحريك الشارع في سبيل انتزاع الاستقلال، وبدلًا من الاستجابة لمطالب العراق ومراعاة مشاعر الشعب ورغبته في الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية؛ أصدرت عصبة الأمم قرارًا مجحفًا أثناء انعقاد مؤتمر سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان/ إبريل ١٩٢٠؛ وضع بموجبه العراق تحت الانتداب البريطاني، وكان هذا القرار بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير، وفجرت الثورة في يونيو من العام نفسه.

ومن أهمّ الأسباب الداخليّة التي انطلقت منها الثورة العراقيّة الكبرى هي:

أولًا العامل السياسي: ويمكن تقسيم أهم الأسباب والعوامل التي تدخل مع (العامل السياسي) ضمنًا في النقاط الآتية:

١. **سياسة الخِداع عند البريطانيين**: إذ عمد الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى الى تسويف موضوع تقرير المصير والاستقلال الذي وعدوا فيه الشعب العراقي شعوب المنطقة قبل الحرب، وتبيّن أنّ الغاية التي أعلنتها بريطانيا وفرنسا لإعلان الحرب في تحرير الشعوب التي كانت تحت الاستعباد التركي ما هي إلّا أكذوبة وخديعة كبرى حيث اتفقت بريطانيا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو على اقتسام العراق وسوريا، وفرض الانتداب عليهما؛ ممّا يدلّ على بقاء بريطانيا في العراق كمستعمرٍ جديدٍ، وهذا ما رفضه الشعب العراقي.

٢. **سياسة القمع وعدم الوفاء بالوعود**: إنّ من الأسباب الرئيسة لاندلاع الثورة هو تمادي البريطانيون في سياسة القمع[١]، وعدم إيفائهم بوعودهم للشعب العراقي؛ إذ كُشفت نواياهم في إخضاع العراق للانتداب البريطاني، عندها عقد شيوخ عشائر الفرات الأوسط والمنتفك اجتماعًا في بيت الشيخ هادي المكوطر أحد شيوخ لواء الديوانية، وتدارسوا القيام بثورةٍ شعبيةٍ كبرى، وقد اقترح بعضهم تأجيل الثورة حاليًا لحين للقيام بتوعيةٍ شعبيةٍ لتهيئة أبناء الشعب والعشائر للثورة، لكنّ الأحداث على الساحة كانت تتسارع لتأتي حادثة اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الظوالم في ناحية الرميثة في السماوة يوم ٣٠ حزيران ١٩٢٠ لتشعل الشرارة الأولى للثورة، فقد قام حاكم لواء الديوانية البريطاني بإرسال مبعوثٍ الى حاكم ناحية الرميثة يطلب منه إرسال رؤساء عشائر الرميثة، وعلى رأسهم الشيخ شعلان أبو الجون، والشيخ غثيث الحرجان، بحجة أنّ عليهم ديونًا للحكومة البريطانيّة عن الأراضي الزراعية لم يسدّدوها، والحقيقة

١. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨- ١٩٢٠، رسالة ماجستير، ص ٦٤.

أنّه أراد الانتقام منهم؛ لأنّهم يحرّضون العشائر للقيام بالثورة ضد البريطانيين والمطالبة باستقلال العراق.

وعندما أرسل حاكم الرميثة من يبلغ الشيوخ للمثول أمامه اتّفق الشيوخ شعلان وغثيث وآخرون أنْ يذهب الشيخ شعلان أبو الجون إلى حاكم الرميثة، ويبقى الآخرون في الانتظار لمعرفة النتيجة، وأرسلوا مع الشيخ شعلان من يرافقه الى حاكم الرميثة، واتفقوا إذا تم إلقاء القبض على الشيخ شعلان، وأُودع السجن فإنّه يقول لمرافقة اذهب لأهلي ليرسلوا لي عشر ليرات، وهي كلمة السر مع الشيوخ ومعنى ذلك أنّ يرسلوا لي عشرة رجال شجعان مسلّحين لإخراجه من السجن[1]. وعند وصول الشيخ شعلان إلى حاكم الرميثة استقبله بعبارات التوبيخ، وأسمعه كلامًا لا يليق برئيس عشيرة الظوالم، فرد الشيخ شعلان عليه بالمثل، وأخبره أنّ سياسة بريطانيا في العراق ستتسبب بمشاكل لا يحمد عقباها، وأنتم في العراق ولستم في الهند، والعراقيون ليس مثل الهنود، فقام حاكم الرميثة الإنكليزي بإدخال الشيخ السجن إلى حين وصول قطار الرميثة الذي يتوجه الى الديوانية؛ ليرسله مخفورًا إلى حاكم الديوانية، عندها أرسل الشيخ شعلان مرافقة إلى عشيرة الظالم ليخبرهم بما حدث لشيخهم، فأرسل الشيخ غثيث الحرجان حسب الاتفاق عشرة رجالٍ أبطالٍ من عشيرة الظوالم برئاسة خبشان الحاج كاطع، وتوجهوا إلى الرميثة، وعند وصولهم السراي(مقر الحاكم) عصر يوم ٣٠ حزيران، ١٩٢٠ قاموا بقتل اثنين من حرس السراي، وأخرجوا الشيخ شعلان، وهم يرددون أهازيجهم (هوساتهم) الشعبية فكانت تلك الشرارة الأولى

١. م، ن، ص ٦٩.

لاندلاع الثورة العراقية الكبرى وأحد أسبابها الرئيسة، ثم قام ثوّار الرميثة بقلع قضبان السكة الحديدية بين البصرة والديوانية، وحفروا الخنادق للتهيّؤ لصد هجمات البريطانيين المتوقعة عليهم، ومن الرميثة امتدت الثورة إلى باقي مناطق الفرات الأوسط حيث اجتمع يوم ١١ تموز رؤساء عشائر المشخاب في مضيف الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، وقرروا إعلان الثورة[١].

ثانيًا: العامل الديني: وكان العامل الديني من أهمّ أسباب الثورة العظيمة إذ يعدّ من أهم العوامل وأبعدها أثرًا في تشجيع العراقيين على الثورة ضدّ سلطات الاحتلال البريطاني في سنة ١٩٢٠، ويتمثّل هذا العامل بالأحداث والشواهد الآتية:

١. **إعلان الجهاد**: أعلن المراجع وعلماء الدين الجهاد المقدّس ضد المستعمِر البريطاني، وعدّوا الثورة مجابهةً للظلم، وتحقيقًا للحرية والاستقلال، وهذا هو (الجهاد الأكبر المقدس)، وقاتل عددٌ من العلماء القوات البريطانية في البصرة والناصرية، واستشهد عدد منهم، وقد قام المجتهدون من علماء الشيعة الإماميّة الساكنون في العتبات المقدسة في العراق بدورٍ فعّالٍ في حثّ المسلمين العراقيين على قتال الإنكليز، اذا امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعة بالاستقلال، وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذٍ كبيرٍ على الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويعتقد الشيعة أنّ علماءهم نوّاب أئمتهم فلا يخالفون لهم أمرًا ولا فتوى ولا حكمًا من الأحكام الشرعية، وللمجتهد صلاحية إصدار الفتاوى[٢]، وبعد أن فشلت الوسائل السلمية في إقناع السلطات البريطانية بتغيير

١. شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي المعاصر، التحرك الإسلامي ١٩٠٠ - ١٩٥٧، ص٢٣٠.
٢. م، ن، ص٢٣٤.

موقفها تجاه مطاليب العراقيين المشروعة، استفتى جماعةٌ من الزعماء والرؤساء الإمام الشيرازي في جواز القيام بالثورة ضد السلطات البريطانية، فكتب في الجواب العبارة الآتية: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم)، وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقعٌ عظيمٌ في نفوس العراقيين، ووجدوا أنفسهم في قيدٍ وثيقٍ تجاه الحكم الشرعي.

٢. **دور المرجعية ورجال الدين**: كان الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي (قد) على رأس المدرسة الثانية التي ترى وجوب محاربة الإنكليز؛ لذا أخذ نفوذه ينمو شيئًا فشيئًا حتى تمت له الزعامة المطلقة بعد وفاة اليزدي، فضلًا عن إنّ الإمام الشيرازي كان يعتقد أنّ مساندة الحركة الوطنية أمرٌ يمليه عليه الواجب الديني، وأنّ نجاح هذه الحركة يعني زوال حكمٍ غير إسلامي، وإحلال حكمٍ إسلامي محلّه. وعندما طلب جماعةٌ من العاملين في حقل الحركة الوطنية من آية الله الشيرازي أنْ يكتب كتابًا للعراقيين كافة يطلب منهم القيام بالمظاهرات تأييدًا للعاملين بالحركة الوطنية ببغداد؛ كتب في ١٠ رمضان ١٣٣٨هـ كتابًا جاء فيه: (إلى إخواني العراقيين، أمّا بعد، فإنّ إخوانكم في بغداد والكاظمية قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إنْ شاء الله بحكومة إسلامية)، وقد بذل الإمام الشيرازي (قد) جهده للتوفيق بين طائفتي السنة والشيعة من المسلمين فنجحت جهوده نجاحًا ظاهرًا، وتضافرت جهود الطائفتين للعمل من أجل مصلحة الوطن، ولم ينسَ أنْ يوصي بغير المسلمين، فقال برسالته سالفة الذكر: «وأوصيكم بالمحافظة على

جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم، وأموالهم، وأعراضهم، ولا تنالوا أحدًا منهم بسوءٍ أبدًا»[١].

٣. مواصلة الثورة: ومن رجال الدين الذين تولوا زعامة الثورة بعد وفاة الشيخ الشيرازي في الثالث من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ الموافق للثالث عشر من آب سنة ١٩٢٠، شيخ الشريعة الأصفهاني، وقد خطب خطبة طويلة بعد إسناد الزعامة الدينية إليه حثّ فيها الناس على مواصلة الجهاد، وكانت الثورة حينذاك قد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الأوسط، وامتدّت جنوبًا حتى الناصرية، وشمالًا حتى المحمودية[٢]، ثم قامت إدارات موقتة في أهمّ المدن التي احتلها الثوّار، وقد رأت الحكومة أنْ تفتح مفاوضاتٍ مع الثوّار، فوجّهت إلى شيخ الشريعة كتابًا، وكان الشيخ مهدي الخالصي من المجتهدين الذين آزروا الثورة وعملوا على نجاحها، وكان الساعد الأقوى والمفوّض المعتمد لآية اللهّ الشيرازي الذي كان يتّكل عليه ويستشيره في القضايا الدينية والسياسية، وكان السيد أبو القاسم الكاشاني من بين رجال الدين الذين أسهموا بالثورة، ولما شبت الثورة في الفرات لحق [الكاشاني] بكربلاء فكان من مستشاري الإمام الشيرازي، ولا بد من الاعتراف بسهره الشديد على الأمن وراحة الساكنين بكربلاء. كما كان العلّامة الشيخ عبد الكريم الجزائري من الأقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية الكبرى سنة،١٩٢٠ وكان عضدًا للثوّار، كما كان عونًا لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الأحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن

١. محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكارها الخمسين، معلومات ومشاهدات من الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠، ص١٩٠ - ١٩١.

٢. م، ن، ص١٩٢.

حوزة البلاد وكرامتها، وتحقيق حريّتها وسيادتها وحقوقها المشروعة[١].

ثالثًا: العامل الاقتصادي: لم تكن العوامل السياسية سوى الوجه الثاني للعملة، أمّا وجهها الأول، فتمثَّل بالعوامل الاقتصادية، التي كانت تقف وراء تطور النشاط السياسي، والعمليات المسلّحة المناهضة لقوات الاحتلال البريطاني، التي بادرت إلى استخدام السلاح لإخماد المقاومة، وتتمثّل العوامل والأسباب الاقتصادية التي تسببت بقيام الثورة بالآتي:

١. استغلال ثروات البلاد: إذ أدرك الشعب العراقي أنّ الاحتلال البريطاني سيكون استغلالًا لخيرات البلاد ومواردها وثرواتها، وإنْ جاء مغلّفًا بغلاف التحرير والاستقلال، وفي أعقاب الاحتلال البريطاني حدث اختلالٌ كبيرٌ في الحياة الاقتصادية؛ فقد ارتفعت الأسعار، وقلّت بعض المواد الأساسيّة، وازدادت البطالة، ونشأت طبقةٌ جديدةٌ من أغنياء الحرب في المجتمع، أثّرت على حساب الناس، وبقيت الأغلبية من الشعب في حالة ضنك عيش وفقر[٢].

٢. الاستيلاء على المحاصيل وفرض الضرائب: وقد جلبت سنوات الحرب العالمية الأولى معها مشكلات اقتصادية جمة لسكان العراق؛ فإلى جانب المعارك

---

١. وفي معرض كلامه عن تأثير رجال الدين في الجمهور يقول ولسن: «لقد لزم السيد كاظم اليزدي، كبير المجتهدين، الصمت، ولكن المجتهدين الذين هم دونه منزلة قد اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فأثّروا في الجماهير مستعملين حججًا دينية وجنسية، وتمكنوا بهذه الوسائل أنْ يخفوا معالم الاحتلال الإنكليزي العسكري للبلاد. وكانت الحجج التي استعملت ضدنا متشابهة على الأغلب، مادةً وأسلوبًا، مع تلك التي استعملت لغرض إنقاذ الأراضي المقدسة من الصليبيين في القرن الحادي عشر. وقد امتنع الناس عن القيام بمراسيم الدفن الإسلامية لأولئك الذين بقوا مخلصين لنا، وقد اضطروا في بعض الحالات لنقلهم إلى خيام آبائهم، وقد عوملوا بشراسة في حالة أخرى وضرب أطفالهم في الشوارع».

٢. الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، ص١٣٥.

الحربية التي كانت تجري على الأرض العراقية، ومحاولات الدولة العثمانية تجنيد العراقيين للقتال إلى جانبها في معاركها ضد الإنكليز، واستخدام الإنكليز لأعدادٍ غفيرةٍ من المواطنين في أعمال السخرة في معسكراتهم، وفي شقّ الطرق ونقل السلاح، استخدامًا سيلعب دورًا بارزًا في تقليص الإنتاج الزراعي؛ فإنّ سلطات الاحتلال البريطانية وقوات الجيش العثماني ستمارسان في آنٍ واحدٍ، سياسة الاستيلاء على المحاصيل الزراعية - كشكلٍ من أشكال استيفاء الضرائب لتغطية نفقات الحرب - من دون أنْ تتكفلا بدفع تعويض مالي لأصحاب المحاصيل، أو قد تدفعا تعويضًا ماليًا محدودًا، لا يفي بحاجات أصحابها، وهذا يشير إلى واقع مرير تمرغ فيه سكان العراق، إذ كان إصرار الإدارة البريطانية على تحصيل الضرائب المفروضة على كلّ محصولٍ زراعي، وعلى كلّ محصول بستان تحصيلًا كاملًا، كان أمرًا مكروهًا لدى الفقير والغني على السواء، حتى إنّ القبائل، كقبيلة بني حچيم من لواء المنتق مثلًا، وجدت نفسها سنة ١٩١٩ مرغمةً على دفع ضرائب فادحة، وذلك لأول مرة في تاريخها، وكان تحصيل الواردات، في تلك السنة نفسها، في لواء المنتفق، أعلى تحصيل في الفترة الواقعة بين ١٩١٦ - ١٩٢٨، ففي لواء المنتفق مثلًا، ارتفعت ضريبة الدخل على كلّ فردٍ من أقل من خمسة روبيات في سنة ١٩١٦ إلى خمس شلنات في سنة ١٩١٩، وبعد اضطرابات سنة ١٩٢٠ عادت وانخفضت ثانية سنة ١٩٢٢ إلى شلن.

٣. هجرة الفلّاحين: إذ أدّتِ العمليات العسكرية في مناطق مختلفة من العراق إلى تدمير المزيد من قنوات الري والبزل[١]، وإلى تخريب المزارع، وتلف المحاصيل

١. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكارها الخمسين، معلومات ومشاهدات من الثورة العراقيّة لسنة ١٩٢٠، ص١٩٠.

الزراعيّة، وإلى إرغام أعدادٍ كبيرةٍ من الفلّاحين على ترك الريف والهجرة إلى المدن، إذ إنّ أغلب العمليات العسكرية، تركزت في المناطق الزراعية من الفرات الأوسط وجنوب العراق، وقد لعب التجّار الكبار والوسطاء دورهم الطفيلي المعروف، في اغتنام فرصة الحرب؛ فاغتنوا اغتناء سريعًا على حساب الكادحين، واستفادت من هذه الأوضاع مجموعاتٌ قليلةٌ من التجّار والإقطاعيين وكبار الملّاكين، التي تعاونت مع المحتلّين الجدد، وأسهمت بتشديد الاستغلال على الفلاحين، وإذا كانت إجراءات إقرار التشريعات العثمانية بخصوص الأرض الزراعية، التي تم اغتصاب مساحات واسعة منها من الفلّاحين على مدى القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين وتسجيلها بأسماء الشيوخ وكبار موظفي الدولة وأشراف المدن وتجارها؛ قد أثارت سكان الريف، وفجرت ينابيع الغضب في نفوسهم على المحتلين، وشحذت منهم الهمم لمقاومة قوات الاحتلال[١]، فإنّ سلطات الاحتلال البريطانية منذ سنة ١٩١٨ قد عمدت إلى ممارسة سياسةٍ مماثلةٍ لسياسة العثمانيين؛ أغضبت الفلاحين والكثير من الشيوخ الذين حرموا من الأرض؛ بسبب مواقفهم الوطنية من سلطات الاحتلال في أثناء الحرب العالمية الأولى أو في الأعوام التي تلتها، فنظموا العديد من المضابط والتحركات المعادية للإنكليز في مناطق عديدة، وبخاصة في الفرات الأوسط والجنوب، وكان لهذه التحركات السياسية دورها في تعبئة الفلاحين، وأبناء المدن وإلى تعميق مضمون التناقضات الاجتماعية مع سلطات الاحتلال، وردًّا على تلك التحركات قامت سلطات الاحتلال بإعداد وتنفيذ حملاتٍ عسكريةٍ شرسةٍ ضدّ الفلاحين من

١. آل وهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، ص ٩٥.

أبناء العشائر، فكان منها التصدي لانتفاضة تلعفر، وثورة النجف، والسليمانية، ودير الزور، ومنها قمع التحركات الأخرى في بغداد وغيرها من المدن، مما أجّج الوضع العام بأكمله.

٤. **فتوى الجهاد وثورة الفلّاحين**: ومع أنَّ العلاقات ما بين العشائر أو ما بين الشيوخ المستغِلين والفلاحين المستغَلين لم تكن طبيعية، إذ كانت تشوبها التناقضات وضعف الثقة والصراعات، إلّا أنّ المرجعية الدينية والعلماء والأحزاب السياسية أسهموا في تخفيف تلك التناقضات، وتمكّنوا من السيطرة على الصراعات، وزرع الثقة في النفوس من أجل مواجهةٍ مشتركةٍ ضدّ الاحتلال البريطاني، إذ يشير الشيخ (محمد رضا الشبيبي) إلى أنّ ثورة العشرين كانت: «وليدة عاملين خطيرين أولهما الضغط والاستغلال الاقتصادي واستنزاف جهود العاملين في الزراعة خاصة والعراق قطر زراعي قبل كلّ شيء والاستيلاء على مواردها من الخامات بأبخس الأثمان، وردّها بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصريفها في أسواق هذه البلاد بأعلى الأثمان، وهذا هو جوهر الاستعمار الحديث، أمّا العامل الثاني في اندلاع الثورة فهو ذلك الضغط السياسي أو الحجر على الأفكار والحيلولة بين أبناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم، واختيار حكامهم وحكوماتهم بملء إرادتهم، ثم للمحاولات التي بذلتها السلطة المحتلة لفرض نوعٍ من السيطرة الاستعمارية المباشرة على العراق»[١]، ويتضمن كلام الشيخ محمد رضا الشبيبي هذا تأكيدًا صريحًا على الوعي السياسي والاجتماعي لعددٍ من قادة الثورة يومئذٍ، وفهمهم

١. م، ن، ص٩٧- ٩٨.

للأسباب التي دفعتهم للمشاركة بالثورة، وما خلا ذلك، فإنّ ظروف الحرب، أوجدت بذاتها نوعًا من الحركة التجارية النشيطة نسبيًا في الأسواق المحلية، استفادت منها مجموعاتٌ من التجّار، إلّا أنّها اقترنت بإفقارٍ شديدٍ للكادحين من ذوي الدخل المحدود؛ بسبب نقص فرص العمل، والتشرد وارتفاع أسعار السلع والخدمات (التضخم النقدي)، وكذلك النهب المتواصل والمتنوع للمحاصيل الزراعية والإيرادات من جانب سلطات الاحتلال الإنكليزي، وبعض الإقطاعيين وتجّار الجملة، أنتجت في بعض مناطق العراق مجاعاتٍ بشعة، ومنها المجاعة التي وقعت في الموصل، والتي أودت بحياة الألوف من السكّان[١].

٥. النفوذ الاقتصادي للاحتلال ومصالحهم الاستعماريّة: وبعد استكمال احتلال العراق من جانب القوات البريطانية، عمدت سلطات الاحتلال إلى تنفيذ سياسةٍ تستهدف تحقيق مصالحها الاقتصادية؛ وتعزيز تلك القواعد الاجتماعية، التي تخدم مصالحها على الأمد الطويل، وهي تلك الفئات والعناصر التي سعت قبل ذاك بسنواتٍ إلى بناء علاقات جيدةٍ مع الشركات التجارية البريطانية والقنصليات العاملة في العراق، فعمدت سلطات الاحتلال إلى تعزيز علاقاتها بالبرجوازية الكومبرادورية الجديدة، التي أسهمت بتكوينها، وسعت إلى فرض وجودها وتحصين مواقعها من جهة، وإلى تعزيز علاقاتها بالإقطاعيين، الذين شجعتهم على بسط نفوذهم وتأثيرهم على عشائرهم في المناطق التي يقيمون فيها من جهة أخرى، هذا بالإضافة إلى تعزيز علاقاتها بمجموعةٍ من الضباط العراقيين، التي كانت تعمل قبل ذاك في القوات العثمانية، ثم انقلبت ضد القوات

١. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص ٨٥.

التركية[١].

٦. **اتباع سياسة التفريق**: قامت الشركات الاحتلال البريطاني في مشاريعها على اختيار مجموعةٍ من الناس من أبناء العائلات الميسورة والمعروفة؛ لتعيينها في وظائف إداريّة، ترتبط بسلطات الاحتلال وتعمل لخدمتها، وتخضع لإشرافها وكانت هذه الخطوات هي البداية الأولى لتكوين البيروقراطية العراقية الحديثة؛ التي ارتبطت مصالحها - بهذا القدر أو ذاك - بمصالح الوجود البريطاني في العراق، فخدمت مصالحه مُؤْثِرةً إيّاها على مصالح المجتمع العراقي، ولكنّها اعتمدت في بعض الأحيان على من كان يعدّ من المنبوذين في المجتمع؛ فأساءت إلى من كان يعدّ من الأشراف والشيوخ والمحترمين في المجتمع، وقد كان لهذا التصرف نتائج سلبية برزت في علاقة الشيوخ ومجموعاتٍ من الأشراف مع القوات والسلطات البريطانية، وقادت سياسة سلطات الاحتلال البريطانية، التي تضمنت اختيار شيخ من شيوخ العشائر في منطقة معينة، ومنحه راتبًا ثابتًا للمحافظة على أمن المنطقة؛ إلى إثارة إشكالاتٍ سياسيةٍ وصراعاتٍ بين العشائر، التي كانت تقطن في المنطقة ذاتها، والتي لم يتم الاتفاق معها. فكان المال يلعب دورًا كبيرًا في كسب رضا أو كراهية العشائر العراقية، فكانت هذه السياسية تهدف إلى تشديد الخلافات بين شيوخ العشائر؛ ليسهل عليها السيطرة عليهم جميعًا، وهذا ما حصل مع الشيخ (ضاري الظاهر) على سبيل المثال رئيس عشائر (الزوبع) ليكون مسؤولًا عن الأمن والنظام في منطقته، وعمدت تلك السلطات إلى الاعتراف بالتشريعات، التي صدرت في العهد العثماني؛ فأقرّت

١. م، ن، ص٨٧.

عمليات توزيع أراضي الدولة على رؤساء العشائر والشيوخ وكبار موظّفي الدولة في العهد العثماني[١]، لكنّها حرمت الفلاحين والشيوخ الوطنيين - في بعض مناطق الفرات الأوسط بصورة خاصة - المعادين للاحتلال من الأراضي الزراعية، ولم تكتفِ بذلك، بل قامت سلطات الاحتلال البريطانية في هذه الفترة بتوسيع عمليات منح الأراضي الزراعية باللزمة، كما عملت على توسيع نشاط الشركات البريطانية لزراعة المحاصيل الصناعية ولاسيّما القطن، واستولت على مساحاتٍ معينةٍ من أكثر الأراضي الزراعية خصوبةً، ووضعتها تحت تصرّف تلك الشركات، أي إنّ أكثر العوامل التي حرّكت الفلاحين والملّاكين معًا[٢].

٧. **فرض التبرعات الإلزامية:** ومن الأساليب التي مارستها سلطات الاحتلال الاستعمارية في السيطرة على المحاصيل الزراعية والموارد المالية على أساس جباية الضرائب من السكان، وقد تفننت في إيجاد الصيغ والحجج لتحقيق ذلك ومن جملتها فرض التبرعات الإلزامية على المواطنين في المدينة والريف، وتشير بعض المصادر إلى أنّ الضرائب المفروضة على السكان، قد تضاعفت أكثر من ثلاث مراتٍ خلال مدّةٍ وجيزةٍ، كتبت جريدة (المانجستر گارديان) تهاجم الإدارة البريطانية في العراق في سنة ١٩٢٠، لا لأنّها لم تحقّق آمال العرب في الحرية والاستقلال فحسب، بل لأنّها رفعت ضرائبهم إلى ثلاثة أضعاف عمّا كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني، وتنوّعت الضرائب فكان منها: ضريبة النخيل، وضريبة المحاصيل الزراعية المختلفة، وضريبة الملك، وضريبة

١. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، ١٩٨٥، ص٢١٤.

٢. م. ن، ص٢١٧.

الدفنية الخ، ومنها العمل على جمع التبرعات للصليب الأحمر، وبناء الملاجئ للجنود في بريطانيا، وإقامة تمثال لقائد حملة احتلال بغداد الجنرال (مود) الخ، وكتبت جريدة الفرات بهذا الصدد قائلة: «لقد هدمتم هذا الركن بمقالع من السياسة، التي أهلكت الحرث والنسل، وأتت على الأخضر واليابس، فتراب كلّ منطقةٍ يشهد بأنّكم سلبتم الحَبّ حتى من منقار الطائر، واستخرجتم المخ من العظم، وضاعفتم الخراج أضعافًا للزراع، فأصبحوا يسألون الناس إلحافًا وأنتم تسألونهم فوق الجهد، وتكلّفون نفوسهم فوق الوسع، أهذا عدلكم؟!»[١]، وكانت إدارة المعتمد البريطاني تجبي نوعين من الضرائب من السكّان: ضريبة العين، وضريبة النقد، وكانت هذه الضرائب لا تخضع لمعايير سليمة، وتتم على أساس التخمين بالنظر وكان الخاسر دائمًا هو الفلّاح المنتج، وتشير تقارير الحكّام السياسيين في المناطق الزراعية، إلى أنّ جلّ وقتهم قد صرف للاهتمام بالشؤون المالية، التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى جباية الضرائب غير المشروعة للإدارة البريطانية، ومن هنا يتبيّن لنا بأنّ الفئات الاجتماعية الفقيرة والكادحة في الريف والمدينة - وهي تشكّل غالبية السكان - كانت تتعرض إلى عمليات نهبٍ منظمةٍ وجشعةٍ واستغلالٍ شديدٍ من جانب سلطات الاحتلال البريطانيّة، تساوت مع أساليب أجهزة الولاة العثمانيين إضافة إلى استغلال الشيوخ، وكبار مُلّاك الأراضي الزراعية، والبرجوازية التجارية والربوية المتنقلة بين الريف والمدينة، ومن هنا أيضًا يتبيّن بوضوح لِماذا كانت جموع الفلاحين الجيشَ الأساس لهذه الثورة الوطنية[٢].

١. البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ص ٣٦.

٢. م، ن، ص٣٩.

رابعًا: العامل العسكري: ومن أهمّ الأسباب التي اشتمل عليها العامل العسكري ما يأتي:

١. **الثورة لأجل الاستقلال**: تشير الدراسات التي تناولت هذه الحقبة من تاريخ العراق المعاصر – وكذا المضابط والبيانات التي صدرت حينذاك والصحف التي عالجت مهمات الثورة – إلى أنّ الهدف المركزي لثورة العشرين الكبرى تمثّل في تطلع العراقيين إلى الاستقلال والحرية، وإلى التخلّص من السيطرة الأجنبية البريطانية؛ أي في النضال من أجل إقامة الدولة العراقية المستقلّة، وهي مفاهيم حديثة – بطبيعة الحال – لم تكن مألوفةً في حياة العراقيين قبل ذلك التاريخ، فجلُّ ما كان يطرحه العاملون في الحقل السياسي حتى ذلك الوقت كان مقتصرًا على الحصول على الحكم اللامركزي في إطار الدولة العثمانية.

٢. **اشتراك كلّ فئات الشعب واتّحادهم**: ومن اللافت للنظر في هذه الثورة الخالدة مساهمة مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية الريفية فيه؛ إذ كان الريف في ذلك الحين يضمّ السواد الأعظم من سكّان العراق؛ حيث المعاناة اليومية من الضغوط والاستبداد والجهل والمرض والفقر[١]، وهي معاناة كانت منتشرةً بين سكّان كثيرٍ من المدن العراقية أيضًا، وبين البدو من بعض القبائل والعشائر المتنقلة، أو شبه المستقرة، وإذا كانت المدن العراقية تشهد قبل ذاك صراعاتٍ بين الريف والمدينة من جهة، وبين البادية والمدينة من جهة ثانية – كانت المدن تتعرض إلى اجتياحات القبائل المستمرة – فإنّها ولأول مرة تعيش في جوٍّ من التعاون والتنسيق لصالح فكرة الخلاص من الهيمنة البريطانية.

---

١. علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ص١٣٦.

٣. تأثير فتوى المرجعية في تحشيد الجماهير وتوحيد الكلمة: كما في معارك البصرة[١]، ومعارك التعبئة لثورة العشرين، وتجلّت أهميّة رجال الدين في قدرتهم على التأثير على شيوخ العشائر وأفرادها، وفي تمكّنهم من توحيد كلمتهم، وجمع شملهم حول مطالب معينة، يتوجهون بها إلى سلطات الاحتلال البريطانية، وقد تجلّت نشاطات هذه القوى الاجتماعية السياسية في فعاليات الأحزاب والجمعيات السياسية، التي تشكّلت في العقد الثاني من القرن العشرين، وهي: حزب العهد العراقي، الذي انشطر عن جمعية العهد التي تشكلت في عام ١٩١٣، وجمعية حرس الاستقلال، والجمعية الوطنية الإسلامية ذات الطابع المحلّي، وعمدت هذه الأحزاب إلى شرح الأهداف السياسية للفئات الاجتماعية المختلفة، ثم طرحتها في شعارات محددة بغية تعبئة الناس وتحريك الشارع في سبيل انتزاع الاستقلال.

٤. وضع العراق تحت الانتداب البريطاني: وبدلًا من الاستجابة لمطالب العراق ومراعاة مشاعر الشعب ورغبته في الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية؛ أصدرت عصبة الأمم قرارًا مجحفًا أثناء انعقاد مؤتمر سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان/ إبريل ١٩٢٠؛ وضع بموجبه العراق تحت الانتداب البريطاني، وكان هذا القرار بمنزلة القشّة التي قصمت ظهر البعير، وفجّرت الثورة في يونيو من العام نفسه، إذ جاء قرار عصبة الأمم بشأن العراق حاسمًا وجائرًا[٢]، وأوردت لائحة

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٩٧.

٢. ورد في لائحة الانتداب ما يلي: «بناءً على نصّ المادة (١٣٢) من معاهدة الصلح، الموقّع عليها في سيفر في اليوم العاشر من شهر أغسطس ١٩٢٠، التي بموجبها قد تنازلت تركية عن كلّ حقوقها وتملّكها في العراق إلى الدول المتحالفة الرئيسة؛ وبناءً على المادة ٩٤ من تلك المعاهدة، التي بموجبها قررت هذه الدول الكبرى، وفقًا للفقرة الرابعة من المادة (٢٢) من الفصل الأول (عهد جمعية الأمم) بأنْ تعترف

الانتداب شروط الانتداب وحقوق بريطانيا على العراق التي كانت فرضًا لهيمنةٍ عسكريةٍ وسياسيةٍ واقتصاديةٍ وماليةٍ غير محدودة، وغير محددةٍ بوقتٍ معين، وقد جُوبه هذا القرار، بالرفض الكامل من جانب المجتمع العراقي.

٥. الضعف العسكري عند قوات الاحتلال البريطاني: لقد شعر العراقيون قبل اندلاع الثورة الكبرى بضعف بريطانيا العسكري، إذ كانت أغلب الفيالق والجيوش البريطانية في دور التسريح بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وقد غادر العراق قوات بريطانية كبيرة لهذا الغرض، وهناك قوات أخرى تتهيّأ للتسريح، وعند انطلاق الرصاصات الأولى لثورة العشرين كانت قطعات الجيش البريطاني تصطاف في إيران في الوقت الذي كانت الدلائل تشير الى قرب اندلاع الثورة في العراق.

خامسًا: العامل النفسي: ويتمثّل في الأمور الآتية:

١. طبيعة المجتمع العراقي: مع أنّ علاقاتٍ واسعةً وطويلةً نشأت بين مجموعاتٍ من البريطانيين العاملين في الشركات التجارية أو في التنقيبات عن الآثار أو في القنصليات البريطانية ذات النفوذ الواسع والعلاقات المتينة مع العراقيين داخل العراق؛ فإنّ البريطانيين لم يدركوا تمامًا طبيعة المجتمع العراقي العشائري البدوي منه أو الريفي ولم يفهموا أهميّة وضرورة احترام كرامة الإنسان والعشيرة، والابتعاد عن توجيه الإهانات شتمًا أو ضربًا أو تماديًا باللفظ الجارح،

بالعراق دولةً مستقلةً، يشترط عليها قبول المشورة الإدارية والمساعد من قبل منتدب، إلى أنْ تصبح قادرةً على القيام بنفسها وحدها، وأنّ تحديد تخوم العراق – سوى ما هو مقرر في المعاهدة المذكورة – واختيار المنتدب، تتفق عليه الدول الرئيسة المتحالفة. وبما أنّ الدول المتحالفة الرئيسة قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية منتدباً من قبلها على العراق...».

وتجنب الاعتقالات دون مبررات ومسوغات توجبه، إضافة إلى الأساليب المرهقة في جباية الضرائب والإتاوات وما شاكلها[١].

٢. **أساليب قوات الاحتلال مع العراقيين**: كما أنّهم عمدوا إلى تغيير أساليب التعامل مع العراقيين، كما أنّ المعلومات المتوفّرة عن الأساليب التي استخدمها الحكام السياسيون، والعسكريون البريطانيون، في المناطق التي كانت تحت إشرافهم على العراقيين تشير إلى أنّها كانت أساليب قهريةً ذات طبيعةٍ ازدرائية، تتسم بالتعالي والاحتقار والتعسّف إزاء سكان البلاد من عربٍ وكُردٍ وغيرهم، إذ كان بعضهم يسعى إلى تركيع العراقيين بحجة أنّهم يرفضون الانصياع للقوانين والتعليمات والأوامر، كتب كمال مظهر أحمد بهذا الشأن يقول: «تكرّرت في كُردستان نفس صورة التعنت والتعالي للحكّام والضبّاط السياسيين الإنكليز، الذين أثاروا بتصرفاتهم استياء مختلف الفئات الاجتماعية في الوسط والجنوب، فإذا كان رجال حاكم النجف السياسي (گرينهاوس) يستعملون السوط حينما كان يمر لفتح الطريق أمامه، فإنّ زميله (الميجر سون) كان يعيد الشيء نفسه بفظاظة أكبر في السليمانية، ويفرض غراماتٍ يومية على عددٍ من الناس البسطاء بحجج واهية، بل كان يجبر الجميع على أنْ يرفعوا فروض الطاعة لأصغر موظّفٍ لديه»[٢].

٣. **إهانات قوات الاحتلال للشعب العراقي**: جاء في وثيقة لجمعية العهد -

١. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، ص٢١٨.

٢. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق، الجذور الفكرية والواقع التاريخي ١٩٠٠-١٩٢٤، ص٨١٩.

فرع الموصل – بشأن الإهانات التي كانت توجه للمواطنين، التي كانت تزيد من غضبهم وكراهيتهم للإنكليز، ما يلي: «لم تترك الحكومة الاحتلالية شيئًا من أنواع الشدة والقسوة إلّا واستعملته مع الآهلين...». وبذلك فإنّ السيد حسن شبر محقًّا إلى حدّ بعيدٍ حينما أشار في هذا الصدد إلى هذه النقطة: «لقد حاولت الحكومة البريطانية تبرير هزيمتها السياسية وأخطائها الكبيرة في العراق، بإلقاء تبعة ما حدث على أرنولد ولسن نائب الحاكم الملكي العام في العراق، لكنّه تبرير غير مقنع؛ لأنّ ولسن كان ينفذ القرارات الصادرة من لندن لقد تعامل ولسن بحقدٍ وذهنيةٍ استعماريةٍ شديدة العداء للآخر ونقل هذه الذهنية إلى غالبية العاملين معه من البريطانيين في أنحاء العراق، ولكن هذه الذهنية كانت تسيطر أيضًا على العاملين في وزارة المستعمرات في لندن[١]، وعلى ذهنية أولئك المهيمنين على الحكم الاستعماري في الهند، أي إنّ سياسة ولسن الحاقدة، وممارساته القاسية ونزعته الاستعمارية الشديدة، التي يريد من خلالها إحكام السيطرة المباشرة على العراق وقد جعلت الأنظار تتوجه إليه على أنّه المخطئ الأول فلم يكن ولسن يتعامل بمرونة سياسية، إنّما بأسلوبٍ استعماريّ خشن».

سادسًا: العامل الوطني والقومي: ويمثّل في الأمور الآتية:

١. الحركات القومية والاستقلالية: فقد كان للحركات القومية الاستقلالية في سوريا وثورة الشريف حسين في الحجاز تأثيرٌ كبيرٌ على الشعب العراقي؛ ولهذا فقد تجاوبت العشائر مع رجال الثورة في بغداد والمدن الأخرى، وشكّلوا الجمعيات والنوادي القومية للتعبير عن روح التضامن القومي بين العراقيين من

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٠٨.

مختلف القوميات والأديان والطوائف وبين إخوانهم في الدول العربية، وكانت هذه الجمعيات سندًا للثورة الكبرى ساعدت في اندلاعها وتعدّ ثورة العشرين الثورة الوطنية التي شاركت فيها كلّ قوميات الشعب العراقي، وكلّ أطيافه وامتدت من الفرات الأوسط الى جنوب العراق وغربه وشرقه وشماله[١].

٢. **دور المثقفين والحركات الشبابية**: وكان لطبقة المثقّفين وطلاب المدارس العالية دورٌ واسعٌ ومهمٌ في تنمية الروح الوطنية والقومية عند الثوّار وحثّهم على مكافحة الاحتلال البريطاني؛ إذ أسهموا بشكلٍ ملحوظٍ في ظروفٍ مختلفةٍ وأوقاتٍ متفاوتةٍ في الحركة الوطنيّة والأحزاب السياسية، وبتأجيج الثورة والمشاركة فيها؛ ولذا كان من الطبيعي أنْ تستخدم سلطات الاحتلال أسلوب القوة ضد المناوئين لسياستها والمحرضين على مقاومتها، فألقت القبض على كثيرٍ منهم، بينما التحق بعضهم بجبهات الصراع مشاركين الثوّار عملياتهم القتالية، وبعضهم الآخر منهم لجأ الى النجف الأشرف وكربلاء والسماوة، ومن الأمثلة على ذلك لجوء محمود رامز وعارف حكمت إلى النجف، وإرسال قيادة حرس الاستقلال حسين علوان وشاكر محمود الخبيرين بالمدفعية إلى الكوفة؛ ليشرفا على المدفع الذي استولى عليه الثوّار، وبواسطته تم إغراق الباخرة (فايرفلاي)، وحينما حرّر الثوّار المدينة اتخذوا دائرة البريد مقرًا للقيادة ورفعوا العلم العراقي[٢].

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص ٢٧.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص١١٩.

المطلب الثاني: أهمّ المعارك والثورات التي سبقت الثورة العراقيّة الكبرى

ثورة النجف الأشرف:

تعدّ النجف الأشرف مدينة مرموقة دينيًّا وفكريًّا وحضاريًّا؛ لذا فقد كان لها الدور الواضح في التأثير على رسم السياسية الداخلية في العراق، إذ إنّها تأتي في مقدمة المدن العراقية في صنع القرار السياسي العراقي، وبرز في مدينة النجف الأشرف خلال العقود الأولى من القرن العشرين عددٌ من العلماء ورجال الدين، الذين كانت لهم إسهاماتٌ فاعلةٌ ليس في الحياة العامة لمدينة النجف الأشرف فحسب، بل في العراق عامة، حيث شهد هذا البلد أحداثًا داخليةً وخارجيةً أثّرت تأثيرًا مباشرًا في واقعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي في إبّان تلك العقود، وكان الشيخ محمد تقي الشيرازي ونجله محمد رضا، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد رضا الشبيبي من أهمّ وأشهر أولئك الأعلام الذين كانت لهم مواقف ورؤى سياسية إزاء قضايا فرضها الواقع السياسي وتطوراته في العراق[١]، وبخاصة في سنوات الحرب العالمية الأولى وبعدها بعقود.

وقد أدرك البريطانيون ومنذ دخولهم بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ حساسية الموقف من المراكز الدينية المقدسة، لاسيّما مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة؛ لذا اتّخذوا قرارًا في بادئ الأمر بالابتعاد عن التواجد العسكري فيها والاستعانة بالموظّفين المدنيين كوكلاء وممثّلين لهم، وفي آب عام ١٩١٧ عيّنت الحكومة البريطانية الكابتن بلفور حاكمًا سياسيًا لمنطقة الشامية والنجف، ولم

١. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ١/ ١١.

يجعل مقرّه في النجف الأشرف، بل جعله في مدينة الكوفة، و أبقى (حميد خان) معاونًا له في مدينة النجف الأشرف، ويبدو أنّ مراعاة بريطانيا لذلك ليس لمكانة هذه المدن المقدسة الدينيّة فحسب، بل للتعرف على التوجهات الاجتماعية والسياسية فيها، فضلًا عن ارتباط الناس عقائديًّا بعلماء الدين، فيكون ولاء المجتمع للمرجع الديني أكثر ممّا هو للقبيلة، بل حتى شيوخ القبائل كان ولاؤهم مطلقًا للمراجع العليا في مدن النجف الأشرف وكربلاء المقدسة[١].

وحدثت مواجهةٌ بين الإدارة البريطانية والسكّان المحلّيين في النجف الأشرف أواخر تشرين الأول عام ١٩١٧، عندما جاء أفراد من قبائل عنزة إلى المدينة مع قافلةٍ من الإبل؛ للتزوّد بالحبوب بناءً على أوامر صادرةٍ من السلطات البريطانيّة لحميد خان، لكن قلة المؤن في المدينة بسبب سوء الموسم الزراعي، أدّت إلى إثارة السخط والاضطراب لدى أهالي النجف، الأمر الذي أدّى إلى قيام بعض الأهالي بالشجار معهم والاستيلاء على بعض إبلهم، فأسرع الكابتن بلفور وزار مدينة النجف الأشرف، واجتمع مع رؤسائها، وطلب منهم إرجاع الأمتعة إلى القافلة، فلم ينفّذوا الطلب[٢]، ويبدو أنّ عدم تنفيذ طلب القائد البريطاني من قبل رؤساء المحلّات في النجف الأشرف، مثّل أوّل ردٍّ من قبل أهالي النجف الأشرف على البريطانيين، وعدم تنفيذ أوامرهم أو الاكتراث بقوتهم، وفي الوقت نفسه يعدّ تحدّيًا لسلطة الاحتلال وهي في أوجّ قوتها.

وقام الكابتن بلفور بزيارة المدينة مرة أخرى في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧، وطلب الاجتماع مع رؤساء المحلات في البلدة، فلم يحضر سوى عطية أبو كلل

١. علاء عباس نعمه، محمد تقي الشيرازي الحائري، دوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني، ص١٩.
٢. م. ن، ص٢٠.

زعيم محلة العمارة، وكاظم صبّي زعيم محلة البراق، وكان اللقاء متوترًا بين الطرفين فحدثت مشادةٌ كلاميةٌ بينهما أدّت إلى قيام بلفور بصفع كاظم صبي الذي بدوره رَّد عليه الصفعة (وهذه هي جزء من الإساءات والإهانات التي قام بها الاحتلال وجنوده مع الشعب العراقي عمومًا والثوار خصوصًا وهي أحد الأسباب الرئيسة التي تسببت في قيام الثورة)، الأمر الذي أدى الى قيام أتباع عطية أبو كلل والأهالي بالهجوم على مقر الحاكم وأشعلوا فيه النار، ممّا اضطر بلفور اللجوء إلى السيّد كاظم اليزدي ليخلصه من هذا المأزق، وقام السيد اليزدي بالتدخل، وأنهى الأزمة، وطلب من بلفور مغادرة المدينة، والعفو عن عطية أبو كلل وكاظم صبّي، فما كان من بلفور إلّا الاستجابة لهذا الطلب[١].

تراجعت السلطات البريطانية عن موقفها المتشنّج وقرّرت تزويد النجف بالحبوب، ومنع نقلها من منطقة الفرات الأوسط إلى بغداد، وفي الأول من شباط ١٩١٨، تم تعيين الكابتن مارشال معاونًا للحاكم العسكري لمدينة النجف الأشرف بدلًا من حميد خان، ويبدو أنّ تراجع البريطانيين هذا يأتي لتعزيز سيطرتهم بعد ما لاقوه من النجفيين، دفع الحماس المتزايد الفريق الثاني من فروع جمعية النهضة الإسلامية إلى إضرام نار الثورة في النجف الأشرف دون علم الجناح الأول، وكان أشدّهم حماسًا الحاج نجم البقال، فقد اجتمعوا في محلة الحويش، وأقسموا بالقرآن الكريم على أنْ يهجموا مجتمعين على مقرّ الحكومة، وأنْ يقتلوا كلّ من فيه من البريطانيين؛ ليكون ذلك أوّل مشروعٍ في سبيل مقاصد الجمعية، مستغلين تجمع الوافدين من أبناء العشائر إلى المدينة لزيارة مرقد الإمام

١. م، ن، ص ٢٦.

علي عليه السلام بمناسبة عيد النوروز، فيسهل ذلك نقل أخبار الثورة إلى مختلف مدن العراق (وهذه الغاية مهمة جدًا تكشف عن مدى وعي الثوار وتخطيطهم الدقيق للثورة وتحركاتها)، وتم تعيين ساعة الصفر[١]، فاقتحم الثوّار خان عطية أبو كلل في فجر يوم الثلاثاء ١٩ آذار ١٩١٨، الذي كان مقرًّا للحاكم البريطاني الكابتن مارشال وأفراد القوة من الجيش، وقتل نجم البقّال الكابتن مارشال، وأصيب الطبيب الذي كان معه، واشتبكوا مع القوة الموجودة في الخان، وقد نقلوا المصابين والقتلى إلى داخل المدينة، وهدأت الحالة.

ولم يعرف البريطانيون بادئ الأمر أنّ مصدر هذا العمل من النجف أو غيرها، وبعد مضي ساعتين من نهار ذلك اليوم دخل رجال الخفر على عادتهم فوجدوا في سوقها أفرادًا من الجمعية حاملين سلاحهم، فحاولوا أخذ بنادقهم فرمى أحدهم رجال الخفر، فقتل اثنين منهم. ووضح عند ذاك لدى الحكومة المحتلة أنّ الثائرين عليهم هم النجفيون، واجتمع في ذلك اليوم أعضاء جمعية النهضة الإسلامية، وقد بلغهم أنّ القوات البريطانية عزّزت مراكزها حول المدينة بجنود أُرسلت من الحلة، واتفقوا على محاربة الإنكليز ومكافحتهم مهما كلّفتهم الظروف، وحسبوا للحرب حسابها وحدّدوا الأعمال الواجبة عليهم[٢]، وانقسموا بين الأعمال الليلية والأعمال النهارية، وعيّنوا حصونهم المنيعة في داخل المدينة وخارجها، وواظبوا في ذلك اليوم خوفًا من هجوم الحكومة المحتلة على المدينة المقدسة، وبعد مرور ثلاثة أيام للواقعة قاموا بحفر الخنادق، وأعّدوا الحصون، وعيّنوا لكلّ ليلةٍ عددًا من الرجال للحراسة والرصد، وكان للشيخ محمد جواد الجزائري دورٌ بارزٌ في

١. الحسني، عبد الرزاق، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، الجزء الأول، ص ١٠٩.

٢. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٢٣٣-٢٣٤.

توفير الذخائر الحربية، فقد كان يقوم بصنع الذخيرة للثوّار في بيته.

قررت القوات البريطانية حصار المدينة في ٢٥ آذار ١٩١٨، وضمّها إلى الإدارة العسكرية، ووضعت شروطًا لفكّ الحصار، منها تسليم الثوّار، ودفع غرامة ألف بندقية، وخمسين ألف ربية، وتسليم مئة شخصٍ من المحلّات الثائرة لإبعادهم عن النجف بصفة أسرى حرب، وقد حاول الثوّار فكّ الحصار عن المدينة، ولكنّهم لم يفلحوا، وقد استمر الحصار(٤٥) يومًا، وقطع الماء والغذاء عن المدينة، ومنع الدخول والخروج منها، عززت بريطانيا قواتها العسكرية في النجف الأشرف بقيادة الكابتن بلفور[١]، فطوّق المدينة بالجنود والخنادق والأسلاك الشائكة، ووقف رجال جمعية النهضة الإسلامية ومعهم رجال المدينة مدافعين عن مدينتهم، واشتدّ القتال بين الطرفين، الأمر الذي دعا قادتها إلى توجيه مدافعها ورشاشاتها وقواتها المدرعة نحو التل الجنوبي المطلّ على المدينة، ثم قامت بالهجوم عليه، وقام الثوّار بهجمةٍ معاكسةٍ لهجوم الإنكليز، فارجعوا القوات المحتلّة على أعقابها، وفي الوقت نفسه كتبت جمعية النهضة في اليوم السادس لنشوب الحرب عددًا من الكتب إلى القبائل القريبة من النجف تطالبها فيها بواجبها الديني والوطني، وطالبتهم بالهجوم على مدينة أبي صخير؛ لفكّ الحصار عن النجف، وشرعت المدفعية البريطانية بقصف مدينة النجف الأشرف صباح يوم الأحد٧ نيسان ١٩١٨، ودام القصف لمدة ساعة، فدخلت القوات المحتلة المدينة من جهة التل الجنوبي وتمت السيطرة، وتشكّلت محكمة عسكرية خاصة في ٥ أيّار ١٩١٨ في دار إقامة بلفور في الكوفة لمحاكمتهم، وأصدر الحاكم

١. الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، ص١٩٣

المدني في بغداد أوامره في ٩ أيّار ١٩١٨ على ترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري الموجود في السجن المدني في بغداد الى الهند مع بقية سجناء الحرب من أهالي النجف الآخرين[١] .

١. وعلى إثر ذلك أرسل الشيخ محمد تقي الشيرازي رسالةً إلى آرنولد ولسن الحاكم المدني في العراق في ١٣ أيّار ١٩١٨، طلب فيها العفو عن الشيخ الجزائري كونه من العلماء الأعلام وله المنزلة الرفيعة في المجتمع، وإنّ ذلك يوجب الامتنان والشكر عند العلماء خاصة والمجتمع النجفي على وجه العموم، فلم يكترث ارنولد ولسن إلى رسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي، بل قام بإرسال كتاب في ٢٣ أيّار ١٩١٨ الى قائد قوات بلاد ما بين النهرين في الجيش البريطاني في العراق يأمره باتخاذ الإجراءات اللازمة بترحيل الشيخ الجزائري من سجنه في بغداد إلى الهند، أرسل رئيس مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق برسالةٍ جوابيةٍ إلى شيخ الشريعة الأصفهاني في٢١ تموز ١٩١٨، أخبره باطلاعه على رسالته، واستجابة لطلبه أمر الحاكم المدني بأنْ يبلغ سماحة شيخ الشريعة بأنّ الشيخ محمد جواد الجزائري ستوقّع إقامته في مدينة المحمرة إلى نهاية الحرب، وصدرت الأوامر من مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق بإطلاق سراح الشيخ محمد جواد الجزائري والسماح له بالعودة إلى مدينته النجف الأشرف. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٤٦- ١٤٧.

أثر ثورة مدينة النجف الأشرف:

غيّرت ثورة النجف الأشرف اتّجاه البريطانيين في تعيين الحكّام، فبعدما كانوا يعملون على أساس أنْ يكون جميع الحكّام من الإنجليز كما هو الحال في الهند، أصبحوا يعتقدون بضرورة تعيين الحكّام من العرب والعراقيين مع إجراء إصلاحات إدارية، فضلًا عن تغيير خططهم في أساليب الإدارة.

وقد تميّزت ثورة النجف الأشرف عام ١٩١٨ بأنّها أول مواجهةٍ وطنيةٍ ثوريةٍ ضدّ الاحتلال البريطاني على الرغم من عدم انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان البريطانيون يدركون خطورة هذه الثورة لما تمثّله مدينة النجف الأشرف من بُعدٍ كبيرٍ في العالم الإسلامي عامة وعند الشيعة على وجه الخصوص؛ فهي مركز المرجعيّة، ومقرّ الحوزة العلميّة التاريخي في العالم الشيعي. وقد أعقب ثورة النجف تطوّراتٌ سياسيةٌ مهمّةٌ على الساحة العراقية تمثّلت بثورة العشرين، وكانت ثورة النجف عام ١٩١٨ العامل الأساس في تنبيه العراقيين لأعمال الحكومة البريطانية التي جاءت لاستعمار العراق، على الرغم من عدم تحقّق كافة أهدافها؛ لعدم التزام الجناح العسكري لجمعية النهضة الإسلامية في توقيت إعلان الثورة، فضلًا عن وجود الفارق في القوة العسكرية بين الطرفين، وقيام البريطانيين باجراءاتٍ تعسفيةٍ بحق أهالي المدينة من خلال الحصار الذي أعقبته حملةٌ من الإعدامات والنفي.

وتعدّ هذه الثورة حدثًا مهمًّا من الناحية الاجتماعية والسياسية؛ فهي تعطي صورةً واضحةً من صور المجتمع النجفي في رفضه للاحتلال والوقوف بوجهه، وتعدّ أول ثورةٍ في العراق تُعلن ضدّ الوجود البريطاني[١].

١. آل وهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، ٢/ ٩٩ - ١١١.

اجتماعات الثوّار والاستعداد للثورة الكبرى:

تواصلت اجتماعات القوى الوطنيّة، فقد عُقد اجتماعٌ مهمٌّ في منزل السيد علوان الياسري في النجف في١٦ نيسان ١٩٢٠م، حضره نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا)، وعددٌ من رجال الدين ورؤساء العشائر، وطُرحت في هذا الاجتماع فكرة الثورة المسلّحة ضد البريطانيين لأول مرة، وقد أيّدها بعضٌ منهم، وعارضها بعضٌ آخر، واتفق على تأجيل فكرة الثورة المسلّحة، والعمل على التمهيد لها عن طريق التوعية الوطنيّة والدينيّة، كما قرّر المجتمعون اتّخاذ عددٍ من الخطوات السياسيّة المكملة في مواجهة المحتلّين ومن ذلك:

١. تأسيس جمعية باسم (الجمعية الإسلامية) مركزها كربلاء، ولها فروع في كلّ العراق، يرأسها الشيخ محمد تقي الشيرازي.

٢. توزيع منشورٍ بتوقيع الشيخ الشيرازي يأمر بالوحدة، وجمع الشمل، والتعاضد في كلّ المهام.

٣. جعل يوم الجمعة يوم الشعب، تُعطل فيه المكاسب ويترك البيع والشراء، وتنصب المنابر في الساحات ليتبارى الخطباء.

وعُقد اجتماعٌ موسّعٌ في النجف الأشرف بتاريخ٢٠ نيسان ١٩٢٠م، ضمّ عددًا من رجال الدين البارزين، وشيوخ العشائر والوجهاء، قرر خلاله المجتمعون إرسال هادي زوين ومحسن شلاش، وهما من وجهاء مدينة النجف وساداتها إلى بغداد؛ لبحث الوضع السياسي هناك كمندوبين عن منطقة الفرات الأوسط[١]، وإثر ذلك عُقد اجتماعٌ موسّعٌ في بغداد بتاريخ٢٢ نيسان من العام ذاته، حضره أعضاء من جمعية حرس الاستقلال، وبيّن هادي زوين للمجتمعين

١. آل وهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، ٢/ ١١٢.

عن استعداد أهالي منطقة الفرات الأوسط وتأهبهم لمقاومة البريطانيين، وطلب منهم تحديد موقفهم، فأجابه جعفر أبو التمّن بأنّ البغداديين مستعدّون للسير على نهج علمائهم، وقرّر المجتمعون بعد ذلك إيفاد أبو التمّن مندوبًا عنهم إلى كربلاء للاتصال والاتفاق مع الشيخ الشيرازي خلال زيارة الخامس عشر من شعبان، ثم عُقد اجتماع في النجف الأشرف في (٦ حزيران) من العام ذاته فحضره وجهاء المدينة وعددٌ من رجال الدين ورؤساء العشائر القريبة من المدينة، وتم اختيار ستة مندوبين، من أبرزهم الشيخ جواد الجواهري، والشيخ عبد الكريم الجزائري وغيرهم، وعندما سمع الشيخ الشيرازي بهذا الأمر كتب إلى المندوبين الستة رسائل تشجيع على ذلك الاجتماع الذي يهدف إلى المطالبة بحقوق البلاد.

من جهةٍ أخرى أرسل رجال الدين وزعماء العشائر في النجف رسائل رفقت معها رسالة الشيخ الشيرازي إلى بقية الزعماء والرؤساء في الفرات الأوسط، فضلًا عن إرسال رسالةٍ أخرى ذات صيغةٍ احتجاجيةٍ إلى حاكم لواء النجف والشاميّة يحذرونه من خطر اعتقال نجل الشيخ الشيرازي، ووجهوا رسالةَ أخرى إلى مندوبي بغداد والكاظمية طالبين فيها تضامنهم مع قضية إخوانهم في كربلاء والفرات الأوسط، إذ احتجّوا بدورهم على سلطات الاحتلال. أدّت عملية الاعتقال والنفي للنخبة من الثوار من أهالي كربلاء والحلّة الى تأزمٍ واحتقانٍ كبيرين في صفوف العامة، فيما نشر خبر مفاده أنّ الشيخ الشيرازي قرّر مغادرة البلاد، فبدأت تصل الكثير من الكتب والرسائل الى كربلاء ولاسيّما من رجال ووجهاء مدينة النجف، عبّر فيها أصحابها عن تضامنهم وتأييدهم للشيخ الشيرازي[١].

١. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ١/ ١٦.

الثورة في كربلاء المقدسة:

بإلحاحٍ من الحاكم السياسي الميجر تايلر الذي وجّه دعوةً إلى جميع الزعامات السياسيّة والدينيّة في مدينة كربلاء المقدسة لإبداء رأيهم بالاستفتاء ونتائجه، إلّا أنّ الحاضرين طلبوا منه مدة ثلاثة أيام؛ لأنّهم لا يمثّلون عامة الناس، بعدها عقدوا اجتماعًا في منزل الشيخ محمد تقي الشيرازي تداولوا فيه الأمور السياسيّة التي تمخضت عن الاستفتاء، وقد اختلفت الآراء وتعدّدت وجهات النظر حتى استقر الرأي أخيرًا على مضبطة وقّعها عددٌ من الحاضرين جاء فيها: «وقد اجتمعنا نحن أهالي كربلاء رأينا على أن نستظلّ بظلّ رايةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ فانتخبنا أحد أنجال سيّدنا الشريف حسين ليكون ملكًا علينا مقيّدًا بمجلسٍ منتخبٍ من أهالي العراق لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة وما تقتضيه شؤونها»[١].

وقد أراد الشيخ الشيرازي مع مؤيّديه وأنصاره من الوطنيين الكربلائيين أنْ يقطع الطريق على أيّة محاولةٍ بريطانيّةٍ لتنظيم مضبطةٍ أخرى مؤيدةٍ لهم، فعندما سُئل عن الطريق والمنهج الواجب اتّباعه في عملية الاستفتاء وكان نصّ السؤال هو: (فهل يجوز لنا انتخاب غير المسلم للإمارة والسلطنة علينا أم يجب علينا اختيار المسلم، بيّنوا تؤجروا ؟)، وكان جوابه: (ليس لأحدٍ من المسلمين أنْ ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين)[٢]، صدرت هذه الفتوى في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٩م، وقد أيّدها سبعة عشر عالمًا دينيًا في كربلاء كما أُرسلت نسخٌ عديدةٌ من هذه الفتوى الى عشائر الفرات والجنوب وغيرها، ممّا أدّى الى تأزم الموقف ضد البريطانيين الذين ازدادوا صرامة.

١. م. ن، ص٢٧.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٢٠.

وقد حاول البريطانيون الردّ على المضبطة التي نظّمها الوطنيّون في كربلاء بطريقتين: الأولى هو رفضهم استلام المضبطة بحجة أنّها لم تسلّم في الوقت المناسب، والثانية هو تنظيم مضبطةٍ أخرى بديلةٍ عن طريق بعض مؤيديهم، فتمكّن الحاكم البريطاني للحلة الميجر بوفل من إغراء بعض الأشخاص لكتابة مضبطةٍ مؤيدةٍ للبريطانيين، ولم يستطع البريطانيون اعتماد المضبطة الأخيرة كمضبطةٍ معبّرةٍ عن آراء أهالي مدينة كربلاء؛ لأنّ الموقّعين عليها هم من الناس الذين لا يمثّلون الوجهاء والشخصيات الحقيقية الكربلائية[1]، وكذلك ربما خوفًا من ردّة فعل المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي الذي استطاع بفتواه ضد الاستفتاء أنْ يهدّد مصالح البريطانيين؛ لذلك أهملت المضبطتين معًا، لكن الشيخ الشيرازي أرسل نسخةً من المضبطة الأولى إلى الشريف حسين في الحجاز بيد الشيخ محمد رضا الشبيبي ليستند عليها عند مطالبته البريطانيين بتنفيذ وعودهم التي قطعوها، وعُقد اجتماعٌ سري ليلًا في أيّار ١٩٢٠م، في كربلاء في منزل السيّد أبو القاسم الكاشاني، حضره عددٌ من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الأوسط، كجعفر أبو التمن، وعبد الكريم الجزائري، ومحسن أبو طبيخ، عبد الواحد الحاج سكر، وشعلان أبو الجون، وهبة الدين الشهرستاني وآخرين، تداول فيه المجتمعون قضية الثورة المسلّحة ضد الوجود البريطاني في العراق، وتمّ الاتفاق أخيرًا على ضرورة أخذ رأي الشيخ الشيرازي في هذه المسألة الخطيرة، فاختاروا خمسة مندوبين منهم لمقابلة الشيخ الشيرازي وهم: عبد الكريم الجزائري، وجعفر أبو التمن، ونور الياسري، وعلوان

---

١. م، ن.

الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، واجتمع المندوبون الخمسة مع الشيرازي في منزله في ٤ أيّار ١٩٢٠م، ويعدّ هذا الاجتماع من أهمّ الاجتماعات التي عُقدت قبل الثورة. فاتح المندوبون الشيخ الشيرازي في الموضوع، فقال لهم: (إنّ الحمل ثقيل وأخشى ألّا يكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة)، فأكّدوا له أنّ العشائر لها القدرة على القيام بالثورة، فردّ عليهم: (أخشى أنْ يختلّ النظام ويُفقد الأمن فتكون البلاد في فوضى، وأنتم تعلمون أنّ حفظ الأمن أهمّ من الثورة، بل أوجب منها)، فردّوا عليه بأنّهم قادرون على حفظ الأمن والنظام في البلد، عند ذلك أجابهم الشيرازي بقوله: (إذا كانت هذه نيّاتكم وهذه تعهّداتكم فالله في عونكم).

أحدثت الفتوى هيجانًا عامًا في العراق، وبات توقيت إعلان الثورة مجرد أيام، فعقد علماء الدين والشخصيات ورؤساء العشائر اجتماعاتٍ للتداول واتخاذ الخطوات وتوزيع المهام، حتى أعلنت الثورة يوم (٣٠ حزيران ١٩٢٠م)[١]، وكانت اجتماعات قادة الثوار والتحرر الوطني في تلك الأيام تتوالى في المساجد والدواوين في كربلاء وغيرها من المدن العراقيّة، كما كانت الاتصالات مع رؤساء العشائر تجري على قدمٍ وساقٍ وأجراس الثورة تدق، وأصواتها تتعالى شيئًا فشيئًا لتملأ أسماع العراقيين جميعًا وفي الوقت نفسه كان البريطانيون يزدادون هستيرية وعنفًا في قمع نشاطات الحركة الوطنيّة، إذ منعوا المواليد التي كان يجتمع خلالها الناس وتُلقى الخطب الوطنيّة فيها، فقد أصدر القائد العام البريطاني قرارًا بمنعها، وأنذر بإنزال أشدّ العقوبات بحقّ المخالفين. أدّت

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٥١.

السياسة البريطانيّة هذه الى هياج الرأي العام العراقي، ودفعهم إلى التظاهر ضد الاحتلال البريطاني[١]، ورفع الثوّار المشاركون في التظاهر مذكرة للسلطات البريطانيّة تضمّنت جملةً من المطالب وكان منها:

١. تأليف مؤتمر يمثّل الشعب العراقي، ليقرر شكل الإدارة الوطنيّة وعلاقاتها بالدول الأجنبية.

٢. إطلاق حرية الصحافة والمطبوعات؛ ليستطيع الشعب التعبير عن آماله وتطلعاته الوطنيّة.

٣. رفع الحواجز البريديّة والبرقيّة بين أنحاء البلاد، وبينها وبين الدول الأخرى.

وكان الشعب العراقي في تلك الأيام ينتظر مَنْ يطلق الطلقة الأولى، لتنبعث شرارة الثورة إلى شتى أنحاء العراق بعد أنْ أقدمت قوات الاحتلال على اعتقال الشيخ شعلان أبو الجون رئيس قبيلة الظوالم المعروف بعدائه للاحتلال البريطاني، وسبب اعتقاله هيجانًا كبيرًا في صفوف العشائر، وفي ذلك الوقت بعث كل من الشيخ الشيرازي ونجله (محمد رضا) رسالتين في ٢٦ أيّار من العام ذاته الى الحجاز، الأولى موجّهة من الشيخ الشيرازي إلى الأمير فيصل بن الحسين، والثانية موجّهة من نجله (محمد رضا) إلى الأمير علي بن الحسين ولي عهد مملكة الحجاز، وأضاف الشيخ (محمد رضا) في رسالته عن عزم أبيه ومجموعة من العلماء على السفر الى إيران لأنّه: «كبر عليه أنْ يرى تحقير المسلمين وازدرائهم من أعدائهم»[٢]. أرسلت هاتين الرسالتين بوساطة الشيخ محمد باقر

١. م، ن، ص٣٥٣.

٢. م، ن، ص٣٥١.

الشبيبي الذي توجّه من كربلاء إلى النجف، ومن ثم استعدّ للسفر من هناك الى الحجاز، لكن الظروف التي كان يمرّ بها العراق حالت دون سفره، ورجع جعفر أبو التمن الى بغداد بعد انتهاء اجتماع كربلاء الأخير، وعُقد في بغداد اجتماعًا موسّعًا حضره يوسف السويدي، والسيد محمد الصدر، وعلي البازركان، وسعيد النقشبندي، وجعفر أبو التمن، حيث قدّم الأخير تقريرًا عن نتائج زيارته الى كربلاء، وقرّر المجتمعون إقامة المظاهرات السلمية ضد البريطانيين، وشارك في تلك المظاهرات عددٌ غير قليلٍ من زعماء الفرات الأوسط، كما أقيمت احتفالاتٌ كبيرةٌ في جوامع بغداد وشارك في تلك الاحتفالات السنة والشيعة معًا، وكانت تلك الاحتفالات قد مثّلت تمردًّا علنيًّا يدلّ على قرب انفجار الثورة في العراق.

وحاول البريطانيّون إفشال تلك الاحتفالات بطريقتين، الأولى دعوة عددٍ كبيرٍ من الشباب إلى حفلاتٍ أقيمت في منزل المس بيل، بهدف إبعادهم عن الاحتفالات الوطنيّة، والثانية بإرسال السيارات المصفّحة وتسييرها في الشوارع لتفريق المتظاهرين، وعندما فشلت جميع تلك المحاولات، أصدر قائد اللواء البريطاني (ساندورز) أمرًا يمنع تلك الحفلات، واجتمع في كربلاء عددٌ كبيرٌ من وجهاء المدينة في(٤ حزيران ١٩٢٠م) استجابةً لدعوة الشيخ الشيرازي، وقرّروا اختيار مندوبين عنهم لمقابلة السلطات البريطانيّة في العراق، وبعد الحوار والنقاش تم الاتفاق على اختيار الشيخ محمد الخالصي نجل الشيخ مهدي الخالصي، والسيد محمد علي الطباطبائي وغيرهم[١]، إذ نظّم هؤلاء مضبطة صيغت باسم أهالي كربلاء لتمثيلهم أمام السلطات البريطانيّة للمطالبة باستقلال العراق،

١. م، ن، ص٣٥٧.

فضلًا عن المطالبة بتشكيل دولةٍ عربيةٍ يتزعّمها ملكٌ عربي مسلم مقيّدٌ بدستور، وكتب الشيخ الشيرازي في نهاية المضبطة عبارة (صحيح نافع مفيد إنْ شاء الله تعالى).

وخرجت في كربلاء مظاهرةٌ كبيرةٌ حاشدة في (١٢ حزيران ١٩٢٠م)، وفي مساء اليوم التالي خرجت مظاهرةٌ كبيرةٌ أخرى ألقى فيها الشيخ محمد الخالصي خطابًا مثيرًا تحدّى فيه البريطانيين، وكان له أثرٌ كبيرٌ بين صفوف المحتشدين بسبب حسن اختياره للألفاظ والمعاني المثيرة لعواطف المستمعين: «أيها السادة إن الله قد وصفكم بكتابه بأنكم الأعلون وقد جاءتكم بريطانيا تقول أنتم الأدنون ونحن الأعلون، لذلك يجب أن نكون قيمين على شؤونكم وإدارتكم وأموالكم وأنفسكم» وأضاف الخالصي: «نحن لا نريد حربًا مع بريطانيا، ولا مع أحدٍ غيرها من الناس، ولكن الدولة التي تعتدي علينا نقاومها بأرواحنا وأنفسنا»[١]. انتشرت عمليات التعبئة والتهيّؤ للثورة في كربلاء الى بقية المناطق الأخرى القريبة منها، وفي ثاني أيام عيد الفطر أي في (١٩ حزيران) تليت فيه رسالة وردت من الشيخ الشيرازي تدعو العراقيين الى المطالبة بحقوقهم المشروعة بالطرق السلمية[٢]، كما أنّهم أعادوا تلاوة رسالة الشيخ الشيرازي لعدة مرات، والتي انتشر صداها بين القبائل في الفرات الأوسط والوجهاء في المدن، واستجاب أهالي الحلة لدعوة الشيخ الشيرازي فتجمعوا بأعدادٍ كبيرةٍ لانتخاب مندوبيهم في اليوم التالي.

أدّى كلّ ذلك إلى قيام السلطات البريطانيّة باعتقال الثوّار، وقادة التجمعات وإرسالهم جميعًا إلى جزيرة (هنجام) في الخليج العربي، وكانت تلك الاعتقالات

١. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة الدكتور عبد الواحد كرم، ص ٦٥.
٢. م، ن، ص٧٠.

ونفي الثوّار والزعماء الوطنيين أحد الأسباب الرئيسة التي سرعت في اندلاع الثورة، وهذا الأمر زاد الطين بلة عندما تحرّكت قوةٌ بريطانيةٌ إلى كربلاء يقودها الحاكم السياسي (بولي) بنفسه في ٢٢ حزيران ١٩٢٠م، الذي أرسل حينما وصل الى كربلاء كتابًا إلى الشيخ الشيرازي جاء فيه: (إنّ هذه القوة جاءت لحفظ الأمن وإلقاء القبض على عددٍ من الأشرار)، ردّ عليه الشيخ الشيرازي: «إن جلب العساكر لمقابلة الأشخاص المطالبين بحقوقهم المشروعة من الأمور غير المعقولة... ومخالف للعدل ولإرادة الأمة»[١]، وفي نهاية الكتاب هدّد الشيخ الشيرازي البريطانيين إذا لم يرحلوا عن المدينة: (فإنّ وصيتي بخصوص السلم تصبح ملغاةً في ذاتها)، كما حذّر الشيخ الشيرازي الميجر بولي من أنّه إذا استعمل القوة ضدّ حقوق البلاد المشروعة فإنّه: «هو وأمثاله سيتحملون مسؤولية إراقة الدماء»[٢].

كذلك أبرق الشيخ الشيرازي رسائل عديدةً أخرى إلى علماء الدين في النجف ورؤساء العشائر يطلب فيها التواصل مع بقية الرؤساء والزعماء والعمل معًا وفق خطّةٍ توقف هذه الأعمال البريطانيّة، من جهةٍ أخرى أرسل زعماء العشائر ورجال الدين في النجف رسائل رفقت معها رسالة الشيخ الشيرازي إلى بقية الزعماء والرؤساء في الفرات الأوسط، فضلًا عن إرسال رسالة أخرى ذات صيغةٍ احتجاجيةٍ إلى حاكم لواء النجف والشاميّة يحذروه من خطر اعتقال نجل الشيخ الشيرازي، ووجّهوا رسالةً أخرى إلى مندوبي بغداد والكاظمية طالبين فيها تضامنهم مع قضية إخوانهم في كربلاء والفرات الأوسط، إذ احتجّوا

١. الشرقي، علي، الأحلام، ص ١٠٨.
٢. م، ن، ص١٠٩.

بدورهم على سلطات الاحتلال.

أدّت عملية الاعتقال والنفي للنخبة من الثوار من أهالي كربلاء إلى تأزّمٍ واحتقانٍ كبيرين في صفوف العامة، فيما نشر خبر مفاده أنّ الشيخ الشيرازي قرّر مغادرة البلاد، وبدأت تصل الكثير من الكتب والرسائل الى كربلاء ولا سيّما من رجال ووجهاء مدينة النجف، عبّر فيها أصحابها عن تضامنهم وتأييدهم للشيخ الشيرازي[١]، كما كان لنفي (أحرار كربلاء) صدى كبير في كثيرٍ من مناطق العراق الأخرى، ولا سيّما منطقة الفرات الأوسط بين الأوساط العشائرية على وجه التحديد، إذ عُقد اجتماعٌ عشائريّ في منزل عبد الكاظم الحاج سكر في منطقة المشخاب في ٢٨ حزيران، وانتهى الاجتماع بتوجيه عريضةٍ إلى الحاكم السياسي البريطاني لمنطقة النجف والشامية تطالب بإطلاق سراح الثوّار المعتقلين والمنفيين وعودتهم الى بلادهم، كما أرسل المجتمعون رسائل عديدةً الى رؤساء عشائر بني حجيم في الرميثة، ومن أبرزهم الشيخ شعلان أبو الجون، وحاول البريطانيون تخفيف حدة التوتر والاحتقان والغضب الشعبي العارم[٢]، فقد أرسل الحاكم السياسي البريطاني إلى أحد شيوخ عشائر آل فتلة وهو (مجبل آل فرعون)، وعُقد الاجتماع في الأول من تموز، حضره عددٌ قليلٌ من شيوخ آل فتلة، وطالب عبد الواحد الحاج سكر البريطانيين إطلاق سراح ثوار كربلاء، كما اجتمع الحاكم السياسي البريطاني مع بعض علماء النجف ومنهم العلامة الجزائري والعلامة الجواهري، وطلب منهم التوسّط لدى الشيخ الشيرازي والتخفيف عليه من(نفي نجله)، فردّ عليه الجزائري أنّ أولاد الشيرازي هم

١. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ١/ ١١.

٢. الشرقي، علي، الأحلام، ص ١١٠.

أحرار كربلاء وأحرار الحلة جميعًا، وأنّ الشيخ الشيرازي ينظر الى جميع العراقيين بصفتهم أولاده وانتهى الاجتماع.

واعترف بعض القادة السياسيين البريطانيين بأنّ اعتقال نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا)، قد حفّز العشائر على التمرّد ضدّهم بسبب الاحترام الكبير الذي كانت تكنه هذه العشائر للمرجعية الدينيّة، وأنّ خوفهم الرئيس يكمن في اجتياح أمواج الحماس الدينية عند العشائر الجنوبيّة من العراق، كما اعترف البريطانيون بأنّ سياسات (آرنولد ويلسن) المتهورة كانت السبب الرئيس لاندلاع الثورة ضدهم[١]، وبذلك فقد أصبحت مدينة كربلاء في عهد الثورة ذات أهميةٍ كبرى وذلك لسببين، هما: وجود المرجع الشيعي الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي فيها، وقرب المدينة من جبهات القتال.

وبعد معركة الرارنجية التي حدثت يوم ٢٥ تموز قررت كربلاء الانضمام إلى الثورة حيث اجتمع رؤساء البلدة بمعاون الحاكم السياسي محمد خان بهادر، وطلبوا منه تسليم كل ما لديه من صلاحيات إلى هيأةٍ وطنيةٍ ينتخبها رؤساء البلدة، فطلب منهم محمد خان مهلة يومين، وقد حاول محمد خان بهادر خلال هذه المهلة الالتفاف على رؤساء البلدة بالاتفاق مع مدير شرطة المدينة ولكن محاولته فشلت وعندئذٍ التجأ كلٌّ من محمد خان بهادر ومحمد أمين، ومعهم عريف بالجيش الإنجليزي لدار الشيخ محمد رشيد الصافي وبعدها تطوّع الشيخ فخري كمونة بحماية الثلاثة، وقام بإخراجهم من المدينة بأمان، وفي اليوم التالي اجتمع رؤساء البلدة ووجهاؤها بالشيخ الشيرازي وتقرر عندئذ تشكيل مجلسين لإدارة

---

١. م، ن.

المدينة هما الشعبي والوطني مهمتهما الإشراف على المدينة وجباية الضرائب فيها وتعين الموظفين والشرطة، وبعد وفاة الشيخ محمد تقي الشيرازي في يوم ١٧ آب تمّ حلّ المجلسين اللذين تشكّلا بعد إعلان الثورة في كربلاء، وبعد وفاة الشيرازي ظهرت الحاجة لتعين متصرّفٍ في مدينة كربلاء يشرف على شؤون الأمن والنظام، وذلك حسمًا للخلافات التي بدت بوادرها بالظهور بين رؤساء ومشايخ المدينة من أجل السلطة فتقرر اختيار محسن أبو الطبيخ متصرّفًا على المدينة حيث جرى تنصيب أبو طبيخ في يوم ٦ تشرين الأول، قامت القوات الإنجليزية بشنّ هجومٍ واسعٍ في المناطق الوسطى؛ وذلك لاسترداد ما فقدته من مدن ومناطق وكان لسقوط مدينة الهندية (طويريج) في يوم ١٣ تشرين الأول بيد القوات الإنجليزية الأثر الأكبر في نشر الخوف والرعب ما بين الأهالي في مدينة كربلاء، عندها قرّر وفد يمثل شيوخ ووجهاء المدينة بالذهاب إلى مقرّ قوات الإنجليزية والمتمركز في مدينة الهندية[١].

ثورة مدينة الحلة:

كان لمدينة الحلة باعٌ طويلٌ في الحرب العالمية الأولى حيث استطاع (السيد محمد علي القزويني) تجنيد الآلاف من أبنائها للوقوف صفًّا واحدًا مع الجيش العثماني، وكلّما تقدم الوقت تقدّمت قطعات الحلفاء لاحتلالها مناطق العراق الواحدة تلو الأخرى، فازدادت همّة الحلّيّين ولهفتم وحماسهم بتأييدهم للعثمانيين، وعملوا بجدٍ وقوةٍ من أجل التصدّي للاحتلال البريطاني، ومع استمرار تفاقم الوضع كان الحلّيّون مهتمين في عقد الاجتماعات لوضع الخطوط الكفيلة للتصدّي

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص٣١٣.

للقوات البريطانية، فأصدر رجال الدين والعلماء الفتاوى التي تحثّ الناس على ضرورة الجهاد، ومن أبرز تلك الفتاوى فتوى السيد محمد القزويني التي توجب محاربة البريطانيين لكونهم غير مسلمين وكفّار محتلّين[١]، وقد كان لموقف الحلّيّين من الاحتلال البريطاني للعراق ورفضه من قبلهم الدافع المحرك الأساس لهم للإسهام الفاعل في قيام ثورة العشرين والتخطيط والإعداد والإسهام فيها من قبل العديد من أبنائها، وفي مقدمتهم السيد (كاطع العوادي).

جرت عملية التهيئة للثورة من خلال الاتصالات بين الثوّار في مختلف المناطق، وكانت أولى الاجتماعات التي أعدّت لذلك أواسط شهر آذار، فقد عُقد اجتماعٌ سريّ في مدينة النجف، حضره عددٌ كبيرٌ من العلماء ورؤساء العشائر، ويمكننا القول بأنّ مدينة الحلّة كانت مسرحًا تاريخيًّا للسواد الأعظم من أبناء الوطن، الذين أدّوا أدوارهم المشرّفة واثبتوا أنّ التاريخ يكتب بالنور والدماء، وأحيانًا أخرى يكتب بالقداسة والضمير الديني والوطني الحي[٢].

وقد قرّر الشيوخ من قادة الثورة إيفاد الشيخ شعلان العطية إلى عشائر البو سلطان لحثّهم على الإسهام في الثورة، فذهبوا إلى الشيخ شخير والشيخ حنتوش، فكانت استجابتهما عاليةً، ووعدا بتوجيه عشيرتيهما إلى القتال، ثم ذهبوا إلى الشيخ دليمي البرّاك شيخ عشيرة البو مساعد، فانضمّ إليهم أيضًا، وفي صباح اليوم التالي رجع كلٌّ من الشيخ صلّال الموح والشيخ شعلان العطية إلى بيت الشيخ عدّاي الجريان، فعلموا أنّه سافر إلى الحلة، وحضر كلٌّ من الشيخ نايف والشيخ فارس، وجمعا عشيرتيهما وانضمّا إلى الثورة. وكان الثوّار يطاردون البريطانيين المنسحبين في

١. م، ن، ص١٨.

٢. الأسدي، سلام محمد علي حمزة، الحلة خلال ثورة العشرين، ص٥١.

القطار مع كامل المعدّات، وفي منطقة الزرفية (ناحية الطليعة حاليًا) عملت النخوة وهي من تقاليد البداوة العربية فعلتها بين رجال قبيلة الجبور، بعد أنْ أُصيب الثوار بهزيمةٍ تجاه البريطانيين، وفي ذلك الحال ظهرت امرأة (عمارية) هي زوجة الشيخ ثعبان المهدي من شيوخ عشائر الجبور، فحسرت القناع عن رأسها (فارعة الرأس)، ودخلت بين فلول العشائر المنهزمة، وصارت تثير فيهم النخوة على الطريقة البدوية، ثم تقدّمت إلى الأمام وبيدها فأس، فانتفضت النخوة في نفوس العشائر، وكرّوا على البريطانيين باستماتة فأجلوهم عن مواقعهم، وقد أصيبت المرأة في أثناء ذلك بقذيفةٍ أدت الى استشهادها[١]. وفي منطقة الجربوعية (الهاشمية حاليًا)، حاصر الثوّار القطار الذي وصل المنطقة لمدة عشرة أيام بعد انضمام عشائر الجبور إليهم، وحدثت معركةٌ عنيفةٌ، وتحوّل الثوار في الجانب الشرقي إلى منطقة الدولاب في الحلة (منطقة السياحي)، وفي منطقة المدحتية، عزّز البريطانيون جيشهم بقوات التحقت بهم كانت في الحدود الإيرانية لمساعدتهم، وإنقاذ جيشهم المحاصر، فتوزّعت العشائر لمواجهة الجيش القادم من الحلة، وتقابلت معه من كلّ صوبٍ وجانبٍ، فكانت معركةً حاميةً استعمل البريطانيون فيها مختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة والطائرات التي أخذت تقصف تجمّعات الثوّار ومواقعهم، وتوجّه جيش الاحتلال إلى مدينة المدحتية فأحرقها، وأحرق ضريح الحمزة رضوان الله تعالى عليه، وكان الهدف من ذلك قطع تمويل الثوّار[٢]، وفي منتصف الليل خرج الجيش من الحمزة إلى الحلّة، أما الثوّار فقد عبروا إلى الجانب الثاني من النهر، وتوجّهوا حتى وصلوا قرب الحلّة، فعبروا النهر ثانيةً إلى الجانب الشرقي؛ لأنّ القوات البريطانية كانت

١. م، ن، ص٥٥.

٢. م، ن، ص٥٧.

في الجانب الصغير من المدينة، فأحاطت قوات الثوّار المؤلفة من عشائر عفك والأقرع والبدير والبو سلمان بالجانب الصغير، أمّا العشائر التي أحاطت بالجانب الكبير من الحلة، فكانت من عشائر الجبور، والفتلة، والخفاجة، وبني حسن، وبقية عشائر الشامية التي جاءت بعد انتصار الرارنجية[١].

معارك مدينة الحلة

أولًا: معركة الرارنجية (الرستمية):

عُدّت معركة الرارنجية (الرستمية)، من المعارك الحلّيّة الكبرى في ثورة العشرين، بل وعدّها كثيرون من أهمّ المعارك التي خاضها الثوّار وانتصروا فيها على القوات البريطانية في ٢٥ تموز١٩٢٠، التي جرت في جنوب مدينة الحلّة، وفيها تكبّد البريطانيون خسائر فادحًة بالأرواح والمعدّات، فقد أدّى سوق قسمٍ من قطعات الجيش من الحلّة إلى الديوانية حصول الثورة في الحلّة، بعد أنْ سيطرت قوةٌ من عشيرة بني حسن على منطقة الكفل جنوب الحلّة في ٢٠ تموز ١٩٢٠، ممّا أثار السلطات المحتلة التي حاولت إظهار قوتها في المنطقة، كان الثوّار يتقدمون وهم يهتفون بأهزوجةٍ تخاطب الشيخ عبد الواحد الحاج سكر بالقول: (جبنالك مدفع يا هيبة).

وتعدّ تلك المعركة واقعةً وطنيةً كبيرةً في تاريخ العراق المعاصر، اعترف بها أعداء العراق قبل غيرهم، وكان من نتائج الانتصار في تلك المعركة جلاء المحتلّين من مناطق عديدة في الفرات الأوسط من مثل (المسيب والهندية) فضلًا

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٩، ص١٣٥.

عن التحاق عشائر الدغارة وعفك بالثورة[١]، وقد حمل النيجربولي (حاكم لواء الحلّة السياسي) على الاعتقاد بأنّ إرسال قوةٍ من الحلّة لإجبار تلك القبائل المترددة على الاستسلام لها أو عدم الاشتراك، فطلب إلى (لوكن) قائد القوة المسماة ماتستر في الحلة أنْ يرسل هذه القوة إلى الكفل لإرهاب القبائل المقيمة على الطريق من جهة، والذهاب إلى الكوفة لفكّ الحصار عن القوة المحاصرة هنالك من جهةٍ أخرى، ففي الوقت الذي كانت فيه الباخرة تعيث في الكوفة وتدوي مدافعها في شطّها وهي مغربةً وتارة مشرّقة، كانت الحلّة ما تزال يظهر عليها الهدوء والسكينة ممّا حمل النيجربولي على أنْ يلحّ على الكولونيل لوكن بضرورة الإسراع بإرسال هذه القوة؛ لئلّا يحتلّ الثوّار سدة الهندية، فيكون أمر الفرات، وإنقاص الماء فيه وتعطيل الحركات النهرية بيدهم؛ فيصعب على القوات الإنكليزية الاستفادة من هذا الخط الحيوي.

في ذلك الوقت كان النيجربولي قد أخذ كافة الاحتياطات وحشّد القوات اللازمة استعدادًا للطوارئ[٢]؛ لذلك تحرّكت قوة إنكليزية عرفت بفرقة (مانشستر) نحو الكفل بقيادة هاردكاستل، وقد زوّد بأوامر حدّدت المكان الذي سيقف فيه عند المبيت، وحذّر من الإسراع نحو الكفل رغبةً بتعزيزه بنجداتٍ قادمةٍ من الديوانية، ومع هذا فقد جدد الحاكم السياسي في الحلّة ضغطه على القائد، فصدرت الأوامر إلى القائد بالتقدّم، كان الرتل بعرباته الكثيرة التي تجرّها البغال طويل الامتداد بشكلٍ ملحوظٍ، فقد كانت هذه القوة تتألّف من ثلاث سرايا، من كتيبة مانشستر الثالثة والعشرين من سرية واحدة من طلائع السيك، ومن فوجين

١. م، ن، ص ١٣٧.

٢. يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، القسم الأول الحياة السياسية، ص١٧٤.

من كتيبة خيالة السند ٣٥، ومن بطارية مدفعية ميدان[١]. كانت المعركة قصيرةً ودامية ألحقت إصاباتٍ كثيرة وكبيرة بكلا الطرفين، غير أنّ قوات الثوّار كانت تقوم بعملية تراجع طويل أثناء الليل استنزفت قوات المحتل، حتى بقيت قوةٌ واحدةٌ تتلقى المضايقة من خيالة الثوار، إلى أنْ وصلت مشارف مدينة الحلّة تمامًا، لقد قتل الثوّار في هذه المعركة (١٨٠) ضابطًا وجنديًا إنكليزيًا، وجرح (٦٠) رجل، ووقع في الأسر (١٦٠) أسيرًا، زحف الثوّار على القوات البريطانية حتى أصبحوا لا يفصلهم عن الجيش غير نهر الرارنجية فقط، ولّما كان النهر عميقًا ومملوءًا ماءً، ولا يتمكنون من عبوره، وعلى ضفته اليسرى المدافع والرشاشات والجنود في الخنادق، وقف الثوار، ولم يستطيعوا العبور من المكان الذي هم فيه، إذ لا قنطره هناك غير القنطرة الوحيدة التي نصب فوقها الجيش (١٥) رشاشة بمعية (٢٠٠) جندي، لديهم الكثير من المفرقعات اليدوية (الديناميت)، التي صاروا يرمون بها الثوّار إضافة الى نيران البنادق الحامية والرشاشات والمدافع الضخمة[٢]. هجم الثوّار على القنطرة هجمةً واحدةً، فقتل منهم ما يقارب العشرين إلّا أنّهم احتلّوها بين دوي المدافع وأزير الرصاص ونار الرشاشات ورعود المفرقعات، ولما احتلّوا القنطرة قتلوا أكثر من فيها من القوات، وغنموا عشرة رشاشات وبنادق كثيرة، وفي الوقت نفسه زحف من جهة الغرب الثوار الذين كانوا على ضفة الشط حتى وصلوا الى الجيش، وهجموا عليها في تلك الناحية ومع قمة عدد (البو عارضي) إلّا أنّهم تصدّوا للجيش البريطاني من جهة الشرق حتى التقوا بالجيش من هناك فالتحم الثوّار من لجهات الثلاثة مع

١. م، ن، ص١٧٦.

٢. يوسف كركوش الحلي، تاريخ الحلة، القسم الأول: الحياة السياسية، ص١٧٩.

الجيش حتى سكتت المدافع والرشاشات والبنادق، وحلّ محلها السلاح الأبيض والمقمع، (الفاله والمكَوار)، وبعد أنْ أظهر الثوّار حركة الالتفاف حول القوات البريطانية أظهروا فنونَا حربيةً وتفننًا في القتال ما حيّر عقول الإنكليز وقادتهم، وكانت ملحمةً سجّلها التاريخ بالفخر الشديد للشجاعة التي أبداها الثوّار، وأسفرت عن هزيمة الباقي على قيد الحياة من أفراد الجيش بعد أنْ تركوا خلفهم ما يزيد على الألف قتيل معظمهم من الإنكليز، واغتنموا اثنين وسبعين رشّاشًا، وبكلّ ما كان بمعية الجيش من الخيام، والذي نجى منهم هرب بنفسه وحصل الثوّار على مدافع عيار(٨١) استعمل بعد ذلك في إغراق باخرة فايرفلاي[١].

ثانيًا: معركة ينشه ودويليبه:

إنّ القوات البريطانية بدأت ترسل القوات العسكرية لملاحقة الثوار الذين يحاصرون الحلّة لأفشال مخططاتهم، فكانت واقعة (ينشه ودويليبه) في يوم ٣٢/ ذي الحجة ١٣٣٨هـ، وهذه القوات المرسلة مؤلّفةٌ من(٣٠٠٠) جندي بكامل معداتهم العربية مع (٤) طائرات، فلّما اقتربت هذه القوات من صفوف الثوّار قاومتها عشائر الأكرع، وعفك، والسعيد، والبو عيسى، والبو مساعد والبو سلطان، فأخذت المدافع تطلق نيرانها والطائرات تقصف والرشاشات ترعد فهجم عليها الثوار فسكتت المدافع وجرى القتال بالسلاح الأبيض والمكَوار والفاله والخنجر فأبلى المجاهدون بلاءً حسنًا، فلم يبقَ أمام الإنكليز إلّا الفرار إلى داخل مدينة الحلة، وهكذا بدأت قوات العدو بالتراجع، فعادت مذعورةً بعد أنْ تركت في ساحة القتال ما يزيد على(١٧٠) قتيلًا، وبهذا انهزموا هزيمةً مخزيةً

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص١١٩.

يلاحقهم الثوار وهم يهزجون بأهازيجهم الوطنية، ويهتفون بالاستقلال التام، وأصبحت هذه الحادثة مثلًا للآخرين، وقد اتّسم هذا اليوم بالضراوة إذ أبدى فيها الثوّار بسالةً مذهلة، وقد أسهمت المرأة العراقية الحلية من خلال أحداث هذه المعركة في حثّ المقاتلين على الصمود والتضحية، ولا بد من الإشارة الى دور العشائر المحيطة بالحلة في معركة ينشه، فقد تقدم صفوف المحاربين، فكانوا في الخطوط الأمامية، وهم رجال عشيرة البو طيف بقيادة عبد علي السبع، والبو نافع بقيادة عزيز المبارك والبو بكري بقيادة حسين الأعشم والبو مساعد بقيادة دليمي البراك وسلمان البراك، وعبد الكريم المجرش وعشيرته الجحيشر والمعامرة بقيادة هزاع المحيميد وبقية العشائر المحيطة بالجانب الشرقي[١].

ثالثًا: معركة الطهمازية:

شجّعت انتصارات الثوار في معركة الرارنجية المضي في تحرير بقية المناطق المجاورة لها، فتقدمت العشائر الثائرة نحو نهر الطهمازية الذي يبعد عن من مدينة الحلة مسافة أقل من خمسة كيلو مترات، فكان ذلك مدعاة قلقٍ ساور القوات البريطانية؛ فاتّخذت جملة إجراءاتٍ عسكريةٍ تؤّمن لها الحماية، فانتشرت على رصيف النهر في المدينة، ومحطتي القطار والطيران، وقيّدت حرية السكّان في المدينة من خلال منع التجوال بعد المساء، وفي تلك الأثناء استطاعت قبيلة بني حسن من تحرير منطقة طويريج (الهندية)، من دون مقاومة من قوات الاحتلال، كما اتّجهت القبائل الثائرة، لتحرير مدينة (سدة الهندية) بدون مقاومة أيضًا.

بعد ذلك توزّعت العشائر الثائرة في المنطقة لتطويق مركز مدينة الحلة من

١. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٣١ ونتائجها، ص٣١٩.

مختلف الجهات المحيطة به[١]، وفي ليلة ٣٠/ ٣١ تموز ١٩٢٠م، قامت العشائر المحيطة بالمدينة بأدوارها في الهجوم، وبدأ الهجوم على الحلة من الجهة الغربية والجنوبية، وكان هجوم الثوّار هجومًا ضاريًا أبدوا فيه بسالةً مذهلةً، وقدموا فيه من التضحيات الشيء الكثير واشتهرت في ذلك الهجوم، عشيرة طفيل لما أبدته من استماتةٍ منقطعة النظير، وكانت في مقدمة المهاجمين وترفع أعلامها فوق سطوح الدار، وظلّت تقاتل بضراوةٍ حتى بعد انسحاب العشائر الأخرى من البلدة، بعد أن تحمّل الثوّار خسائر كبيرةً في تلك المعركة، وتعرضهم لقصف الطائرات البريطانية عند انسحابهم في منطقة الطهمازية.

وكانت تلك المعركة نكسةً حقيقيةً منيت بها الثورة، وشغلت بال السيد الشيرازي كثيرًا[٢]، وقد رافق جماعةٌ من الثوّار الحاج صلّال الموح لطلب النجدة من العشائر التي تخلفت عن الثورة، فمروا بعشيرة المعامرة والبو موسى والعزة فانضموا الى الثوار، وأوكلت لهم مراقبة السكة الحديدية غربي الحلة، والقيام بقلعها لئلّا ينسحب العدو إلى بغداد، وفعلًا قاموا بواجبهم خير قيام، وعندما جاءت قوات من البريطانيين من مدينة الحلة لحرق دار الشيخ هزّاع المحيمد شيخ عشائر المعامرة تصدّت لها قوات الثوّار وردتهم خائبين[٣].

واستخدم المحتلّون الحرب النفسية حين أرسلوا رسائل من قائد الجيش البريطاني إلى قسمٍ من شيوخ العشائر الثائرة طالبًا منهم إلقاء السلاح مقابل

١. عطية دخيل عباس، الحلة من سنة ١٩١١ – ١٩٣١، دراسة في الأحوال السياسية والإدارية، أطروحة دكتوراه، ص١٥٣.

٢. م، ن، ص١٥٨.

٣. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، ١/ ١١.

مغريات، وعدم تكافؤ القوة بين الطرفين؛ لأنّ العدو امتلك المدافع والطائرات فاضطرّ الثوّار إلى الانسحاب مكرهين كما يدلّ على ذلك تباطؤهم في الانسحاب، وعلى الرغم من تلك النكسة العسكرية فقد توجّهت جموع العشائر الثائرة الى سدّة الهنديّة التي احتلّتها في ٥ آب من دون مقاومة، ثم توجّهت تلك العشائر الى بلدة المسيب واحتلّتها أيضًا، وعدّ القائد العسكري البريطاني(هالدين) ذلك خطرًا على بغداد، لا سيّما بعد أن هاجم الثوّار سكة حديد الحلة بغداد، كما نجح الثوّار في تحقيق انتصاراتٍ عسكريةٍ أخرى في جبهة الحلّة في قرية (بنشة) التي خسرت فيها قوات الاحتلال البريطاني (١٧٠) قتيلًا، ومعركة المجرية التي بلغت فيها خسائر المحتلين (١٢٠) قتيلًا، ومعركة الوند على الرغم من الخسائر في الأرواح[١]، لا سيّما بعد وصول قوات بريطانية، كانت تصطاف في ربوع (كرند) داخل الحدود الإيرانية، على العراق في تموز ١٩٢٠، وانتقلت قيادة تلك القوات الى بغداد، فتعزّز موقفها وكثر الاحتياطي لديها، وأبرق تشرشل وزير الحربية البريطانية الى قائد قواته السر جيمس أيلمر لوثورب هالدين في العراق أبلغه فيها أنّ وزارته قررت وجوب القضاء على الثورة، وتلبية جميع طلباته من الجيوش والطائرات، في ذات الوقت لم تصل الثوار أية إمدادات أو ذخائر أو أموال لا من خارج العراق ولا من داخله، بعد أنْ تجاوز أمد الثورة الشهور، وهبطت كمية المؤن لديهم، فتسرّب الوهن الى قواتهم خاصة، وإنّ قوات الاحتلال قد ركزت فعالياتها العسكرية على الطائرات والمصفحات، في الوقت الذي كان فيه الثوّار قد تسلحوا بالبنادق والسيوف والعصي (المكاوير)[٢].

---

١. م، ن، ص١٦.

٢. م، ن، ص٢٠.

الثورة في مدينة قلعة سكر ولواء المنتفك

حين احتلت القوات البريطانية الفاو، وواصلت تقدمها نحو مدينة البصرة، وعندما أدرك العراقيون بالخطر البريطاني استغاثوا برجال الدين في المدن المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية ومختلف المدن العراقية الأخرى ببرقيات يطلبون فيها منهم أن ينهضوا بالأمر، ويعلنوا الجهاد ضد البريطانيين، وممّا جاء في إحدى هذه البرقيات المرسلة من شيوخ ووجهاء البصرة الى علماء الدين في المدن المقدسة ما نصه: «ثغر البصرة الكفّار محيطون به، الجميع تحت السلاح، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع». فكان لتلك البرقيات أثرٌ فاعلٌ في نفوس المسلمين واستنهاض هممهم في شتى مدن العراق للتحرك والتطوّع والإفتاء بالجهاد، وأفتى علماء الدين بالجهاد، وكتبوا الى العشائر بذلك، وكان للسيد محمد سعيد الحبوبي دورٌ كبيرٌ في دعوة المسلمين للجهاد ضد الاحتلال البريطاني، فقد أخذ يتجول في المدن والقرى، ويتصل بالزعماء وشيوخ العشائر في المشخاب وفي مناطق المنتفك، حيث اتّصل بشيوخ عشائر آل حميد، والمشلب، والشويلات، وبني ركاب، وبني ميد والطوكية، وعبودة، وخفاجة، والبو سعد، وجموع كبيرة من أهالي قلعة سكر والشطرة، ومدن الغراف من حدود الحي الى الناصرية، محاولًا أن يستنهض هممهم ويدعوهم للجهاد ضد البريطانيين، وقد استطاع بجهوده هذه لمّ شمل القبائل وتوحيد رأيها على مقاومة المحتل، وبذلك فإنّ فتوى الجهاد حقّقت نجاحًا كبيرًا، وكان لها مردود إيجابي واضح.

وممّا يذكر بصدد ذلك أنّ العلامة محمد سعيد الحبوبي عندما أخذ يطوف بين المدن والعشائر العراقية لغرض حثّها على الجهاد، فإنّه عندما مر مدينة قلعة سكر

والتقى هناك بالسيد جواد حمزة الياسري إحدى الشخصيات الدينية والاجتماعية صاحبة النفوذ والمهابة في قلعة سكر، وبعض الوجهاء المعروفين في تلك المدينة كما أنّ السيد محمد كاظم اليزدي الطباطبائي كان قد أوعز الى ولده السيد محمد أثناء تكليفه بتبليغ فتوى الجهاد بضرورة تبليغ العشائر القاطنة في طريقه، ومنها ما يخصّ العشائر في مدينة قلعة سكر والمناطق المحيطة بها[١]. ومما لا شك فيه فإنّ توافد رجال الدين الى مدينة قلعة سكر، فضلًا عن وجود ممثل المرجعية الدينية فيها الشيخ حسن الدخيل الحجامي الذي كان على اتصال مع ممثل المرجعية في الشطرة الشيخ عبد الحسين آل مطر، كان لكلّ ذلك تأثيره الواضح على مشاعر الناس، وحثهم على التطوع للجهاد، الأمر الذي زرع بذرة الاستعداد لمقاومة كل أشكال الاحتلال، وظهر ذلك واضحًا عند اشتعال فتيل ثورة العشرين والدور الواضح الذي أبداه أهالي مدينة القلعة في التطوع لمواجهة هذا الاحتلال[٢]، وبالفعل فقد توجّهت جموع المجاهدين من أبناء قلعة سكر وعشائرها الى مدينة الناصرية التي أصبحت وقتذاك مركزًا لتجمع المجاهدين، وعندما وصلوا الى الشطرة أواخر كانون الثاني حضر العلماء والعشائر ومشايخها اجتماعًا عامًا كان الهدف منه التأكيد على تمسكهم بتوجيهات المرجعية الرشيدة، والتزامهم بالدفاع عن الوطن والدين والمذهب، والوقوف ضد الاحتلال البريطاني بوصفه محتلًا كافرًا، توجه المجاهدون من لواء المنتفك ومن معهم من مجاهدي قلعة سكر نحو الشعيبة ووصلوا الى ضواحيها في أوائل نيسان، ثم بدأت العمليات العسكرية وقد تحمل لواء المنتفك بعشائره المتنوعة العبء الأكبر في خطة الهجوم وقد ذهب

١. أرنولد ويلسن، الثورة العراقيّة، ص٥٠.

٢. الشرقي، علي، الاحلام، ص ١١١.

ضحية هذه المعارك عددٌ كبيرٌ من الشهداء والجرحى، ومن ضمنهم من أهالي مدينة قلعة سكر السيد كاظم الياسري والسيد سلمان الصافي، والشيخ بريس مطرود الركابي، والشيخ كاظم الحاج علي وآخرون.

وبسبب هذه المعارك أدركت القيادة العسكرية البريطانية أنّها غير قادرة على أن تسلك محور نهر الغراف بسبب صلابة موقف عشائر المنتفك في هذه المنطقة؛ ولذلك أطلقت بريطانيا على هذا المحور تسمية (الجسر المكسور)، ولم تستطع القوات البريطانية فرض سيطرتها على مناطق الشطرة والغراف وقلعة سكر، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه بالرغم من الذي واجهته العشائر العراقية في منطقة المنتفك أثناء تصديها للاحتلال البريطاني في معركة الشعيبة والمناطق الأخرى، كان ذلك ومن دون شكّ المحفّز والباعث لحركة الجهاد الكبرى ضد المحتلّ البريطاني والمتمثّلة بالثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين)، التي شملت مختلف المدن العراقية من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب، وفيما يتعلّق بالعوامل التي أسهمت بانطلاق تلك الثورة في مختلف مدن العراق ومنها مدن لواء المنتفك وبالذات مدينة قلعة سكر، فهي رغم كثرتها وتنوعها تكاد تكون متشابهة كونها ترتبط بسياسة المحتلّ بشكل مباشر[1]، ورغم اختلاف الرؤى والأفكار السياسية حولها تكاد تنحصر بأسبابٍ داخليةٍ ذات تأثيرٍ مباشر، أو خارجية ذات تأثيرٍ غير مباشرٍ وقد تمثّلت العوامل الداخلية بسوء الإدارة البريطانية العسكرية المحتلة للعراق، واستخدامهم السياسات والأساليب القمعية ضد أبناء الشعب من خلال اللجوء الى إجبار المواطنين على أعمال السخرة لتنفيذ احتياجات الجيش

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٢٢.

البريطاني[١]، إلى جانب حماقة ورعونة بعض الحكّام السياسيين ومعاونيهم من البريطانيين، واتّباعهم أساليب العنف في تعاملهم مع الأهالي.

التهيئة للثورة في قلعة سكر وانتقالها الى الأخرى مناطق لواء المنتفك

بدأ الغليان الشعبي والتحفّز للثورة في مدينة قلعة سكر يظهر للعيان، ولهذا تعد تلك المدينة أول بلدةٍ تظهر فيها بوادر انطلاق ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني في لواء المنتفك، ومن ثم انتقالها الى بقية مناطق اللواء[٢]، لاسيما بعد أن تحوّل الغليان الشعبي من مجرد خلجاتٍ تؤثّر في أذهان الناس إلى نوعٍ من العمل المنظم الذي يسهم في تجسيد أهداف الثورة، وقد خبر تلك التطلعات الكابتن كراوفورد، الحاكم الإنكليزي لمدينة قلعة سكر وكتب تقريرًا إلى قيادته في الناصرية جاء فيه: «أنّ عشائر قلعة سكر في حالة استعدادٍ واضحةٍ للاشتراك في الثورة، ومن المرجح أن ذلك سوف يحصل في غضون ثلاثة أيام» طالبًا من قيادته مخاطبة الجهات العليا في بغداد لأجل إرسال طائرات للقيام باستعراضٍ جوي فوق المدينة بغية إرهاب الأهالي في المدينة وفي العشائر المحيطة بها، وأشعارهم بقوة بريطانيا ومقدرتها على إسقاط أي محاولة تهدف للثورة ضد وجودها وبعد أن أدرك البريطانيون أنّ اشتعال الثورة في قلعة سكر ربما يعجّل بانفجار الموقف في عموم مناطق لواء المنتفك، عند ذلك استجابت القيادة البريطانية الى طلب الحاكم البريطاني وقامت بإرسال طائرتين في ٩ آب، لكن سرعان ما هوت أحداهما على مقربةٍ من قلعة سكر بعد ارتطامها بالأرض قبل إتمام مهماها، فادى هذا الحادث الى

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص ٢٣٣- ٢٣٥.
٢. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، ص٣٧٤.

عكس ما أراده الكابتن كراوفورد، إذ صار الأهالي يستهينون بالقوات البريطانية، وعدّوا سقوط الطائرة معجزة ربانية، وتعزيزًا لما يجول في أفكار المجاهدين حينذاك من أنّ (يد الله تعالى مع المسلمين لا مع الكفار)، وكان ذلك أيضًا مدعاة للحماس الوطني المتوثّب، ممّا أثر سلبًا على البريطانيين، وزاد من عزيمة الثوار من أبناء العشائر في قلعة سكر للتحرّك ضدهم؛ لذلك عدّت المدينة الأولى التي ظهرت فيها بوادر الثورة في لواء المنتفك[1] انتاب القيادة العسكرية البريطانية القلق بشأن تأمين الحماية الكافية للضباط والعسكريين والموظفين المتواجدين في قلعة سكر وكيف توفّر لهم وسائل الدفاع عن أنفسهم، بعد أن كثرت حوادث القتل، وأخذ يصعب على الضباط والجنود البريطانيون التنقل من دون سلاح.

في غضون ذلك وردت بعض الأخبار التي تفيد بانسحاب القوات البريطانية من مدينة الديوانية، فتأجّجت الروح الوطنية والحماس المتقد في نفوس أبناء قلعة سكر، وأخذت العشائر تقيم العرضات والأهازيج والتلويح بالسلاح، وبدأت تظهر التجمّعات ويزداد الوضع توترًا، وقد قامت مجموعةٌ من الثوّار على قطع خط التلغراف، وعند ذلك أبرقت القيادة العسكرية البريطانية في الناصرية إلى القيادة المركزية في بغداد طالبة منها إرسال طائراتٍ بالسرعة الممكنة لمعالجة الأوضاع هناك، وأرسلت البرقيات إلى الحاكم البريطاني هناك، وممّا جاء في البرقية: «إذا عجزتم عن إرسال طائراتٍ الى قلعة سكر، فإنّنا مضطرون إلى إخلائها، وإذا سقطت قلعة سكر بأيدي الثوّار فإنّنا مضطرون إلى إخلاء الشطرة أيضًا»[2]، وبالفعل تم أخلاؤها، وعلى إثر مغادرة الحاكم البريطاني المدينة، هجم الأهالي

١. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية، ص٣١٩.

٢. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص٢١٢.

الثائرون على سراي الحكومة، وتم إحراق بيت الحاكم البريطاني ودار الحكومة، واستحوذ الثوار على أسلحة الشبانة، وقطعوا خطوط التلغراف، ثم أنزلوا العلم البريطاني من فوق السراي، بجهود أغلب أبناء قلعة سكر وعشائرها[١].

وبذلك فإنّ أهالي مدينة قلعة سكر وعشائرها كان لهم إسهامٌ واضحٌ في مقاومة الاحتلال البريطاني منذ بداية دخوله للعراق، والدليل على ذلك تلبيتهم لنداء الجهاد، وذهاب مجاميع كبيرة منهم إلى القتال في الشعيبة وسقوط أعدادٍ كبيرةٍ من الشهداء والجرحى أثناء تلك المواجهات، وهذا دليلٌ واضحٌ على كون أهالي تلك المدينة قد تولدت لديهم روح الحماس والشعور العالي بالمسؤولية للدفاع عن الوطن، وحماية المقدسات، ومجابهة قوى الشر والكفر المتمثّلة بالبريطانيين، كما نلحظ أنّ في مدينة قلعة سكر والمنتفك والغراف جمعًا كبيرًا من سكان هذه المدن كانوا على درجةٍ كبيرةٍ من الوعي الثقافي والديني والسياسي:

١. **ودليلنا على الوعي الثقافي**: ما توضّح من خلال اجتماع المصيفي وما تضمنه من نقاط مثلت دليل عمل منظّمٍ للثوّار ومطالبهم الحقّة.

٢. **وفيما يتعلق بالوعي الديني**: فإنّنا نلحظه من خلال الصلة والارتباط واضح بالمرجعية الدينية في النجف الأشرف، ومدى التجاوب الكبير الذي كانوا يحظون به من قبل أهالي تلك المدينة.

٣. **أمّا ما يتعلّق بالوعي السياسي**: فإنّنا نلحظ وجود وعيٍ سياسي ونضوجٍ فكري واسعٍ لدى الشخصيات التي حضرت في هذا الاجتماع، ومنهم ما يمثّل أهالي قلعة سكر.

ويتضح بذلك أنّ مدينة قلعة سكر كانت المدينة التي انتفضت ضدّ الاحتلال

١. كبة، محمد مهدي، مذكراتي في صميم الأحداث (١٩١٨-١٩٥٨)، ص٢١.

البريطاني، وبفضلها امتدّ لهيب الثورة ليشمل بقية مناطق لواء المنتفك، وممّا لا يقبل الشك أنّ كلّ ما كان يحدث في قلعة سكر من مؤثراتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ لا يمكن عزله بأيّ شكلٍ من الأشكال عمّا يدور في بقية مناطق لواء المنتفك، كون تلك المدينة جزءًا منه؛ ولذلك فهي تؤثّر وتتأثر بما يدور فيه[١].

الثورة في السماوة

معركة الخضر

الخضر قريةٌ صغيرةٌ تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات. في ٣٠ يوليو وصل إلى هذه القرية السيد هادي المقوطر قادمًا من مدينة النجف؛ ليحرّض سكّان القرية على الانضمام إلى الثورة ضدّ الإنجليز، وقد تمّ له ما أراد؛ إذ بدأت العشائر الساكنة في تلك المنطقة بتخريب خطوط سكك الحديد والتلغراف المارة بالمنطقة[٢]، فأمر قائد القوات الإنجليزية في العراق الجنرال هالدين القوات المتمركزة في محطة قطارات الخضر بالانسحاب فورًا إلى مدينة الناصرية، حيث قامت العشائر التي انضمّت للثورة حينها بالهجوم على المحطة، في ١٣ أغسطس، فأمطرتها بوابلٍ من الرصاص، وقد كان يوجد في المحطة قطارٌ عادي وقطاران مدرعان، ولكن سرعان ما حصل حادث للقطار المدرع الأول، وأدى ذلك إلى مشكلة، فخرجت القوات الإنجليزية بالقطار العادي فقط، وقد وصل هذا القطار إلى محطة أور سالمًا في مساء اليوم نفسه[٣].

---

١. شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩٠٠ – ١٩٥٧، ٢/ ٢٣٠.

٢. م، ن، ص٢٣٧.

٣. آل وهاب، عبد الرازق، كربلاء في التاريخ، ص٥٣.

معركة البواخر

كانت حامية مدينة السماوة مؤلّفةً من قسمين أحدهما رئيسي بقيادة الكولونيل (هاي)، وكان يعسكر على النهر في موضع يسمّى شاطي حسيجة بالقرب من المدينة، والثاني كان بقيادة الكابتن (رسل)، وقد كان يعسكر حول محطة قطار المدينة التي كانت تقع بالقرب من سور المدينة، وكانت حامية السماوة بكلا قسميها قد أصبحت مطوقةً بعد انسحاب الإنجليز من قرية الخضر، فأخذ الثوّار يضيّقون على أفراد الحاميتين بالحصار يومًا بعد يوم. وفي يوم ٢٦ آب تحركت من مدينة الناصرية خمس بواخر؛ ثلاث حربية، واثنتان عاديتان، وذلك لنجدة القوات الموجودة في السماوة وبعد معارك ضاريةٍ ما بين الثوّار والبواخر وصلت باخرتان حربيّتان وباخرةٌ عاديةٌ إلى حامية السماوة بعد انسحاب إحدى البواخر الحربية في يوم ٢٧ آب، وعودتها إلى مدينة الناصرية وتمكّن الثوار من الاستيلاء على إحدى البواخر العادية[١]، وقد سقطت المحطة بيد الثوّار بعد معارك طاحنةٍ بينهم وبين القوات الإنجليزية، وذلك عندما حاولت القوات الإنجليزية الخروج من معسكر المحطة بوساطة إحدى القطارات حيث سقط عددٌ كبيرٌ من القتلى من كلا الطرفين إثناء المواجهات، وبعد هذه المعركة قام الثوّار بالحصار على معسكر الحامية الرئيس الذي كان بقيادة الكولونيل (هاي)، وطلبوا منه الاستسلام إلّا أنّ الكولونيل (هاي) رفض الطلب، وقد دام حصار الحامية قرابة الشهرين إلى أن تمّ إنقاذها في يوم ١٤ تشرين الثاني[٢].

١. الحسني، عبد الرازق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص١٠١.

٢. علاء عباس، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص٥٧.

ثورة الرميثة

رفعت عشيرة الظوالم وهي فرع من بني حجيم راياتها معلنةً الحرب على الإنجليز، وفي يوم ٣٠ من الشهر نفسه استُدعيَ الشيخ شعلان أبو الجون وهو رئيس عشيرة الظوالم إلى السراي الحكومي في بلدة الرميثة التي تقع في جنوب العراق، وقد لبّى الشيخ شعلان طلب الاستدعاء وحضر إلى السراي في ظهر ذلك اليوم، وقد أبدى الشيخ شعلان كثيرًا من الشراسة في مقابلته مع المعاون الحاكم السياسي في الرميثة الملازم (هيات)؛ ممّا دفع الأخير إلى حجزه وتوقيفه في السراي بقصد إرساله إلى مدينة الديوانية بوساطة القطار، وعند هذا التفت الشيخ شعلان إلى أحد مرافقيه الذي جاء معه طالبًا منه إخبار ابن عمه الشيخ غثيث الحرجان بأنّه في حاجة إلى عشرة ليراتٍ عثمانيةٍ، وأنّها يجب أن ترسل إليه قبل موعد القطار، ولما وصل الخبر إلى الشيخ غثيث عرف أنّ الشيخ شعلان بحاجة إلى عشرة رجالٍ أقوياء من العشيرة بدلًا من الليرات العشر، وبعث الرجال إلى السراي بغية تحرير الشيخ شعلان[١].

وبعد مهاجة السراي من قبل الرجال العشرة تم تحرير الشيخ شعلان وعاد هو إلى مضارب عشيرته سالمًا، وكانت هذه الحادثة الشرارة التي أطلقت الثورة، وبعد هذه الحادثة حصلت عدة معارك في أهمها معركة البو حسان، والعارضيات الأولى والعارضيات الثانية، وكما تم قصف بلدة الرميثة لأول مرة بالطائرات إثناء المواجهات، وقد كانت هذه المواجهات بين كرٍّ وفرٍّ تارةً للعشائر وتارةً للإنجليز، ولم تنجح جهود الوساطة التي بذلتها العشائر في المنطقة في حلّ هذه المشكلة بين

١. م، ن، ص٥٥.

الطرفين، ومع استمرار المعارك بين العشائر الثائرة، وما بين الإنجليز قرر آية الله السيد محمد تقي الشيرازي القيام وقف القتال، وقرر هو بأن يرسل وفدًا إلى مدينة بغداد لغرض مقابلة آرنولد ويلسون الحاكم السياسي للعراق المعين من قبل الإنجليز لغرض المفاوضة، وقد اختار لهذا الغرض رجلين هما السيد هبة الدين الشهرستاني والمرزا محمد الخراساني[١]، وعند وصول الوفد المفاوض إلى مدينة بغداد اتصل بالقنصل الإيراني؛ لكي يكون وسيطًا لدى الحاكم السياسي آرنولد ويلسون غير أنّ ويلسون رفض الوساطة، فعاد الوفد المفاوض إلى مدينة كربلاء بدون أية نتيجة تذكر، وقد كتب الشيخ فتح الله الأصفهاني برسالتين إحداهما إلى الحاكم السياسي البريطاني آرنولد ويلسون، والأخرى إلى العشائر الثائرة في الرميثة، وذلك في شهر تموز ولكن جهوده لم تفلح في حل المشكلة بين طرفي النزاع[٢].

الثورة في ديالى

كانت أولى بوادر الثورة في ديالى قد ظهرت في يوم ٦ آب، وبعد يومين هاجمت عشيرة الكرخية دائرة المالية في منطقة مهروت التي تبعد بنحو ١١ ميلًا عن محطة بعقوبة، وفي يوم ٩ آب هاجمت العشيرة نفسها محطة قطار أبو الهوا التي تقع إلى الشمال من مدينة بعقوبة، وبذلك انقطع حركة القطارات ما بين مدينتي بغداد وخانقين، وفي يوم ١١ آب، وصل إلى بعقوبة قوة إنجليزية بقيادة الجنرال يانغ الذي قام بتقسيم قوته إلى رتلين، رتل صغير بقيادة الكولونيل وليامز هدفه تأديب

١. الحسني، عبد الرازق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص٤٩.
٢. الحسني، عبد الرازق، تاريخ العراق السياسي الحديث، ص٩٨.

القرى التي كانت واقعة على يعد ١٦ ميلًا من سكة الحديد، ورتل كبير بقيادة يانغ نفسه هدفه الوصول إلى مهروت، وقد نجح الكولونيل وليامز في مهمته العسكرية، أما الرتل الذي كان بقيادة الجنرال يانغ، فقد تعرض قبل وصوله إلى منطقة مهروت بمسافة ٤ أميال لمقاومةٍ عنيفةٍ من العشائر التي كانت قد أعلنت التمرد على السلطات الإنجليزية، حيث أرسل الرتل إلى بطلب النجدة من سريتي البنادق التي كانت متواجدةً في مدينة بعقوبة، في الساعة ٨ من صباح اليوم التالي التأم الرتلان معًا وصارتا قوةً واحدةً، وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم وصل الرتل إلى بعقوبة حيث انسحبت من المدينة في وقتٍ لاحقٍ إلى مدينة بغداد، أدّى انسحاب الجنرال بجميع قواته إلى بغداد وما أعقبه من انسحاب الحاكم السياسي إلى بعقوبة مع موظّفيه إلى تشجيع العشائر إلى إعلان الثورة، وفي يوم ١٢ آب اقتحمت عشيرة الكرخية بعقوبة، وأحكمت السيطرة على المدينة[١]، وقام وجهاء بعقوبة بعدها بتشكيل مجلسٍ محلّي لإدارة المدينة، حيث تم اختيار محمود أفندي متولي لكي يكون رئيسًا لهذا المجلس، ويكون برتبة قائمقام، وتمّ اتّخاذ دائرة البريد مقرًّا لهذا المجلس المحلي، ورفعوا فوقه علم الثورة العربية ذا الألوان الأربعة، ولم يستطع المجلس الذي شكّل في بعقوبة من ردع العشائر عن الثورة والعصيان حيث أصبحت جميع القرى التي تقع بالقرب من بعقوبة مسيطرًا عليها من قبل العشائر[٢].

١. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ص ٣٥٥ – ٣٥٦.
٢. عبد الرضا الحميري، م، ن، ص٣٥١ – ٣٥٣.

الثورة في دلتاوة (الخالص)

اندلعت الثورة في بلدة دلتاوة (الخالص) في اليوم نفسه الذي اندلعت فيه الثورة في مدينة بعقوبة، أي في يوم ١٢ آب، حيث قامت عشيرة الكبيشات باقتحام البلدة من جهتها الشمالية، وقام أهالي البلدة وبالتعاون مع عشيرة الكبيشات بحفظ الأمن والنظام[١]، اضطر معاون الحاكم السياسي للبلدة الكابتن لويد ومن معه من موظّفين إلى الاستسلام، وذلك بعد هروب عساكر السراي حيث قام الشيخ عبد العزيز الهويدراوي بحمايتهم، والذي كان أحد وجهاء البلدة، وقد تم السيطرة على دار السراي بعد سيطرة الثوار عليه، وتم إنزال العلم البريطاني ورفع محله علم الثورة العربية، أعلن بعدها محمد أبو خشيم وهو أحد شيوخ الكبيشات أنّ الحكم قد أصبح في يده، وهو يطلب من الأهالي العودة لمزاولة أعمالهم اليومية، وأعلن أبو خشيم كذلك العفو العام، وقد تم استثناء شخصٍ واحدٍ من هذا العفو، وهو أبو العيس لذي كان يشغل منصب الحاجب لدى الحاكم الإنجليزي للبلدة، وكانت العشائر تنفر منه جدًّا[٢]، وفي محرم من سنة (١٣٣٩ هـ) زحفت القوات الإنجليزية لاحتلال دلتاوة (الخالص)، وكان أهالي البلدة مشغولين حينها بالمواكب الحسينية، وبعد معركة ما بين الطرفين تمكنت القوات الإنجليزية من دخول البلدة[٣].

الثورة في شهربان

تم الإعلان عنها في بلدة شهربان (المقدادية) في يوم ١٤ أغسطس الثورة،

---

١. آل وهاب، عبد الرازق، كربلاء في التاريخ، ص ٤٥- ٤٧.

٢. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٥/ ٧٥.

٣. الحسني، عبد الرازق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ٢٢٨-٢٣٠.

حيث قامت عشيرة بني تميم بالهجوم على البلدة، وتعاون أهل البلدة مع العشيرة على نحو ما حصل في بلدة الخالص، ولكن السراي الحكومي الذي كان يقيم فيه الإنجليز ومن معهم من جنود الشبانة لم يستسلم للثوار، وبعد ساعاتٍ من المواجهة ما بين الطرفين تمكّن الثوّار من السيطرة على السراي الحكومي (القشلة)، وذلك عند حلول وقت المساء، وقد قتل في المعركة هذه خمسة بريطانيين، والذين كانوا موظفين في السراي، وبعد السيطرة على البلدة قام الثوار بقطع خط سكة الحديد المار بالبلدة، وقد وقع في شهربان بعد تمكّن الثوار من السيطرة على البلدة نوع من الاختلاف ما بين وجهاء البلدة، وما بين عشيرة بني تميم، وحصل من جراء ذلك معارك ما بين الطرفين[١].

الثورة في كفري

في يوم ٢٢ أغسطس قام إبراهيم خان وهو أحد رؤساء عشيرة الدلو ومن معه بالصعود إلى أعلى جبل بابا شاه سوار المطل على مدينة كفري، وأخذوا بإطلاق النيران على السراي الحكومي الموجود في البلدة[٢]، قرر معاون الحاكم السياسي للبلدة الكابتن سالمون أنْ يخرج بنفسه إلى الجبل للتفاوض مع إبراهيم خان، وما أن وصل الكابتن سالمون إلى الجبل حتى فوجئ باعتقال الثوّار له، وبعدها هاجم الثوار البلدة، وقاموا باحتلال السراي الحكومي وقاموا بإنزال العلم البريطاني من فوقه[٣].

١. علاء عباس، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص١١١.
٢. الشريفي، أحمد باقر علوان، كربلاء بين الحربين العالميتين، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٤٥.
٣. م، ن، ص٤٧.

انطلاق الثورة العراقية الكبرى

يتفق أغلب المؤرّخين أنّ ثورة العشرين بدأت عندما أصدر الميرزا الشيخ الشيرازي فتواه الشهيرة التي نصّت على أنّ: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم)، وهذه الفتوى صدرت قبل معارك الرميثة التي بدأت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م، واستمرت لعدة أيام وقبل الاجتماع الذي عُقد في منطقة الشامية بين زعماء العشائر والقادة البريطانيين في١٥ تموز من السنة ذاتها، وعلى إثر ذلك انتشرت الثورة في أغلب مناطق العراق الأخرى[١].

وبعد صدور فتوى الشيخ الشيرازي الأخيرة حاول البريطانيون إقناع زعماء عشائر النجف والشامية بنبذ فكرة الثورة المسلّحة، فعقدوا اجتماعًا مع هؤلاء الزعماء في منزل الشيخ (مرزوق العواد) في منطقة الشامية في ١٥ تموز ١٩٢٠م[٢]، حضره الحاكم السياسي البريطاني في النجف والشامية، فعرض عليه زعماء العشائر شروطًا لإيقاف القتال هي:

١. منح الاستقلال التام للبلاد وتشكيل حكومةٍ وطنيّةٍ مستقلّة.

٢. إطلاق سراح المُبعدين، وعلى رأسهم نجل الشيخ الشيرازي (محمد رضا).

٣. رفع كافة مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكريّة البريطانيّة في منطقة الفرات الأوسط[٣].

---

١. الحسني، عبد الرازق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ٢٥١.

٢. العنبكي، قحطان حميد كاظم، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ص ٤٩-٥٠.

٣. الحسني، عبد الرازق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ٢٤٤.

لكن البريطانيين رفضوا تلك الشروط، واضطر الكابتن (مان) أحد القادة العسكريين البارزين في منطقة الشاميّة الى الانسحاب منها الى الكوفة، وبعث زعماء العشائر في منطقة الشاميّة رسالة الى الشيخ الشيرازي تروي له تفاصيل ما حدث، وأنّ الوضع الأمني هو بين الاستسلام لهم أو الحرب ضدهم، فكتب الشيخ الشيرازي في جوابه لهم: (إذا أصرّ الإنكليز على غصبكم حقّكم، وقابلوا التماسكم بالحرب؛ فيجب عليكم الدفاع بجميع قواكم، ويحرم الرضوخ لهم والاستسلام)، وعلى إثر تلك الفتوى قام كثيرٌ من زعماء العشائر بإعلان الثورة ضد البريطانيين ومن هنا يمكننا القول: إنّه لولا فتوى الشيخ الشيرازي لم يستطع زعماء آل فتلة المعروفون بعدائهم للبريطانيين الثورة ضدهم. إذ كان بإمكان البريطانيين إثارة العشائر المناوئة لهم، وكانت أهمّ المعارك التي خاضها الثوار وانتصروا فيها على الاحتلال البريطانيّ في٢٥ تموز ١٩٢٠م هي معركة الرارنجية (الرستمية) التي جرت في شمال ناحية الكفل، وفيها تكبّد البريطانيون خسائر فادحة بالأرواح والمعدات، وفي مدينة كربلاء – التي تعدّ من أهم مراكز الثورة – كونها مقرّ زعيم الثورة الشيخ الشيرازي فقد وقعت هذه المدينة تحت سيطرة الثوار بعد معركة الرارنجية، إذ ثار الأهالي ضد البريطانيين الذين تأزّم موقفهم، واضطروا الى الانسحاب من المدينة التي رُفع علم الثوار فيها على دار بلديتها، وعندما سيطر الثوار على مدينة كربلاء اجتمع عددٌ من الزعماء في منزل الشيخ الشيرازي، وتداولوا قضية تنظيم إدارة المدينة، وتم الاتفاق على تشكيل ثلاثة مجالس رئيسةٍ لإدارة وتسيير أمور المدينة وهي:

١. **المجلس العلمي**: ويمكن عدّه المجلس السياسي والإعلامي للثورة، ومن

أعضائه عبد الحسين الشيرازي (نجل الشيخ الشيرازي).

٢. **المجلس الملي**: ويمكن عدّه المجلس الوطني للإدارة العامة، وكان الشيخ محمد حسن أبو المحاسن هو ممثل الشيخ الشيرازي في هذا المجلس.

٣. **المجلس الحربي**: وأبرز مهماته هي تنظيم الخطط العسكرية وقيادة الثوار وتنظيمهم وتعيين قادة الحملات في الهجوم والدفاع، أما أعضاؤه فأبرزهم: علوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، ومجبل آل فرعون، وشعلان الجبر، واربح العطية وغيرهم وكانت هذه المجالس تعمل جميعها بإشراف الشيخ الشيرازي حتى وفاته، وممّا لا يخفى أنه كان للشيخ الشيرازي دورٌ قياديٌّ كبيرٌ في الثورة حتى إنّه أشرف على الخطط العسكرية، وكان يقترح بعضها كما كانت الرسائل التي يبعثها الشيخ الشيرازي إلى قادة الثوار العسكريين تتضمن ألغازًا متفقًا عليها بين الطرفين مسبقًا، خوفًا من وقوعها بأيدي البريطانيين، أو عملائهم، وبالتالي تصبح حركات الثوار معروفة، كما تابع أخبار الثورة في المناطق الأخرى، فعندما تقهقر الثوار في الحلة أرسل السيد هبة الدين الشهرستاني للوقوف على حقيقة الأمر[١]، وفي الوقت ذاته أرسل علوان الياسري رسالةً الى الشيخ الشيرازي يشرح فيها الوضع العسكري للثوّار في الحلة، امتدت الثورة الى مدينة الديوانية في ٣٠ تموز، ثم ثارت مناطق (عفك) كما وصلت فتاوى الشيخ الشيرازي إلى المناطق الغربية من العراق بوساطة مبعوثه السيد جدوع أبو زيد الذي سافر الى الفلوجة، وفي هذا الصدد قال علي البازكان بصدد ذلك: «تأثرت العشائر التي تقطن أطراف بغداد بفتوى الشيخ الشيرازي؛ فأخذت تشن الهجوم تلو الهجوم على ضواحي بغداد،

١. الحسني، عبد الرازق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ٢٤٧.

الأمر الذي جعل الإنكليز ينشؤون الحصون والمواقع للمحافظة على المدينة»[١]. كما اندلعت الثورة في مناطق ديالى التي أصبحت بأيدي الثوار، وامتد نطاق الثورة الى مدينة الناصرية والمناطق القريبة منها في (١٥ آب)، واضطر الحكام السياسيون البريطانيون إلى الهرب منها، كما اندلعت الثورة في مناطق كردستان.

وهكذا فإنّ لهيب الثورة امتد إلى كلّ بقاع الوطن، وانضوى فيها عددٌ كبيرٌ من رجال الدين، وشيوخ العشائر، والمثقّفين، والعمال، والفلاحين الشجعان الذين كانوا عماد الثورة، وكانت الثورة على الرغم من التأخر الذي سببه الاستعمار العثماني الطويل على درجةٍ عاليةٍ من التنظيم والتخطيط والدقة، ويستدلّ على ذلك من التوجيهات التي كانت تصدرها قيادات الثورة إلى القوات المشاركة فيها وبتوجيهٍ من المرجعيّة الدينيّة وعلى رأسها الشيخ الشيرازي، والتي جاء فيها[٢]:

١. يجب على كافة الأفراد أنْ يفهموا بأنّ المقصود من هذه الثورة إنّما هو طلب الاستقلال التام.

٢. يجب أنْ يهتف الجميع للاستقلال في كلّ ميادين القتال.

٣. يجب التمسّك بالنظام، ومنع الاعتداء، فلا نهب ولا سلب، ولا ضغائن قديمة ولا أحقاد.

٤. يجب تأمين الطرق، وحفظ المواصلات بينكم وبين مناطق الثورة.

٥. بذل الهمة لحفظ الرصاص، فلا يجوز إطلاقه في الهواء بدون فائدة.

٦. يجب الاعتناء بالأسرى ضباطًا وجنودًا إنكليزًا كانوا أم هنودًا.

---

١. م، ن، ص ٢٥٣.

٢. شبر، حسن، تاريخ العراق السياسي المعاصر، ج٢، ص٢٣٦.

٧ . المحافظة على أعمدة الهاتف، والأسلاك لضمان استمرار الاتصالات.

٨. الاهتمام بقطع السكة الحديدية، ونسف الجسور، لمنع قوات الاحتلال من استعمالها.

٩. الحفاظ على كافة وسائل النقل التي تقع في أيدي قوات الثورة والاستفادة منها.

١٠. عند تحرير أيّ مدينة، يجب الاهتمام بتشكيل إدارةٍ وطنيةٍ لها، والاهتمام بالأبنية الحكومية، وعدم هدمها أو إحراقها والمحافظة على الوثائق فيها.

١١. المحافظة على المستشفيات وأدواتها وأجهزتها والأدوية الموجودة فيها والرفق بالجرحى وإسعافهم، والاهتمام بهم، والعمل على إنقاذ حياتهم.

وكانت هذه هي الوصايا التي عمّمتها قيادة الثورة على قواتها، وهي تمثّل أرقى درجات التنظيم في إدارة شؤون الثورة والحرص على سمعتها، والتحلّي بالخلق السامي في معاملة الأسرى والجرحى والاهتمام بمرافق البلاد من عبث العابثين، وهي تدلّ دلالةً واضحةً على الشعور العالي بالمسؤولية[١].

المبحث الثاني: الاستعداد للثورة وأهمّ الشخصيات المؤثّرة

المطلب الأول: الإجراءات التي اتبعها الثوار للاستعداد للثورة واهم الشخصيات التي أثرت في الثورة

مما لا يخفى على أيّ مطّلعٍ على الشأن السياسي العراقي والتاريخي أنّ ثورة العشرين هي الثورة التي عبرت عن وحدة وتلاحم أطياف الشعب العراقي بكل طبقاته المجتمعية، فلم تكن صنيعة حزبٍ أو كتلةٍ أو طائفةٍ، وحتى لم

١. البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ص ٤٢- ٤٣.

تكن لها جغرافية محددة مقفلة، بل كانت مساحتها العراق، والعراق كله، إذ هي شهادةٌ تاريخيةٌ للمشاركة الشاملة للعراقيين وهو البعد الوطني للثورة[١]، ولم يشهد العراق خلال حكم العثمانيين، أية معركةٍ اشترك فيها أهل المدن مع العشائر «فقد كان هناك نفور بينهما اختفى أثناء ثورة العشرين، ولم يكن للمعارك السابقة «أية صبغةٍ دينيةٍ إلّا نادرًا، ولم يحدث أن أفتى العلماء بتأييدها، أمّا ثورة العشرين فقد أفتى العلماء بتأييدها واعتبروها جهادًا في سبيل الله، إذ إنّ مفاهيم (الوطنية)، و(الاستقلال) لم تكن معروفةً لدى العراقيين، ومن الممكن اعتبار ثورة العشرين المدرسة الشعبية الأولى التي علمت العراقيين تلك المفاهيم، كما لم يحدث أنْ امتدت معركة سابقًا في أنحاء العراق بمثل ذلك النطاق الذي امتدت بها ثورة العشرين»[٢].

المقصد الأول: أهمّ القرارات والأساليب التي اتّخذها الثوّار والوطنيون

١. تأسيس الجمعيات والأحزاب: ومن هذه الجمعيات السرية جمعية النهضة الإسلامية التي اتّخذت من النجف الأشرف مركزًا لها، التي أسهم بعض من رجال الدين والعلماء والزعماء ووجهاء النجف في فعالياتها التي تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في النجف والمناطق المجاورة لها. ويقول عباس علي إنّ هذه الجمعية تأسست في عهد الكابتن مارشال حاكم النجف السياسي، الذي كان لسوء سيرته أثرٌ في إقدام جماعة من النجفيين على اغتياله، ويظهر أنّ لهذه الجمعية صلةً في قضية اغتيال حاكم النجف، وكانت هذه الجمعية «قد

١. الحسني، عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٠٦.
٢. م، ن، ص٥٠٨.

وحدت مساعيها مع الناقمين على سياسة السلطة المحتلة، واستحسنت فكرة اغتيال الحاكم كذريعةٍ للقيام بثورةٍ يمتدّ لهيبها الى جهات مختلفة»[١]. وتقول المس بيل بخصوص هذه الجمعية: «عندما استولت الفرقة الخامسة عشر على هيت وغزت عانة، وقع في أيدينا ضابط الارتباط الألماني ومعه جميع أوراقه، وقد دلّت هذه المستندات على وجود (لجنة للثورة الإسلامية) في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزًا لخلق الاضطرابات بين العشائر، وكان مائة من رجال الدين أو أكثر متورطين فيها، لكنها لم تكن تضمّ أناسًا ذوي أهميّةٍ من الدرجة الأولى، وكان الرئيس شخصًا من أسرة بحر العلوم العلوية، وكان نشطًا في الدعوة الى الجهاد حتى سقوط بغداد»[٢]. وقد ورد ذكر لجمعية سرية أخرى باسم (الجمعية الوطنية الإسلامية)، وقد تألّفت عقيب الهدنة في كربلاء، تحت إشراف آية اللهّ الشيخ محمد تقي الشيرازي، وتحت رئاسة ابنه الميرزا محمد رضا، وكان هدفها العمل ضد حكومة الاحتلال، ومن أهمّ العاملين فيها السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والسيد حسن القزويني، والسيد عبد الوهاب، وعبد الكريم العواد، وعمر الحاج علوان، وشقيقه عثمان، وطليفح الحسون من رؤساء الناصرية وعبد المهدي آل قنبر، ومحمد علي أبو الحب وغيرهم[٣].

٢. الأحزاب السياسية: ومن هذه الأحزاب حزب حرس الاستقلال الذي تشكّل حزب الحرس في أواخر جمادي الثانية، ١٣٣٧هـ، ونهاية شباط سنة

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ٥٠٩.

٢. القريشي، محمد يوسف إبراهيم، المس بيل وأثرها في السياسة العراقيّة، ص٦٧.

٣. كان من بين العلماء الذين أسهموا بأعمال هذه الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري، واشترك فيها لفيف من رؤساء النجف أمثال كاظم صبي وعباس علي الرماحي. ومن الشباب الذين اشتركوا فيها عباس الخليلي وعبد الرزاق عدوه وغيرهما، مقدرات العراق السياسية، ٣/ ٥٩.

١٩١٩، وكان مركزه ببغداد، وقد أورد الحسني أسماء الهيأة المؤسسة، وأسماء الهيأة الإدارية لهذا الحزب، ويقول إنّ الجمعية كانت «تعقد جلساتها، في أكثر الأحايين، برئاسة السيد محمد الصدر، وتسترشد بآرائه وتوجيهاته الثمينة، ومن أهمّ مواد منهج جمعية الحرس (المادة الثانية): تسعى الجمعية المذكورة وراء استقلال البلاد العراقية استقلالًا مطلقًا، أما (المادة الثالثة): تعترف الجمعية بإسناد منصب الملوكية في هذه البلاد الى أحد إنجال جلالة الملك حسين[١]، على أنْ يكون ملكًا دستوريًا ديمقراطيًا، المادة الخامسة – بجب على الجمعية أنْ تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية، وكان لانضمام جمعيةٍ سياسيةٍ سرّيةٍ عرفت (بجمعية الشبيبة) لحزب حرس الاستقلال أثر في تقوية مركزه من جهة، وفي توحيد مساعي الوطنيين من جهة أخرى، ومن الأعمال المهمة التي انبثقت عن فعاليات حزب حرس الاستقلال هو تأسيس مدرسة باسم (المدرسة الأهلية) في أيلول سنة ١٩١٩، ويورد لنا الأستاذ علي البازركان تفصيلات وافية عن أسباب تأسيس هذه المدرسة، وعن الخدمات التي قدمتها للقضية الوطنية، وانشأ حزب حرس الاستقلال فروعًا له في الكاظمية والحلة والنجف الأشرف والشامية، وغير ذلك من المدن العراقية»[٢].

٣.الحركات المحلّية: لقد قامت في مناطق مختلفة من العراق حركاتٌ ذات صبغةٍ محليةٍ، نشأ بعضها عن التذمر من الإجراءات الإدارية الصارمة التي فرضته السلطات البريطانية، بما فيها فرض الضرائب الثقيلة التي لم يعتد على دفعها أهل البلاد وخاصةً سكّان المناطق الريفية، وكانت الدوافع الوطنية واضحةً في

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص٥١٠.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ٤: ٣٤٠.

بعض هذه الانتفاضات، لا سيما تلك التي حصلت تحت توجيه وإرشاد جمعيات سياسية أمثال بعض حركات الشمال التي قامت بمعونة وإرشاد جمعية العهد في الشام وفرعها في الموصل، وحركة النجف التي كان لجمعية النهضة الإسلامية صلة بها، وكان بعض هذه الحركات ذات هدفٍ استقلاليّ محليّ، وهو التخلّص من السيطرة الإنكليزية أمثال حركة الشيخ محمود في السليمانية[١].

٤. **الحركات الثورية في النجف الأشرف:** لحركة النجف ضد سلطات الاحتلال البريطانية أسباب يمكن أن نجملها بما يأتي:

أ. **تذمّر شيوخ المحلّات النجفية من حكم البريطانيين:** عندما قدم الإنكليز للنجف في آب ١٩١٧، وجدوا سلطة زعماء الأطراف النجفية قوية؛ لذا فليس من السهل عليهم أنْ ينشروا نفوذهم هناك دون معارضة، ففَكّروا بالاستعانة بالشيوخ أولًا في حكم النجف، ولكنهم ما لبثوا أن عيّنوا الكابتن بلفور أول حاكم للشامية والنجف[٢]، ويقول الشيخ محبوبة: «إنّ جماعةً من النجفيين ألّفوا جمعيةً سريةً قوامها ثلة من الأعلام كالعلّامتين السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري، وغيرهما وكانت عليهما تدور رحى الجمعية ومن أذكارهما تستمدّ، وقد مرّت على الجمعية أشهر عديدة وهي تسعى من وراء الستار للانتقام من السلطة المحتلة، والوصول إلى غايتها الشريفة، وقبل أن تعم طبقات النجفيين، وتصل الى غيرهم من قبائل العراق دفع الحماس المتزايد فريقًا من أفراد الجمعية إلى إضرام نار الثورة قبل أن يحصلوا على آراء الجمعية»[٣].

---

١. انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ص ٦١١.

٢. م، ن.

٣. آل محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ص ١٨٥ - ١٨٤.

ب . شيوخ وأبناء العشائر: كانت للقائمين بالحركة صلاتٌ مع العشائر خارج النجف، ويذكر الأستاذ جعفر الخليلي: «أنّ منظّمي الثورة دبّروا الأمر تدبيرًا أعوزه الكثير من الاحتياط والعمل؛ إذ اكتفوا بالاتصال ببعض القبائل على الأخص (العوابد)، و(آل علي)، و(الحواتم)، وادخلوا في اليمين بعض رجالات القبائل مثل مرزوق العواد، ووادي العلي، وسلمان الفاضل، ومشكوف من شيوخ بني حسن، وعددًا كبيرًا من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبو كلل، وكاظم صُبّي، وكريم الحاج راضى، وعباس علي الرماحي، والحاج نجم، وقد نتج عن حركة النجف الرئيسة مقتل الكابتن مارشال في ١٩ آذار ١٩١٨، وما كان من الحكومة الإنكليزية ببغداد إلّا أن تضع الحصار على مدينة النجف، ذلك الحصار الذي دام أربعين يومًا ذاقت المدينة خلاله أنواع المشقات، وما رفع الحصار إلّا بعد أنْ خضع الآهلون لشروط الحكومة القاسية التي كان من بينها دفع غرامة قدرها (٥٠) ألف روبية، وتسليم (١٠٠٠) بندقية، وإرسال (١٠٠) شخص للهند كأسرى حرب»[١].

ج . المظاهرات والاحتجاجات ومضابط التوكيل: لقد اتّخذ المعنيون بالحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة من القيام بالمظاهرات، ومن إرسال مضابط التوكيل لحكومتي الشرفاء في سورية والحجاز وسائل لمقاومة السلطة البريطانية في داخل العراق وخارجه، فيقول الشيخ علي الشرقي: «إنّ السلطة البريطانية في العراق كانت تغالط الشعب فتمنّيه بتشكيل مجالس بلدية، ولكن هذه التدابير فشلت». فقامت مدن العراق بالمظاهرات والاحتجاجات فتململت كربلاء،

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ٤: ٤١٠.

وتموّجت بغداد، وصرخت النجف، وتحمّس الفرات؛ فانفلتت الثورة وكانت نارًا وسلاحًا، وكانت مضبطة توكيل الموصل من مضابط التوكيل التي أرسلت من العراقيين إلى الحكومات في سورية بغية تمثيل العراق في المؤتمرات الدولية وخاصّةً مؤتمر الصلح بباريس، وقد كتب معتمد فرع جمعية العهد بالموصل إلى مركز الجمعية بالشام، بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩، يقول: «أرسلنا التفويض الذي طلبتموه كما تجدونه مربوطًا بهذا الكتاب، وكانت المضابط التوكيلية التي أرسلها الشيخ محمد رضا الشبيبي في أواخر حزيران ١٩١٩ من العراق إلى الشريف حسين في الحجاز أكثر المضابط التي نظّمت في هذا الخصوص أهمية لكثرة الموقعين عليه ولأهميّتهم الدينية والسياسية»[١].

أما أهم الإجراءات التي اتّخذها الثوّار في الاستعداد للثورة فهي:

١. وقّع على الفتوى للجهاد سبعة عشر رجلًا من علماء ووجهاء وأشراف مدينة كربلاء المقدسة، وقد تمّ استنساخ هذه الفتوى وتوزيعها في المدن والمساجد والمراكز العامة، وكانت هذه الفتوى حاسمةً في رفض المقترحات والألاعيب البريطانية، وقد أيّد المجتهدون فتوى الشيرازي الذي عدّ من يرغب بحكومةٍ غير مسلمةٍ كافرًا؛ ففي مدينة الكاظمية اجتمع العلماء والوجهاء والأشراف، ووقعوا هذه المضبطة: (بسم اللهّٰ الرحمن الرحيم بناءً على الحرية التي منحتنا إيّاها الدول العظمى، وفي مقدمتهن الدولتان الفخيمتان إنكلترا وفرنسا، وحيث إنّنا ممثّلو جمهورٍ كبيرٍ من الأمة العربية العراقية المسلمة، فإنّنا نطلب أنْ يكون العراق الممتدة أراضيه من شمال الموصل إلى خليج فارس حكومةً عربيةً إسلاميةً

١. م، ن، ص ٢٣.

يرأسها ملكٌ عربيٌّ مسلمٌ، هو أحد أنجال جلالة الملك حسين، على أنْ يكون مقيّدًا بمجلسٍ تشريعي وطني، والله ولي التوفيق)، وكانت أبرز التواقيع في هذه المضبطة للذوات: محمد مهدي صدر الدين، والسيد أحمد السيد، والحاج عبدالحسين الجلبي، والشيخ عبد الحسين آل الشيخ ياسين، والسيد إبراهيم السلمان، والسيد حسن الصدر، والسيد محسن السيد حيدر[١].

٢. تم توقيع مضبطةٍ من مجموعةٍ من علماء السُنّة والشيعة، جاء فيها: «لما عُلم أنّ الغاية التي ترمي إليها كلٌّ من دولتي بريطانيا العظمى وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب، وإنشاء حكوماتٍ وإداراتٍ وطنيةٍ، وتأسيسها تأسيسًا فعليًا بكلٍّ من سوريا والعراق حسبما يختاره السكّان الوطنيون، فإنّنا ممثّلو الإسلام من الشيعة والسُنّة من سكّان مدينة بغداد وضواحيها، بما أننا أمةٌ عربيةٌ وإسلاميةٌ قد اخترنا أنْ تكون لبلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل إلى خليج العجم دولةٌ عربيةٌ يرأسها ملكٌ عربيٌّ مسلمٌ هو أحد أنجال سيّدنا الشريف حسين مقيّدًا بمجلسٍ تشريعيّ وطنيّ مقرّه عاصمة العراق بغداد»[٢].

٣. كما أسّس السيد محمد الصدر، حزب حرس الاستقلال (جمعية حرس الاستقلال)، التي ضمّت في عضويتها السيد محمد الصدر، والشيخ يوسف السويدي، والشيخ محمد باقر الشبيبي، وجعفر أبو التمن، وناجي شوكت، والضابط محمود رامز، والمحامي بهجت زينل، وغيرهم، وقد شددّت جمعية حرس الاستقلال على استقلال البلاد العراقية استقلالًا مطلقًا، وركزت على مسألتين مهمتين في هذا الإطار، وهما: الوحدة الوطنية لكلّ العراقيين أولًا، ثم

---

١. م، ن.

٢. آل محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ١: ٢٥٠ - ٢٤٩.

تأمين العلاقة العضوية بين نضال العراق وبقية الأقطار العربية من أجل الوحدة العربية ثانيًا[١].

٤. تم تشكيل جمعيةٍ سريةٍ مناهضةٍ للاستعمار في كربلاء، وهي (الجمعية الوطنية الإسلامية)، التي ضمّت: السيد هبة الدين الشهرستاني، وعبد الوهاب آل طعمة، والسيد حسين القزويني، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، وعبد الكريم العواد، وعمر العلوان، وعبد المهدي القمبر، وغيرهم، وقد ترأّس هذه الجمعية الشيخ محمد رضا الشيرازي النجل الأكبر للمرجع محمد تقي الشيرازي، وقد أدّت هذه الجمعية دورًا في تعبئة العشائر العراقية المنتفضة وتوجيهها[٢].

٥. تم تشكيل (جمعية النهضة الإسلامية) في النجف الأشرف، التي ضمّت: السيد محمد علي بحر العلوم، والسيد محمد جواد الجزائري، والشيخ عباس الخليلي، والشيخ محمد الدمشقي، والسيد إبراهيم البهبهاني، وعباس الرماحي، وكاظم الخليلي، وحسين الصراف، ومحمد شليلة، وقد اعتمدت هذه الجمعية أسلوبًا تنظيميًّا ينحصر في توزيع أعضائها على جناحين، عسكري وتنظيمي، وعلى رأس كلّ جناحٍ عضو ارتباط يشرف عليهما، وقد توزع العمل العسكري على عدة فروع في الكوفة وأبي صخير والحيرة والشامية[٣].

٦. تم عقد اجتماع في النجف الأشرف، وكان يضمّ السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد جواد الجزائري، والعديد من زعماء العشائر، وقد اتفقوا فيه على نشر مطالبهم، ومقرراتهم الاستقلالية عن

---

١. عادل تقي، التكوين الاجتماعي للأحزاب والجمعيات السياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، ص٣٨.
٢. البلداوي، كاظم حبيب، ثورة العشرين (١٩٢٠) في العراق، ص٥٨.
٣. م، ن، ص ٥٩.

طريق توزيع نسخ منها، وتوجيه الخطباء لنشرها، كما أوفدوا السيد هادي زوين، والحاج محسن شلاش للاتصال بالبغداديين لأجل الوقوف على آرائهم.

٧. أرسل الميرزا الشيرازي رسالةً الى عموم العراقيين يطلب منهم فيها أنْ ترسل كلّ مدينةٍ مندوبين الى بغداد للتفاوض مع الاحتلال البريطاني بشأن الاستقلال، مع الحثّ على الهدوء وعدم الإخلال بالأمن وصيانة حقوق جميع الملل والنحل في البلاد.

٨. أخذ أهالي النجف والشامية ينتخبون مندوبيهم لمفاوضة قوات الاحتلال في بغداد، وقد وجّه بعض قادة ثورة العشرين مذكرةً إلى الحاكم السياسي البريطاني في النجف جاء فيها ما يلي: «لما طال انتظار الأمة العراقية لتحقيق وعود الحلفاء الرسمية، ولا سيّما الحكومة البريطانية، وتنفيذ وعودهم الدولية المقطوعة باستقلال البلاد التام، رأت أنّ السكوت عن المطالبة بحقوقها الصريحة لا يجوز لها بوجهٍ من الوجوه، ولا يحسن بالأمة التي عرفت من نفسها الكفاءة على تسلّم أزمّة البلاد، وإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية، أن تغض النظر عن المجاهرة بمقاصدها الغالبة ورغائبها السامية، فقررنا أن نطالب الحكومة المحتلة باستقلالنا التام، المؤيّد في بياناتها الدولية، وأن تنفذ بسرعة المطاليب الآتية: إنّنا نطالب أنْ يؤلّف الشعب باختياره، مؤتمرًا عراقيًا قانونيًا، يجتمع أعضاؤه في عاصمة البلاد بغداد، ومهمته تأليف حكومةٍ عربيةٍ مستقلةٍ كلّ الاستقلال، عارية عن كلّ تدخلٍ أجنبي، يرأسها ملكٌ مسلمٌ، ونطلب رفع الحواجز عن ارتباط الشعب العراقي، وتفاهمه مع الشعوب الأخرى، بحرية المواصلات،

وكافة المنشورات والمطبوعات»[١].

المقصد الثاني: التمويل للثوار والثورة

إنّ دور الحكومة الفيصليّة في سورية وتأثيرها في حركة العراق الوطنية كان مبالغًا فيه، فعندما يتكلّم العمري عن أثر الحكومة الفيصلية في حركة العراق الوطنية يقول: «إنّ كثيرًا من أهل العراق اعتقدوا بأنّ الدولة العربية المؤسسة في سورية على أثر مبادئ ولسن الشهيرة، قد أصبحت قوية، يستند رجالها الى أحزابٍ سياسيةٍ وطنية، وأنّ هؤلاء، وفي مقدمتهم سمو الأمير فيصل، قد عزموا على تحرير العراق من الاستعباد البريطاني»[٢]، ولو بحثنا عن المساعدات الفعلية التي قدّمتها سوريا للعراق أثناء كفاحه مع الإنكليز لوجدناها ضئيلة إن لم تكن معدومة، وقد بيّنا في فصلٍ سابقٍ أنّه لم تصل مساعداتٌ ماليةٌ من سورية للعراق ذات أهميةٍ، ومع هذا فقد أشار الشيخ فريق الفرعون إلى أنّ الملك فيصل قد أرسل ستة وعشرين ألف ليرة ذهبية مع شخصٍ لم يذكر اسمه، وطلب منه أنْ يسلمها إمّا إلى الشيخ محمد تقي للشيرازي، وإمّا الى عبد الواحد الحاج سكر وإمّا إلى السيد علوان الياسري، ولكن الشخص الموما إليه لم يوصل المبلغ إلى أيّ واحدٍ من هؤلاء[٣].

---

١. يقول أمين سعيد علي: «إنّ الجيش الفيصلي كان ضعيفًا، وكان يوسف العظمة يخفي الأمر عن الملك فيصل، ولكن ياسين الهاشمي باح بكل شيء. فقال يوسف: لقد كشفنا ياسين وانتهى كل شيء، ولم يعد بإمكاننا أن نعمل شيئًا»، أمين سعيد علي، الثورة العراقية الكبرى، ١/ ٢٨٢.

٢. م، ن.

٣. إنّ الثورة بدأت وانتهت ولم تصل إلى القائمين فيها أية مساعدة مالية أو عسكرية، بل بالعكس إنّ أحد القائمين بالحركة في دير الزور، وهو علي جودت الأيوبي، أرسل رسالةً يطلب فيها من الثوار عشرة آلاف ليرة لينفق منها على نقل أتباع يشتركوا بالثورة ضد الإنكليز فرُفض طلبه». البازركان، علي، الوقائع

وممّا يجدر ذكره هو أنّ السيد عبد الرزاق الحسني قد سأل جماعةً من السياسيين ورجال الدين الذين اشتركوا بالثورة والزعماء وغيرهم عن مواضيع عديدة، ومن بينها المساعدات السورية للعراق: هل تلقّى الثوّار مساعداتٍ عسكرية أو مالية من بغداد أو من خارج العراق؟ وقد أجاب فخامة ناجي شوكت بالنفي، وكان جواب معالي جلال بابان الذي كان من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك فكان: «لم يحصل العراقيون في ثورتهم هذه أيّ شيءٍ من خارج العراق سواء كانت هذه الذخائر الحربية أو الأسلحة أو النقود »[١]. وقال العلّامة الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي كان من أكثر رجال الثورة اطلاعًا على خبايا الأمور: «لم تأت أية مساعدةٍ من الخارج لا مال ولا عتاد»[٢]. أما جواب الشيخ محمد جواد الجواهري، وهو من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك، فكان: «إنّي من المباشرين والمطلعين إلى ساعة إلقاء القبض عليّ، فما رأيت وما سمعت، أنّ الثوار استعانوا برجال بغداد أو غير بغداد، لا بإمدادات حربية ولا بأموال نقدية». ويقول السيد عبد الرزاق الحسني: عندما وجهت الأسئلة سالفة الذكر للعلّامة السيد هبة الدين الحسيني أجاب عليها بقوله: «أمّا من خارج العراق فلم يرد أيّ شيءٍ قط لمساعدة الثائرين، لا أسلحة ولا ذخائر ولا أموال»[٣]. أما جواب الحاج عبد المحسن شلاش، وهو من المشتغلين بالشؤون العامة حينذاك فقال: « لم أرَ، ولم أسمع، بوصول مددٍ أو مالٍ أو غيره الى الفرات الثائر لا من داخل العراق ولا

الحقيقية في الثورة العراقية، ص ١٦٠.

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص٤٢١.

٢. م، ن، ص٤٢٣.

٣. م، ن.

من خارجه». أما الزعيم المشهور الحاج عبد الواجد الحاج سكر فقال جوابًا عن الأسئلة سالفة الذكر: «فإنّي أطمئنك، وتأكّد من قولي: بأنّه لم يردنا أيّ شيءٍ من المساعدات المالية أو المعنوية لا من العرإق، ولا من خارجه»[1]. أما جواب السيد علوان الياسري، وهو زعيم الثورة المسلحة، فهو: «أما الإمدادات التي تطرقتم إليها، لم يصل منها شيءٌ لا من بغداد ولا من خارج العراق، وكانت موارد الثوار الاقتصادية محدودة، وكان الثوار ينفقون على الثورة من أموالهم الخاصة غالبًا»، ويقول الجنرال هالدن: «إنّ الأثرياء من السادة وشيوخ العشائر قدموا مبالغ نقدية وعينية لتموين جيوش الثورة، واستخدمت المبالغ التي قدموها لشراء السلاح والعتاد، ومن الملاحظ أنّ كلّ المبالغ التي أنفقت على الثورة أو جلّها قدّمها العراقيون أنفسهم». وقد لجأ الثوّار الى مختلف الوسائل لتوفير المال اللازم لنفقات الثورة ومن بين هذه الوسائل:

أ. كان الثوار يجبون ضرائب الحكومة من المناطق التي أخلاها البريطانيون، فجبى الثوار من كربلاء مثلًا (٧٠) ألف روبية أو ما يعادل (٨٧٠٠) ليرة إسترلينيّة.

ب . استمر الثوّار على جباية العشور المقررة بصورة منظمة.

ج . فرضوا ضريبةً ثقيلةً على الحبوب التي ترد النجف من أجل الاستهلاك المحلّي، وبلغت هذه الضريبة (٣٠) ألف ليرة.

د . لقد فتح باب التبرع الاختياري في المدن المختلفة وحثّ العلماء في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الأشرف الناس على التبرع لهذا الغرض لأسباب دينيةٍ ووطنية، وعندما يعمل الثوّار في منطقة بعيدة عن بيوتهم، أعطى كلّ فردٍ منهم

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص٤٢.

روبية واحدة لنفقاتهم اليومية، وكان دفع هذا المبالغ الطويلة يثقل كاهل خزينة الثورة؛ لذا كان سكّان المنطقة التي تجري بها العمليات العسكرية يتبرعون بإطعام الثوار الذين يعملون بمنطقتهم[١]، وقد أفتى العلماء بصرف الحقوق الشرعية من أجل الثورة، وكان السيد نور الياسري من بين الذين أنفقوا مبالغ كثيرةً على تمويل الثوار، كما أنّ السيد هادي مكوطر كان قد أنفق مبالغ كبيرة لتمويل الثورة في السماوة[٢].

المقصد الثالث: أهمّ الشخصيّات المؤثرة في الثوار وفي الثورة

أولًا: الميرزا آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي:

كان المرجع الديني الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي مرجعًا دينيًا، ومرشدًا سياسيًا، قاد الحركة الوطنيّة نحو مواجهة الاحتلال البريطاني، والثورة ضدّ سياسة الاحتلال التي أضرّت كثيرًا بالعراقيين ومقدراتهم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وكان له الأثر الواضح في اندلاع ثورة العشرين الوطنيّة وتحقيق استقلال العراق فيما بعد، كما أنّ دوره تميز بمدتين الأولى بدأت منذ توليه المرجعيّة في أيّار ١٩١٩م، واستمرت حتى آذار ١٩٢٠م، وتميزت المدة الأولى بأنّ الشيخ الشيرازي قام بتعزيز القيادة الدينيّة في معارضة المشاريع البريطانيّة، وحلّ بعض المشكلات التي تواجهها حركة المقاومة الوطنيّة، وذلك قبل أنْ يتّخذ في المدة الثانية موقفًا حازمًا وحاسمًا للبدء بمواجهةٍ شاملةٍ ومسلحةٍ ضدّ الاحتلال

١. المطبعي، حميد، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ١/ ١٩٠.
٢. آل طعمة، سلمان هادي، كربلاء في ثورة العشرين، ص٣٠-٣١.

البريطاني تمثّلت في ثورة العشرين التحرريّة[١]، كما نجح الشيخ الشيرازي في حلّ مشكلة التناحر والصراع بين العشائر عن طريق خلق التآلف والتقارب في الوجهات المختلفة بالشكل الذي مكّن ذلك الإفادة منهم في مقاومة المحتل البريطاني، والتهيئة لما ينتظره العراقيون من استقلال.

وكان هناك دورٌ للمرجعية الدينيّة في ثورة العشرين تمثّل بالتعبئة والتوجيه وطرح الشعارات والأهداف التي تعكس المضمون الوطني والإسلامي للثورة، والعمل على بثّ الروح الحماسيّة عن طريق الخطب التي تلقى في المساجد والحسينيات أو عن طريق إصدار المنشورات وتوزيعها في مختلف مناطق العراق، كما كان للفتوى الجهاديّة للشيخ الشيرازي أثرها الكبير في إنقاذ العراق من الاحتلال البريطاني وجعلته يسير في طريق الاستقلال، وكان العراقيون طوعًا لإرادته لا يصدرون إلّا عن رأيه، وكان لا يستبد برأيه، بل يستشير جميع العلماء وأصحاب الفضيلة ليتّخذ القرار الصائب[٢]، وكان يرفض التمييز بين مكونات العراق وطوائفه المختلفة، ويعامل الجميع على قدم المساواة بعدّهم مواطنين لهم حقّ العيش الرغيد في بلدهم، ويدافع وينتصر لجميع المسلمين الذين يتعرضون إلى الظلم في مختلف البلدان، سواء كان ذلك في العراق أم خارجه، ولم تعتمد المرجعيّة الدينيّة على الوسائل العسكريّة فحسب، بل لجأت إلى الوسائل الدبلوماسيّة، أي التباحث مع الدول الكبرى، وحثّها للضغط على بريطانيا للإيفاء بوعودها وعهودها مع العراقيين ومنحهم الاستقلال، فقد بعث

١. جريدة الوطن، الى روح العلامة الكبير البطل الثائر المرحوم محمد تقي الحائري، العدد السادس عشر، السنة الأولى، بغداد، ٢٨/ ٦/ ١٩٦٦.

٢. م، ن.

الشيخ الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني معًا برسالتين إلى كلّ من السفير الأميركي في طهران والرئيس الأميركي وودور ولسن من أجل مساعدة الشعب العراقي «قد رأينا أن نراجع حكومة الولايات المتحدة بتوسطكم، ونستعين بها في تأييد حقوقنا بتشكيل دولة عربية»[١].

وبعث الشيخ الشيرازي في تلك المرحلة العصيبة من أيام الثورة رسالةً إلى جمعية (عصبة الأمم) في جنيف بتاريخ١٢ آب ١٩٢٠م، وذكّر الشيرازي في تلك الرسالة بوعود الحلفاء بمنح العراق الاستقلال في إدارة شؤونه وتدبير مصالحه العامة بنفسه[٢]، إذ إنّ الدور القيادي للشيخ الشيرازي تميز بمدتين الأولى بدأت منذ توليه المرجعية في (أيار ١٩١٩م)، واستمرت حتى(آذار ١٩٢٠م)، وتميّزت بأنّ الشيخ الشيرازي قام بتعزيز القيادة الدينيّة في معارضة المشاريع البريطانيّة، ومقاومة الاحتلال، وحل بعض المشكلات التي تواجهها الحركة الوطنيّة، في حين اتسمت الفترة الثانية بالمواقف المشرّفة له بمواجهةٍ شاملةٍ ومسلّحةٍ ضدّ الاحتلال البريطاني إبّان ثورة العشرين الوطنية حتى وفاته، إذ لم يكن دور المرجع الديني الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي في ثورة (١٩٢٠م) مجرد دور المشارك أو الواعظ أو المحرض، إنّما كان له دورٌ قياديّ بارزٌ ومهمٌ على جميع الأصعدة السياسيّة والاجتماعيّة، بل حتى العسكريّة أحيانًا في الثورة، فقد عدّه معظم المؤرّخين والباحثين (الزعيم الروحي) للثورة[٣]، كما اعترف البريطانيون

١. مير بصري، أعلام الوطنية، ص٣٣٥.

٢. آل طعمة، سلمان هادي، كربلاء في ثورة العشرين، ص٣٤.

٣. وعلق محمد مهّدي كبه عن الدور الكبير للشيرازي في الثورة بالقول: «لا يمكن أنْ نسقط من حسابنا موقف رجال الدين، وعلى رأسهم المرجع الأعلى الميرزا محمد تقي الشيرازي في مناهضة الاحتلال البريطاني، وفتواه بوجوب مقاومته ومحاربته، وكان لذلك أبلغ الأثر على قبائل العراق». محمد مهدي

أنفسهم بالتأثير القوي للشيخ الشيرازي على سياساتهم وعرقلتها داخل العراق وخارجه.

وفي غمرة أحداث الثورة توفّي الشيخ الشيرازي في يوم (١٧ آب ١٩٢٠م)، ويقال إنّه أُغتيل بالسم على أيدي عملاء البريطانيين، وأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني الذي تولّى المرجعية بعد وفاة الشيخ الشيرازي بيانًا في ذات اليوم موجّهًا إلى الأمة الإسلامية بصورةٍ عامةٍ والشعب العراقي بصورةٍ خاصّة، ينعى فيه الشيخ الشيرازي، وكان يوم وفاته (رضوان الله تعالى عليه) مشهودًا؛ فقد حضر عددٌ كبيرٌ من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر، فجرى له تشييعٌ كبيرٌ، ودُفن في الصحن الحسيني الشريف في مدينة كربلاء المقدّسة[١].

ثانيًا: السيد محمد سعيد الحبوبي:

كانت النجف الأشرف في أواخر العهد العثماني قد رفضت حكم السلاطين وتسلّط الظالمين، وحاربت خطل الآراء وزلل الأهواء، وليس ذلك بالأمر الجديد؛ فالنجف صرحٌ حضاريّ من المخزون الثقافي المتجدد، ومنبع من منابع الفكر الإسلامي المتطور، وهي بعد مقرّ المرجعية الدينية العليا للإمامية في العالم، حتى أدرك الاستعمار الغربي خطر هذا البند على مصالحه وقواعده الاستراتيجية، فسلّط عليه الفقر والحرمان، وكابد الشعب الجوع والمرض، وعوملت النجف بالقسوة والسطوة والانتقام[٢]، ولقد خاضت النجف من عام ١٩٠٨م معارك

كبة، مذكراتي في صميم الأحداث (١٩١٨- ١٩٥٨)، ص٢١.

١. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٢٦.

٢. البطيحي، هدى جاسم محمد، السيد محمد سعيد الحبوبي حياته وشعره، رسالة ماجستير، ص٥٥.

سياسيةً وحربيةً، وانتفاضةً تعقبها انتفاضة[١]، ولشدّ ما انتفضت وناضلت هذه المدينة المقدسة في تأييد النظام الدستوري، وهزيمة الحكم الفردي، وامتد الصراع إلى مقارعة الاحتلال الإنكليزي، وكان فيها قادة الإصلاح الديني ورجال الحكم الدستوري، ولما جاء إعلان الجهاد على أولئك المعتدين، فكثر الضجيج في النجف، وتبادل الزعماء الرأي، إلّا السيد الحبوبي الذي كان في صمتٍ وتفكير، وإذا به يكسر الصمت زائرًا في الأجمة إذ طرح القلم، وتناول السيف تاركًا حلقة الدرس وندوة الأدب، متقدمًا صفوف المحاربين[٢]، فكان العَلَمَ للنجف، ومن بعده تكاثرت الأعلام النجفية التي نشرت للدفاع عن العراق بميدانين، أحدهما على حدود الأهواز، والآخر وهو المهمّ، ميدان الحبوبي على أبواب البادية حيث مضارب بني غزوان وحيث هبطت بنو شيبان، وفي السادس عشر من محرم الحرام عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٦/ تشرين الثاني/ ١٩١٤م.

تحرك السيد الحبوبي للدفاع عن ثغور الإسلام[٣]، واتّجه بموكبه نحو الحرم الحيدري المقدّس يستمد من صاحبه الحزم والعزم، خالعًا عباءته مرتديًا جبته، حاملًا سيفه؛ بين ضجيج الجماهير وزعردة النساء ودعوات المبتهلين، وبعد أداء مراسمِ زيارةِ أمير المؤمنين عليه السلام، اتّجهَ والمجاهدون بالعربات نحو سجد الكوفة فوصله، وصلّى فيه ركعتين، ودعا اللهَ (عزّ وجلّ)، وتوجّه نحو الجسر، وهو شريعة شاطئ الفرات بالكوفة، حيث أُعدَّتْ السفن الشراعية نقل المجاهدين صوب الناصرية، وكان في توديعه العلماء الأعلام ومراجع الأمة، ومن جملتهم

---

١. الحبوبي، عبد الغفار، مقدمة ديوان الحبوبي، ص٣٨.

٢. الحبوبي، علي فاروق محمود، محمد سعيد الحبوبي ودوره الفكري والسياسي ١٨٤٩ - ١٩١٥، ص٣٤.

٣. م، ن، ص٤٥.

الآية الكبرى الشيخ باقر القاموسي البغدادي (ت١٣٥٢هـ)، وكان السيد أحمد السيد ياسين السعبري أحد المودعين لموكب السيد الحبوبي، ثم التحق بالمجاهدين فيما بعد، وحين العودة إلى النجف، وكان قد نظر بعين البصيرة النافذ فشاهد من جلائل أعمال السيّد ودقته، وروعة إدارته العليا لشؤون الدفاع عن الإسلام، فهو بنفسه يسوي صفوف الصلاة جماعة، وهو يعاني جشوبة العيش بعد اللين، وخشونة المركب بعد الأرائك، ومضايقة السواد بعد المتعلّمين، ويقاسي صعوبة التوفيق بين الآراء عند المنازعات العشائرية، ويتولّى رعاية متطلبات المجاهدين في الأرزاق والعتاد والسلاح.

والنجف الأشرف لا تنسى ذلك اليوم المشهود الذي اجتمع فيه عشرات الألوف من الناس ليستمعوا إلى إعلان السيد الحبوبي عن عزمه على الثورة لمقاومة جيوش الاحتلال، وللوقوف أمامها وجهًا لوجه، وقد استجاب إلى ندائه هذا كثيرٌ من رجالات الأمة البارزين من علماء وزعماء وأحرار، وانضموا إليه في ثورته المقدّسة ويقول العلّامة الكبير الشيخ آغا بزرك: «ولمّا دخل الإنكليز البصرة، وأعلنت الحرب العامة، واشترك بها الأتراك ونادوا بالنفير العام، أسهم في ذلك العراقيون، ونهض معظم علماء الشيعة للجهاد، وأفتوا بوجوبه والدفاع عن بلاد الإسلام ومحاربة الإنكليز وثارت عشائر العراق، ولم يكتفِ المجتهدون بذلك بل خاضوا المعارك بأنفسهم، وهم: شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد علي الداماد، والسيد الحبوبي وغيرهم الكثيرون، وهناك فريقٌ من العلماء منعهم من المشاركة بأنفسهم عجزهم وهرمهم، وتوقّف أعمال الشيعة عليهم»[١]، وهؤلاء

١. الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر، القسم الثاني، ١/ ٨٨١.

بعثوا أولادهم نيابة عنهم، منهم شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين)، فقد بعث ولده الشيخ محمد رضا، وكذلك السيد محمد كاظم اليزدي فقد بعث ولده السيد محمد، وغيرهما كذلك، وقد أبلى الجميع بلاءً حسنًا، وكان السيد الحبوبي من أشدّهم اهتمامًا، وأكثرهم حماسًا، فقد قاد جيشًا جرّارًا، وعسكر به في الشعيبة، وقد بلغ عدده تسعين ألف مجاهد[1].

وهذا يعني أنّ السيد الحبوبي كان للعراقيين كافة، ولم يكن متقوقعًا في زاويةٍ من زوايا النجف، فإنّ من يستجيب له هذا العدد الضخم من المجاهدين في قبال الإنكليز في تلك الظروف الصعبة، ينبغي أنْ يكون قائدًا جماعيًّا تلتف حول رايته مشاعر العراقيين من دون تمييز، وهكذا شأن النجف الأشرف، وكان السيد الحبوبي قد أبحر من شط الكوفة بسفينته الشراعية متجهًا نحو السماوة، وكان كلّما نزل بمكان تحوّلَ بين عشائره داعيًا الناس للجهاد ومحاربة الغزاة، وقد اتّخذ له معاونين من الشباب منهم باقر الشبيبي الذي كان موضع إعجاب شيوخ العشائر لثقافته ولباقته، واستجاب له زعماء العشائر في الفرات وأتباعهم لاسيما في المشخاب، فقد اتصل بالسيد علوان الياسري، والسيد نور الياسري، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، ومبدر آل فرعون وسواهم من الزعماء، وكان الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي يقضي شهري محرم وصفر في السماوة مرشدًا منبريًا، وخطيبًا حسينيًا، فزوّده السيد الحبوبي بكتابٍ كريم، يأمره فيه بتحريض عشائر الرميثة وما والاها على الانضمام إلى صفوف المجاهدين، فتمّ له ما أراد، وبقي السيد الحبوبي مرابطًا في الناصرية، ردحًا من الزمن يهدئ الفتن، ويوحد

١. الشرقي، علي، الاحلام، ص١٥٨-١٥٩.

الكلمة، ويجمّع الجيوش، ويعدّ العدة، ويوجّه المجاهدين، ويرسل المبعوثين إلى الأطراف للالتحاق بالجاهدين، فاستجابت عموم القبائل والأهالي من حدود الحي إلى الناصرية، وأخذت أفواج الجيش ومعداته تترى، والذخائر الحربية ترد في السفن والبواخر من الكوت إلى الشطرة والناصرية، ويتلخّص السبب في هذه الاستجابة إلى عاملين مهمين هما[١]:

١. عمق الوعي الديني والسياسي والوطني في النفوس.

٢. كون السيد الحبوبي زعيمًا شعبيًا تلتقي حوله الأطراف العراقية، وتنصاع لأوامره الجماهير، ويعتزّ به الجميع

وهكذا كان السيد الحبوبي في جملة خصائصه متواضعًا، وكان أبيًا تمام الإباء، فهو في جهاده وقد شحّت أموال الجاهدين، وكانت القيادة التركية ترغب بمساعدهم فقدّمت الحكومة التركية خمسة آلاف ليرة ذهبية كمساعدة له على مواصلة جهاده، ولكن السيد الحبوبي أبى ذلك قائلًا: «إنّي مكلّفٌ بالتضحية في مالي ونفسي، فإذا نفذ المال بقيت نوبة النفس اعتبروني جنديًا من الجند، آكل ممّا يأكلون، وأشرب ممّا يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا أقبل درهمًا واحدًا، وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف، ولا أسمح لكلّ أحدٍ أن يفاتحني في هذ الشأن»[٢]، كما أنّ السيد الحبوبي لم يكن مستبدًّا برأيه، بل جمع حوله المستشارين من علية القوم من ذوي الرأي والخبرة والورع والتجربة، وكان في طليعتهم: السيد محسن الحكيم أمين مال المجاهدين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والشيخ جعفر الشيخ عبد الحسن الشيخ راضي،

١. الحبوبي، عبد الغفار، مقدمة الديوان، ص ٤٨.

٢. م، ن، ص٤٩.

والشيخ محمد رضا الشبيبي، والشيخ باقر الشبيبي، والسيد أبو القاسم الكاشاني، والشيخ باقر حيدر، والسيد سعيد كمال الدين، والشيخ رحوم الظالمي، والشيخ حسين الحلي، والشيخ عبد الحسين مطر، والشيخ حسين الصغير، والحاج حسين الشعر باف، والحاج عبود شكر، وقد خصص لكلّ منهم واجبًا محددًا في الخطابة والمراسلة والتحريض والإعداد، وائتمان شؤون المجاهدين، وتموين الجيش المقاتل[١].

وما كان للسيد الحبوبي في جهاده الإنكليز أنْ يحقّق نصرًا فوريًا أمام تلك الجيوش المدرّبة، والقوّات العسكرية الرتيبة بكلّ آلاتها الحربية وأجهزتها الحديثة، ولكنه دون شك أحرز انتصارًا مستقبليًا حين أذكى روح النضال، وفجّر بركان الثورة، وأيقظ الجماهير من سباتها العميق فقد أعلنت ثورة النجفيين على العثمانيين، وانتهت بطردهم من النجف بعد مرور شهرٍ على واقعة الشعيبة، وذلك في ٨/ رجب / ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، وتسلّم النجفيون الحكم في البلدة، فحكموها حكمًا ذاتيًا، وقامت ثورة النجف على الإنكليز التي افتتحت بقتل الكابتن (مارشال) حاكم النجف البريطاني صباح الثلاثاء ١٩/ مارس/ ١٩١٨م، والتهبت الثورة العراقية الكبرى في ٣٠/ حزيران/ ١٩٢٠م، التي مهّدت لاستقلال العراق الصوري فيما بعد، وبذلك تكون نهضة السيد الحبوبي في الدفاع عن حمى الإسلام البداية الثورية التي قادت ركب التحرر، ومكافحة الاستعمار، كان المهمّ لدى السيد الحبوبي أنْ يناهض الإنكليز بكلّ ما يستطيع، وأنْ يحرّك المشاعر العامة قدر الإمكان، وأنْ يقود جمهرة المجاهدين بما أوتي من

١. الخاقاني، علي، شعراء الغري، ص ٦٩ – ٧٠.

قوة الشكيمة، وصحّة العزم، ودقة المبادرة، وليكن بعد ذلك ما يكون، حينما انجلت المجابهة عن نكسة المجاهدين نتيجة جهل القيادة العثمانية، وخيانة بعض المتزعمين العشائريين، وحداثة الأسلحة البريطانية، انسحب السيد الحبوبي بما تبقى من معسكره إلى الناصرية، وقال كلمته المشهورة التي رواها عنه السيد محسن الحكيم(قد): «الحمدُ لله الذي عرّفني تكليفي»[١].

ثالثًا: الشيخ عبد الكريم الجزائري:

اندمج الشيخ الجزائري اندماجًا كلّيًا في حكومة الجهاد الوطني، وشارك مشاركةً ظاهرةً في حركة الحرية والدستور، وحارب إلى جنب المجاهدين الأحرار ضد الاستعمار البريطاني لدى دخوله العراق في ١٩١٤، واستقر في محافظة العمارة عام ١٩١٥م، بعد انسحاب العراقيين والعثمانيين من القرنة إثر هزيمة الجيش العثماني، وخطط ووافق ودعم ثورة النجف الأشرف ضد الإنكليز في ١٩/ أذار / ١٩١٨م، وكانت جمعية النهضة الإسلامية بجناحيها العسكري والروحي تسترشد بنور آرائه الصائبة، وساند قائد ثورة العشرين الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي وكان من المقرّبين إليه، وشاور قادة الثائرين في كيفية الانقضاض على الاحتلال البريطاني[٢]، والتقى زعماء العشائر في الفرات لإعلان الثورة، وشارك بفاعليةٍ قصوى من أجل حصول العراق على الاستقلال السياسي، وكان أبرز رجالات ثورة العراق هذه في ١٩٢٠م، ومن المخطّطين لها والعاملين في صفوفها[٣]، وناضل من أجل وطنه، يقول الأستاذ

١. الحبوبي، عبد الغفار، مقدمة الديوان، ص ٤٨.

٢. الخاقاني، علي، شعراء الغري، ٩/ ٢٣١.

٣. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٥/ ١٢٨.

علي الخاقاني: «فهو عربي بترعته، ومسلم في دعوته، وجعفري في مذهبه، يريد العروبة والإسلام، والإسلام للوحدة، والمذهب لهداية، والجميع لله سبحانه، جاهد الإنكليز على حدود العراق، وطاردهم في جبهة الحويزة، وبذر البذرة الأولى في تشكيل الحكومة العراقية، فكان موفقًا في جهاده، منصورًا في مطاردته، مباركًا في بذرته»[١].

ولعل الشيخ آغا بزرك طاب ثراه من أولئك القلائل الذين عرضوا لجهاد العلامة الجزائري في صفحاتٍ مشرقةٍ من أضواء نضاله الفكري والبطولي والعسكري والاجتماعي في تكثيفٍ معمّق، وشذرات معبّرة، فقال: «الجزائري- من رجالات العراق البارزين والشخصيات الإسلامية المعروفة، وحياته حافلة بالمفاخر والمآثر والكفاح والجهاد في سبيل ربّه وأمته ووطنه، وفي الحقيقة إنّها سجلٌ يوضّح جانبًا من تأريخ العراق في الخمسين سنة الأخيرة؛ لأنّه شارك في معظم الأحداث مشاركة فعّالة، وعمل على معالجة كثيرٍ من المشاكل والوقائع بحكمة وإخلاص، وقد مرّ عليه نصف قرن وهو أحد أقطاب النجف، ورجال الرأي، وقادة الفكر، وأبطال الجهاد، وأعيان العلماء، وقد لمع اسم الشيخ الجزائري أول ما لمع في معركة المشروطة والاستبداد، فقد كان ممّن انحاز إلى جانب الحجة الخراساني، الذي تزعّم الفريق الأول، وكان من مؤيديه وأعوانه، ويعرف معاصروه دوره في تلك المعركة جيدًا، وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى ودخل الأتراك الحرب إلى جانب الألمان، بادرت القوّات البريطانية في عبادات لاحتلال جنوب العراق، وعندها أفتى علماء النجف الأشرف بوجوب الدفاع

١. المظفر، كاظم، ثورة العراق التحرريّة عام ١٩٢٠، ١/ ١٥٢.

عن بيضة الإسلام، والوقوف في وجه الكفّار، وبالرغم من الظلم والاستبداد الذي عاناه العراقيون زمنًا طويلًا من الأتراك، فقد وقفوا معهم جنبًا إلى جنب، وانتظموا في جبهات حربية قادها المجتهدون بأنفسهم، ونزلوا معها ساحات القتال»[١]، وقد كان الشيخ الجزائري في طليعة العلماء الذين اشتركوا في الصف الأول من المجاهدين، كما عمل على إثارة المتنفذين ودعاهم للوقوف في وجه الإنكليز المحتلين لما كان يتمتع به من كلمة نافذة في الأوساط الدينية والوطنية والعشائرية.

وظلّ كذلك يخوض غمار الأحداث في تلك الظروف الراهنة حتى قامت الثورة العراقية، فكان من رجالها البارزين، وهو أحد الأربعة الذين انتخبهم النجفيون للمطالبة بحقوقهم، وانتدبوهم لتمثيلهم، وعرض مطاليبهم على حكومة الاحتلال البريطاني. انتخب الشعب العراقي من خلال قيادته الروحية في النجف الأشرف خمسة من العلماء والوطنيين ليكونوا مندوبين عن الشعب في طلب الاستقلال، وكان للعلّامة الجزائري دور التوجيه والنصح الكريم لثوّار النجف ضد الحاكم البريطاني الكابتن مارشال عام ١٩١٨م، إذ اخترق الثوّار الحصار المضروب على النجف، وعملوا الاتصالات اللازمة مع بعض الأبرار المتحمسين للثورة، ومن أبرزهم: العلامة الهمام الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ محمد رضا الشبيبي[٢]، والعلامة السيد عيسى كمال الدين، والسيد محمد سعيد كمال الدين، والسيد محمد علي بحر العلوم، واتصلوا بغيرهم من الوطنيين المخلصين، والعارفين تمامًا بمقاصد ومرامي الإنكليز، وإنّ على العلماء الأبرار

١. كاظم المظفر، ثورة العراق التحرريّة عام ١٩٢٠، ص١٥٤.

٢. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٦٩-٧٨.

والوجوه الفاضلة أنْ يبثّوا الوعي بين سواد أبناء البلدة، وكان العلامة الجزائري في طليعة المجاهدين في الحرب العالمية الأولى، وكان إلى جانب الدولة العثمانية في حربها الطاحنة ضد الإنكليز في العراق، ولما تخلّت من العراق الذي أصبح تابعًا للانكليز[١]، انضمّ إلى قادة الرأي العام في العراق في مناوئته سلطات الاحتلال، وبذل النفس والنفيس في إنقاذ العراق من هذه المحنة؛ وكان من أقطاب ثورة العشرين، وكان عضوًا في الثوار، وعونًا لكبار العلماء.

أمّا الأستاذ محمد علي كمال الدين (رحمه الله)، فقد عدّ العلامة الجزائري أهمّ عضو في الطبقتين الروحية والمتجددة في النجف الأشرف اللتين تكونتا لإنقاذ البلاد من الاحتلال، وقد أعطى قائمةً بأسماء رجال الطبقتين من الثوار المطالبين باستقلال العراق وإعلان ثورة العشرين، بل كان أيام الثورة محور الحركة ومجرى التفكير للثورة والثوّار والعلماء والمجتهدين والمثقفين، يسانده في جهاده هذا الشيخ جواد الجواهري وزعماء القبائل مع أفراد الطبقة الأولى، كما أنّ الثورة العراقية بقادتها قد أسّست لها مكتبًا سريًّا في أحد دواوين الصحن الحيدري الشريف[٢]، وكان العلّامة الجزائري هو المتحدّث باسم الشعب العراقي أمام الحاكم البريطاني في عدة مواقف حاسمة، وكان قوله الفصل الذي لم يستطع الحاكم السياسي الإنكليزي مقاومته، لا سيّما في الاجتماع الأول الذي مثل به المندوبون العراق أمام السلطة البريطانية، فقد طلب الحاكم السياسي البريطاني لعموم لواء النجف والشامية، عدم الهياج والبلاد، ومنع المظاهرات، فجابهه الجزائري بقوله: «إنّ دوي المحافل في النجف دويٌّ مشروع من كلّ الوجوه، لم

١. م، ن، ص٧٩.

٢. علاء عباس، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص٧٤.

يقصد منه إثارة القلاقل وتعكير صفو السلام، فالنجف لا تريد في قيامها الجديد أنْ تجدد عهد الحركات الأولى، النجف تريد أنْ تحتفظ اليوم بأصول المدنية الحقّة، فإذا كان النداء لطلب الاستقلال، والهتاف لتأييد الحكومة العربية، مخالفًا للقوانين الدولية، فلماذا لا تعدّه الأمم الأخرى كذلك حينما يقع مثله في بلادها، وإنّي أؤكّد لحضرتكم أنّا لا نستطيع كمّ الأفواه وحبس الأصوات، كما إنّا لا نسأل عن وقوع الحوادث والاضطرابات إذا لم تحقق الحكومة تحقيق رغبات الأمة»[١].

قال الحاكم السياسي: قد يتعذر على الحكومة تحقيق أماني الأمة على الفور، فأجاب الشيخ الجزائري: «لابدّ من تنفيذ المطالب المندرجة في الطلب، وإلاّ فإنّ المغبّة سيئة والعاقبة وخيمة»، ولم تنفع كل الاحتجاجات وكذبت وعود البريطانيين وفقد الشعب العراقي الثقة بالمحتلين فصمّم العلماء والزعماء والمثقفون وأهل الرأي من الشعب على التخطيط إلى الثورة، وكان دور العلامة الجزائري مشرّفًا في الإشارة والإرادة والقيادة والاندماج الكلّي، وانتهت الثورة بتشكيل حكومةٍ عربيةٍ بإشراف دار الاعتماد البريطاني، وكان الاستقلال شكليًا، بإرادةٍ بريطانيةٍ وإدارةٍ عراقيةٍ؛ فكثرت الاضطرابات والمظاهرات والاحتجاجات، وحرّم علماء النجف الأشرف انتخاب المجلس التأسيسي، وعارضوا الحكم البريطاني المغلّف[٢].

رابعًا: الشيخ محمد جواد الجزائري:

إنّ مواقف الشيخ محمد جواد الجزائري إلى جانب مواقف غيره من الأعلام

١. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين - معلومات ومشاهدات من الثورة العراقيّة لسنة ١٩٢٠، ص٩٠-٩١.

٢. م، ن، ص٩٣.

في مدينة النجف الأشرف هي التي دفعت هذه المدينة أنْ تتخذ موقفًا وطنيًا مضادًا من الاحتلال البريطاني، لا سيّما موقف الشيخ محمد جواد الجزائري في ثورة النجف والوقوف على الإجراءات التعسفية التي قام بها البريطانيون ضد الشعب العراقي، إذ تبنّى الشيخ محمد جواد الجزائري مشروع مقاومة الوجود الأجنبي البريطاني، الذي تمثّل ب(جمعية النهضة الإسلامية) التي كان لها أثرها العملي في مقاومة الاحتلال البريطاني، كما أسس الشيخ الجزائري (نقابة الإصلاح العلمي)، إذ لم تكن فكرة التأسيس النقابي بعد منتشرة في العراق، وكان هذا التأسيس نتيجة سعة اطلاعه وجديته في إنجاز مشاريعه الإصلاحية التي أراد تحقيقها للنهوض بالواقع الديني والاجتماعي للمجتمع الإسلامي في العراق، إذ إنّ الشيخ الجزائري قد استفزته حالة الابتعاد عن الدين الحنيف بسبب تأثيرات الأفكار المادية، وتنامي النشاط التبشيري الديني مع بداية القرن العشرين، فضلًا عن انشغال الناس بمصالحهم الشخصية والدنيوية الضيقة، ممّا قد يؤثر على المجتمع، ويؤدي الى ابتعاده عن التعاليم الإسلامية، والانجرار وراء الأهواء الغربية، وهذا ما دعاه الى تأسيس النقابة.

وكان واحدًا من زعماء التيار الإصلاحي في النجف الأشرف في ذلك الوقت، كما قام مفتي الموصل بإرسال دعوة للشيخ الجزائري بعد عجزه عن القيام بمهامه الشرعية في تلك المناطق لعدم استجابة أهلها له؛ لأنّ أغلب سكان تلك المناطق كانوا على المذهب الشيعي[1]، ممّا قد يؤدّي إلى حدوث بعض المشاكل الطائفية مع بقية أهالي الموصل، الأمر الذي دفع المفتي لدعوة الشيخ الجزائري في

١. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين – معلومات ومشاهدات من الثورة العراقيّة لسنة ١٩٢٠، ص٩٨.

توجيههم للالتزام بالشريعة الإسلامية، والتمّسك بالمذهب الشيعي، والتعايش مع أهالي المناطق الأخرى من الموصل، وفي الوقت نفسه تعدّ هذه الدعوة دلالةً واضحةً على وجود علاقاتٍ طيبةٍ بين علماء المسلمين في العراق آنذاك، وتواصل مع حوزة النجف الأشرف؛ ممّا أسهم في تآخي العراقيين جميعًا.

كما أنّ الشيخ محمد جواد الجزائري بعد مشاركته في ثورة النجف لم يُؤتَ به إلى سجن الكوفة، ولم يحاكم مع الثوار، بل نقل الى السجن المدني في بغداد، فقام الشيخ محمد جواد الجزائري بتسليم نفسه في ٣٠ نيسان ١٩١٨ إلى السراي مقر الحاكم في النجف بعد فشل جميع وساطات العلماء وأُودع في سجن الكوفة[١]، وأمر الحاكم السياسي في الشامية بترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري من سجن الكوفة إلى سجن الحلة في اليوم نفسه بوساطة اللواء البريطاني في مدينة الكوفة، وأوصى بالإسراع في ترحيله من النجف بحكم منزلته الاجتماعية والدينية في المدينة التي قد تثير غضب الناس وامتعاضهم، وأنْ يكون تحت طائلة الاعتقال، وفي سجن خاص وليس في السجون الاعتيادية، وأصدر الحاكم المدني في بغداد أوامره بترحيل الشيخ محمد جواد الجزائري الموجود في السجن المدني في بغداد إلى الهند مع بقية سجناء الحرب من أهالي النجف الآخرين كأسير حرب كونه من (مثيري الفتن بالمدينة، وقد قام بكتابة الرسائل إلى القادة الأتراك والألمان) بحسب تعبيره، وعلى أثر ذلك أرسل الشيخ محمد تقي الشيرازي رسالةً إلى أرنولد ولسن الحاكم المدني في العراق في ١٣ أيّار ١٩١٨، طلب فيها العفو عن الشيخ الجزائري كونه من العلماء الأعلام وله المنزلة الرفيعة في المجتمع، فلم

١. الركابي، عكاب يوسف، دراسات وثائقية في تاريخ العراق المعاصر، ص١٠١.

يكترث ارنولد ولسن برسالة الشيخ محمد تقي الشيرازي، بل قام بإرسال كتاب في (٢٣ أيّار١٩١٨)، إلى قائد قوات بلاد ما بين النهرين في الجيش البريطاني في العراق يأمره باتخاذ الإجراءات اللازمة بترحيل الشيخ الجزائري من سجنه في بغداد إلى الهند، وقد أرسل الشيخ محمد تقي الشيرازي رسالةً أخرى الى أرنولد ولسن في ٩حزيران ١٩١٨، طلب فيها مراعاة الشيخ محمد جواد الجزائري، وإعطاء الأوامر بالرفق والمعاملة بالاحترام التي لا تقلل من مكانته، مؤكدًا له بأنّ العلماء لديهم مكانةٌ عاليةٌ أكثر من البقية عند الاعتقال[١].

وأرسل رئيس مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق رسالةً جوابيةً إلى شيخ الشريعة الأصفهاني في٢١ تموز ١٩١٨، أخبره باطلاعه على رسالته، واستجابة لطلبه أمر الحاكم المدني بأنْ يبلّغ سماحة شيخ الشريعة بأنّ الشيخ محمد جواد الجزائري ستوقع أقامته في مدينة المحمرة إلى نهاية الحرب، وصدرت الأوامر من مكتب الحاكم المدني البريطاني في العراق في حزيران ١٩١٩ إلى الضابط التنفيذي في الجيش البريطاني في المحمرة بإطلاق سراح الشيخ محمد جواد الجزائري، والسماح له بالعودة الى مدينته النجف الأشرف.

لم يكن الشيخ الجزائري عالمًا مجتهدًا ومرجعًا من مراجع الفتيا فحسب، بل كان مجاهدًا صلبًا شهدت له ميادين الجهاد والكفاح الوطني، فضلًا عن مواقفه البطولية التي اتسمت بالجرأة والشجاعة، وتحمّل التضحيات وصلابة العقيدة في مواجهة الأخطار الخارجية التي شهدها العراق[٢].

---

١. الركابي، عكاب يوسف، دراسات وثائقية في تاريخ العراق المعاصر، ص١٠٢.

٢. مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ص٣٣٨.

خامسًا: الشيخ إبراهيم يوسف الركابي:

يعُد الشيخ إبراهيم اليوسف الركابي من الشخصيات العشائرية المهمة في تاريخ المنتفك بشكل خاص، وتاريخ العراق الحديث بشكل عام، ليس لموقفه من القضايا الاجتماعية في محيطه المحلي فحسب، بل لاشتراكه في العديد من المواقف على نطاق العراق، فضلًا عن دوره الريادي في ثورة العشرين واستضافته لمؤتمر المصيفي الذي ١٩٢٠، ومن ثم انتفاضة بني ركاب عام فيما بعد، كما مثّل إبراهيم اليوسف منطقته[١]، وعلى الرغم من تعليمه المتواضع إلّا أنّه كان نائبًا نشطًا ومتواضعًا مطالبًا بحقوق الفقراء والفلاحين، وملتزمًا بحضور جلسات المجلس النيابي، وكان الشيخ إبراهيم اليوسف قد عرف بلين العريكة، ولطف المعشر وحصافة العقل وسعة الحلم، وكان يمقت الاحتلال العثماني ومن بعده البريطاني للعراق؛ لذا ناهض الحركات الداعية للوجود البريطاني وحمل لواء المعارضة لهم[٢]. توفي في عام ١٩٦٩.

شهد العراق ظهور العديد من الشخصيات العشائرية التي لعبت دورًا مهمًا في أحداث البلاد السياسية ولا سيما في النصف الأول من القرن العشرين، كما حظيت بعض الشخصيات العراقية ولا سيما العشائرية منها ذات التأثير الاجتماعي الذي انعكس بشكلٍ أو بأخر على المسرح السياسي في أواخر العهد العثماني وبداية عهد الاحتلال البريطاني ومن ثمَّ تشكيل الحكومة الملكية في العراق عام ١٩٢١ باهتمامٍ كبيرٍ من لدن الباحثين، وكان الشيخ إبراهيم من مشايخ قبيلة بني ركاب المعروفين ووجهائها كما كانت لديه معرفة تامة بشؤون العشائر، وتمتع

١. م، ن، ص٣٣٩.

٢. م، ن.

بوعي ونضوجٍ فكريّ ولباقةٍ في إدارة الحديث، وكان أحد الأقطاب الرئيسة في الاجتماع الذي عقد في منطقة المصيفي، كما أسهم في حركة الجهاد في عام ١٩١٤ – ١٩١٥، وكان له دور متميز فيها، وبعد انبثاق الحكم الوطني في العراق في عام ١٩٢١، انتخب لدورتين انتخابيتين في المجلس النيابي[١]. وكان حكيمًا عادلًا، غالبًا ما تناط له مهام حل النزاعات العشائرية، ويقول الأستاذ محمود جواد: «إنّ الشيخ إبراهيم اليوسف كان أحد الأقطاب الرئيسة في مؤتمر المصيفي، كما كان له الدور القيادي في مسيرة الجهاد ضد البريطانيين، ومن أشدّ المساهمين في الثورة العراقية عام ١٩٢٠، وكانت مدينة قلعة سكر في طليعة مدن المنتفق استجابةً لنداء علماء الدين وقادة الحركة الوطنية»[٢]، إذ تصاعد الحماس لدى بعض زعماء العشائر وشيوخها فعقدوا اجتماعًا في منطقة المصيفي عرف تاريخيًا باسم مؤتمر المصيفي بتاريخ ١٧ آب ١٩٢٠ ، وكانت المنطقة تابعة إداريًا لمدينة الرفاعي (الكرادي سابقًا)، ويقطنها الشيخ إبراهيم اليوسف الركابي، وعلى الرغم من أنّ الشيوخ الحاضرين آنذاك لم يضعوا نصب أعينهم أية خطةٍ بشأن الوجود العسكري البريطاني في المنطقة إلّا أنّ ذلك الاجتماع وما تمخّض عنه دلَّ بشكلٍ واضحٍ على النضوج الفكري والوعي السياسي والروح الوطنية لأبناء تلك المنطقة وشخصياتها الوطنية[٢].

عمد الشيخ إبراهيم اليوسف إلى قيادة الثوار، والتقدّم بهم صوب مدينة

١. الكعبي، علي صالح، نواب ألوية الحلة والديوانية والمنتفك في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي ١٩٢٥ – ١٩٥٨، ص١٥٨.

٢. الفهد، عبد الرزاق مطلك، قلعة سكر ١٨٧٣ – ١٩٥٨: دراسة في الحركة الوطنية والاجتماعية في الغراف، ص٩٣.

الناصرية، فبعد تراجع عشائر الشويلات، وموقف الشيخ خيون العبيد، كاد أنْ يحدث تراجعٌ عام لعشائر الغرّاف لا سيّما بعد تزعزع موقف بعض رؤساء العشائر؛ لذا عمد الشيخ إبراهيم اليوسف إلى معالجة الموقف؛ فطلب من بعض شيوخ العشائر المرابطة مغادرة الشطرة والتوجّه صوب الناصرية وفق ما اتفق عليه في مؤتمر المصيفي سابقًا، ويبدو أنّ المجاهدين قد امتثلوا لرأي الشيخ إبراهيم اليوسف، فتوجّهت جحافلهم باتجاه الناصرية بنحو ألفي مقاتلٍ تقريبًا، وعسكروا عند مدخل الناصرية من الشمال، وفي مزارع عشيرة آل إزيرج، ويذكر أنّ لتلك المزارع فائدة كبيرة للثوار حيث استخدمت الذرة المرتفعة للاختفاء من طائرات البريطانيين[١]، وهكذا استمرت عشائر الناصرية لمدة ستة أسابيع تقريبًا يختبئون نهارًا في البساتين من الطائرات البريطانية، ويهجمون ليلًا على قوات الاحتلال البريطاني المعسكرة في لواء الناصرية، وعمد الشيخ إبراهيم اليوسف إلى تقسيم المقاتلين إلى مجاميع، تكونت كلّ مجموعةٍ من ثلاثين مقاتلًا، وقد وضع على كلّ مجموعةٍ رئيسًا لها، بينما كانت رئاسة تلك المجاميع للشيخ إبراهيم اليوسف نفسه[٢].

١. المطوكي، أحمد خزن، الرفاعي في العهد الملكي ١٩٢١ - ١٩٥٨ دراسة تأريخية، رسالة ماجستير، ص١٢٩.

٢. ويُذكر أنّ في الليلة التي استشهد فيها عبيد الخنفر تطوعت مجموعة من المقاتلين من أقارب الشهيد، وتسللت إلى داخل مدينة الناصرية فقتلت أربعة جنود من الحرس البريطاني، وقد واصل الثوار سيرهم حتى عسكروا بالمناطق المجاورة للناصرية، وعلى الرغم من أنّ عشائر الازيرج والحسينات لم تكن جادةً في قتال البريطانيين، فإنّها لم تعرقل جهود الثوار، فأباحت لهم الاختباء بمزارعها وسمحت لهم بإطعام حيواناتهم من مزارع الذرة التي كانت على وشك النضج حينذاك. المكصوصي، شيماء طالب، المنتفق دراسة تاريخية سياسية ١٩٢١ - ١٩٣٩، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية: كلية التربية، ١٩٩٨، ص٧٩.

سادسًا: محمد رضا الشبيبي:

كان الشيخ محمد رضا الشبيبي أصدق من صوّر أحداث النجف الأشرف في الثورة على الإنكليز، وكانت ثورة النجف الأشرف ضدّ الاحتلال البريطاني على مرحلتين:

١. المرحلة الأولى: عبّر عنها بالثورة على الإنكليز في النجف، وقد تحدّث الشيخ الشبيبي عن المرحلة الأولى من الثورة بإيجاز، ولكنه غطّى أغلبَ أحداثها الرئيسية بأمانة، عبّر عنها بالثورة العظمى حينما تحدث بكل جزئياتها وتفصيلاتها حدثًا بعد حدث[١]، بما يعدّ وثيقةً تاريخيةً مهمة، وهو بهذا يرى الثورة الأولى هي العظمى في ١٩/ ١١/ ١٩١٧م.

٢. والمرحلة الثانية عبّر عنها بالثورة العظمى في النجف الأشرف، هو ما قام به الحاج نجم البقال في آذار ١٩١٨م، حين وصل السير برسي كوكس الحاكم البريطاني العام إلى النجف عصر الثلاثاء ٤/ ١٢/ ١٩١٧م، ومعه جماعةٌ من ضبّاط الإنكليز، وشرعوا بالقبض على من له زعامةٌ وكلمةٌ نافذةٌ في قومه في النجف[٢]، فتنادى الجناح العسكري لجمعية النهضة الإسلامية، وتعاقدوا على تبييت الإنكليز بقيادة الحاج نجم البقّال، فجر الثلاثاء ٦/ جمادى الآخرة/ ١٣٣٦هـ = ١٩/ ٣/ ١٩١٨م، في حدود الأربعين مسلحًا عن طريق مقبرة النجف، وحققت ثورة النجف الأشرف على الإنكليز نصرًا مستقبليًا[٣]، وكان ولسن يريد أنْ يثبت للقيادة الإنكليزية أنّه رجل الموقف رغم ما أصيب به من نكسات، فأحضر

---

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٠٤

٢. الشبيبي، محمد رضا الشبيبي، ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٨-١٩١٧م، ص٧٨

٣. م، ن، ص٧٩.

معه الميجر (نوربري) حاكم الشامية، ودعا العلماء والزعماء للحضور في سراي الحكومة، وألقى عليهم خطابًا أوضح فيه وجهة نظر البريطانيين وكانت لغته لغة تهديدٍ ووعيد، وقد أحيط السراي بالشباب النجفي الثائر لئلّا تتغلّب آراء عملاء الإنكليز - وقد أحضروهم- على آراء العلماء والمتحررين، والناس عنى رؤوسهم الطير، فنهض الشيخ محمد رضا الشبيبي فخاطب ولسن باسم العراق: «إنّ الشعب العراقي يرتأي أنّ الموصل جزءٌ لا يتجزّأ من العراق، وأنّ العراقيين يرون من حقّهم أن تتألف حكومةٌ وطنيةٌ مستقلّةٌ استقلالًا تامًا، وليس فينا من يفكّر في اختيار الحاكم الأجنبي».

وحينما انتهى خطاب الشبيبي ثارت ثائرة ولسن بما يصوره مؤرّخ النجف شيخ جعفر محبوبة - وهو حاضر - بقوله: «فغاظ هذا الخطاب البليغ الحاكم فقاطع كلام الشبيبي، وضرب بيده على المنضدة التي كانت عنده، وكلّما حاول أنْ يعرف رأي بقية أركان الجمعية ولأول مرة يدوي اسم الشبيبي محمد رضا في الأوساط دويًا تهتز له الأندية والأوساط النجفية، وكان ذلك يوم جمع الحاكم الإنكليزي الكبير الرؤساء في النجف والعشائر في سراي النجف لاستمالتهم وأخذ موافقتهم على صورة الحاكم الذي يريده الإنكليز للعراق قبل قيام الثورة الكبرى، فهاجت النجف واقتدت بها العشائر، وكان وراء هذا الهياج الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والشيخ جواد الشبيبي، ومن رؤساء القبائل كان السيد علوان الياسري، والحاج عبد الواحد الحاج سكر وغيرهما ممّن أيّدوا الشبيبي، وعدّوه ممثلًا عن النجف والعراق أجمع، وهذا ما حال بين السلطة المحتلة وبين اتخاذ الإجراءات في توقيف الشيخ محمد رضا

الشبيبي أو نفيه، وكان مستوى التخطيط متبلورًا بين العلماء والوطنيين وزعماء الفرات تهيئة الثورة، إذ بلغ الاستياء من الإدارة البريطانية في العراق أقصاه[١]، وأخذ بالتصاعد نظرًا لغطرسة الإنكليز، فكانت الاجتماعات والاحتجاجات تأخذ طابعًا استراتيجيًا ومركزيًا في التخطيط للإطاحة بالإنكليز.

وأما الهدف من حمل رسالة الشبيبي ووثائقها إلى الحجاز فهو شعور الثوار قبل أنْ يدخلوا المعركة بأنّ الإنكليز يسعون إلى تزييف حقائق الأشياء، وقد جمعوا حولهم الانتهازيين والموالين لهم والعملاء، ممن باعوا ضمائرهم، وقد شاهدوا شباب النجف الثائرين منفيين إلى الهند، والمحكمة العسكرية أعدمت أحد عشر ثائرًا[٢]، وكان هذا هدفًا مركزيًا، ويرى الأستاذ جعفر الخليلي أن الشبيبي قد وضع تقريرًا مفصّلًا عن أوضاع العراق بنفسه، وعن مهمته «بالمداولة مع الميرزا محمد رضا الشيرازي – نجل قائد الثورة– والشيخ عبد الكريم الجزائري، وعلى هذا يكون الشبيبي أول من حدّد رغبة الاستقلال، وأول من صوّر أمانيه في قيام هذه الدولة»[٣].

المطلب الثاني: عوامل نجاح الثورة وأهمّ نتائجها

المقصد الأول: عوامل نجاح الثورة

أولًا دور المرجعية في ثورة العشرين:

لم تمض سنتان على انتفاضة النجف الأشرف حتى انفجرت ثورة العشرين

---

١. الأسدي، حسن، ثورة النجف، ص ٣٦٥.

٢. محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ص ٢٥٨.

٣. الأسدي، حسن، ثورة النجف، ص ٣٧٩.

الكبرى ١٩٢٠م، إذ تصدّت المرجعية الدينية لهذا الاحتلال، وأعلنت فتاوى الجهاد ضد المحتلّين، فالمرجعية الدينية المتمثلة آنذاك بالميرزا الشيخ محمد تقي الحائري قد عبّرت عن أهداف الثورة الحقيقية، وذلك عندما حاولت السلطات البريطانية تعيين حاكمٍ بريطاني على العراق بشكلٍ ثابتٍ ودائمٍ على أنْ يكون مستشاروه من العراقيين.

أطلق الميرزا فتواه: (ليس لأحدٍ من المسلمين أنْ ينتخب أو يختار غير المسلم للإمارة على المسلمين)، ولّما تمادى الإنكليز في غيّهم ونهبهم لثروات العراق أصدر سماحته فتوى ثانية أوجب فيها على كل العراقيين استعادة ثرواتهم، وهذا نصّ فتواه: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز قبول مطالبهم)، وسار السيد فتح الله الأصفهاني على خطى سلفه في شحذ العزيمة وثبات الموقف على القتال والجهاد في سبيل الاستقلال، فحمل السلاح في ثورة العشرين في العراق، وذهب مع المجاهدين إلى ساحة المعركة، ثم عاد إلى النجف الأشرف بإلحاح من زعماء الثوار[١]، وبعد إعلان الثورة أصبحت مدينة النجف تحكم نفسها بنفسها ولا تخضع لسلطة الإدارة البريطانية إذ تقرّر في النجف تشكيل مجلسين تشريعي وتنفيذي، وتعدّ مرجعية النجف الأشرف المرجعية الأولى في المجتمع الشيعي العراقي حيثُ يمتد مقلدوها في بقاع مختلفة من العالم، وهذا جعل من المجتمع يرتبط ارتباطًا قويًا بها، ويستجيب سريعًا لما يصدر عنها.

ويؤكّد تاريخ المرجعية الدينية على أنّها ومع الظروف القاسية التي مرت بها بقيت صامدةً تواصل نشاطها وارتباطها، فقد أدّت دورًا مهما لا على مستوى

١. وميض جمال عمر نظمي، مصدر سابق، ص ٣٧٦- ٣٧٧.

الشيعة فقط، بل على مستوى المسلمين عامة وفي مدن أخرى، إذ كانَ للحوزةِ العلميةِ الدينية وتوجيهاتها الدور الأساس في انبثاق ثورة العشرين التي تعدّ أول ثورةٍ في تاريخ العراق الحديث، حيثُ شكلت منعطفًا تاريخيًا وسياسيًا واجتماعيًا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة[١]، ولا يخفى الدور المرجعي الوطني لعلماء الحوزة العلمية الشريفة في إذكاء الثورة وقيادتها وما يتصل بهذا الدور من أحداث ووقائع[٢]، إذ إنّ دور المرجعية الشريفة في أطلاق شرارة ثورة العشرين هي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكل شرائحه الاجتماعية مهتديًا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة فكانت ثورة وطنية إسلامية، إذ انطلقت المظاهرات من تجمع الأعيان والأهالي في جامع الحيدر خانة الذي شهد بداية الثورة في بغداد، ثم مدينة النجف الأشرف أفتى مجتهدو النجف الأشرف بالجهاد في بداية الحرب العالمية الأولى، بعد أن وجدوا في هجوم الإنكليز على العراق تدخلًا سافرًا على وطنهم، فانخرط الشعب في أثرهم بقيادة المجتهد العالم السيد محمد سعيد الحبوبي ومعه كتائب العلماء وطلاب النجف، وساروا مدجّجين بالسلاح إلى ساحات القتال في معركة (الشعيبة) وغيرها.

وبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق وإعلان الانتداب، دعا المرجع الأعلى الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي الشعب العراقي لمقاومة الاحتلال والثورة على الانتداب، فهب الشعب حاملًا سلاحه، فكانت الثورة العراقية الكبرى التي أرغمت المحتلين الإنكليز على إعلان الحكم الوطني، وتوفي الشيخ الشيرازي، فقاد الثورة خلفه الشيخ فتح الله النمازي المعروف بشيخ الشريعة، وكان

١. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص٩٨.
٢. مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ص٤٣١.

الاستعداد على قدم وساق لمواجهة الغزاة الإنكليز بعد قدومهم الى العراق لغزوه ١٩١٤، حيثُ قاد هذه المواجهات، واشترك فيها علماء الدين ضد الاحتلال، فشكّلت تجربةً مهمةً، ومقدمةً لمواجهات تلت ذلك، ولا سيّما في انتفاضة النجف الأشرف عام ١٩١٨، وثورة العشرين الكبرى ١٩٢٠، وتميّزت بما حملته من دلالاتٍ فكريةٍ وجهاديةٍ في مواجهة الاحتلال البريطاني لمدن البلاد، وفي مدينة النجف الأشرف أفتى المرجع الكبير محمد كاظم اليزدي بالجهاد، وانطلقت أولى الاجتماعات في النجف الأشرف أواسط آذار ١٩٢٠، إذ عقُد اجتماعٌ سريّ فيها، حضره عددٌ كبيرٌ من العلماء ورؤساء العشائر، وكان هذا الاجتماع بتوجيهٍ من المرجع محمد تقي الشيرازي ساعيًا من خلاله إلى تحقيق وحدةٍ وطنيةٍ متماسكة، قدر الإمكان أولًا، وإزالة الخلافات وتحقيق التقارب بين مختلف الطوائف العراقية بين السُنّة والشيعة خاصة، ووجّه المرجع محمد تقي الشيرازي (قدس سرّه) العديد من الرسائل إلى عددٍ من الشخصيات والوجهاء ورؤساء العشائر، ومن المذاهب الدينية المتنوعة في البلاد منها على سبيل المثال لا الحصر، رسالة في ٢٥ آذار ١٩٢٠، إلى الشيخ موحان الخير الله، أحد شيوخ عشائر المنتفك أكد فيها على ضرورة ترك الاختلاف والتعاون على البر والتوافق فيما يرضي الله سبحانه وتعالى، بدأ الحديث عن ضرورة إشعال نيران الثورة ضد الوجود البريطاني[١].

بعد ذلك توالت الاجتماعات بين رؤساء العشائر ورجال الدين، ففي ١٦ نيسان ١٩٢٠، عقد الزعيم العشائري علوان الياسري، اجتماعًا في منزله الكائن في النجف الأشرف، فطرحت فكرة الثورة المسلّحة ضد البريطانيين لأول مرة[٢].

١. الحسني، عبد الرزاق، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، ١/ ١٠٩.
٢. م، ن، ص١١٠.

ولّما فُرِض الانتداب البريطاني على العراق، بعد إعلان مؤتمر سان ريمو المنعقد بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠، كان ذلك بمنزلة صب الزيت على النار؛ إذ تم عقد الاجتماعات السرية لمواجهة الأمر بحزم، فقد انعقد في أوائل أيّار ١٩٢٠ اجتماعًا بدار السيد أبي القاسم الكاشاني، الكائن في مدينة كربلاء المقدسة، حضره عددٌ من شيوخ العشائر ورجال الدين والوجهاء من مختلف مناطق الفرات الأوسط، وقد عدّ هذا الاجتماع انعطافةً تاريخيةً مهمةً من منطلقات الثورة ضد الوجود البريطاني؛ إذ جرى بعده التباحث في أمرين مهمين: قدرات العشائر العسكرية أولًا، وإمكانية حفظ الأمن العام للبلاد ثانيًا، فاسفر الاجتماع في نهايته على موافقة المرجع بالقيام بالثورة، كما وجهت المرجعية في كربلاء المقدسة بقيادة السيد محمد تقي الشيرازي رسالةً إلى عموم أبناء البلاد، أكدت مضامينها على التآزر مع الجهود المبذولة في الكاظمية المقدسة وبغداد، حاثًّا أبناء البلاد كافة في توجيه ممثّليهم إلى العاصمة لعرض مطالبهم وحقوقهم المشروعة في الاستقلال[١]، مشددًا على أنّ ذلك واجب عليهم الاتفاق من أجل تحقيقه مع إخوانهم، إذ كان لدعوى كتاب المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي ومضامينه، استجابة كبيرة من قبل رؤساء عشائر الرميثة.

توفّي الشيخ محمد تقي الشيرازي يوم ١٧ آب ١٩٢٠، وأشار بعض إلى أنّه ربما اغتيل بالسم على أيدي عملاء لبريطانيا، وأصدر شيخ الشريعة الأصفهاني بيانًا في اليوم ذاته نعى به (عميد المسلمين) بحسب تعبيره، مؤكّدًا على ضرورة شد العزائم ومتابعة الجد والنشاط من أجل الدفاع عن البلاد، وقد تمت مبايعة السيد الأصفهاني؛ لكي يكون المرجع الأعلى لدى الشيعة بعد وفاة الشيخ محمد

١. مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ص٣٩٢.

تقي الشيرازي، وتشكّل حزبٌ سياسيّ في النجف أطلق عليه (الحزب النجفي السري)، ضمّ علماء دين وشخصيات اجتماعية معروفة وزعماء عشائر، حظي هذا الحزب بتأييد المرجعية التي نسقت معه في ظروف الساحة وأساليب التحرك[١]، وذكرت مستشارة المندوب البريطاني بيرسي كوكس حينها: «إنّ رجال الدين من العلماء في النجف وبغداد وكربلاء والكاظمية وسامراء كان لهم أثرٌ كبير على السكان لاسيّما في المدن المقدسة»، والنقطة الجوهرية والمهمة التي تمحورت حولها مجمل المطالب والأهداف لثورة العشرين التي انفجرت في وجه الاحتلال الإنكليزي بتوجيه وقيادة علماء النجف وكربلاء هي إنهاء الاحتلال البريطاني الجاثم على صدور العراقيين وإقامة حكومة إسلامية في العراق متحررة من السيطرة الأجنبية[٢]، ولتحقيق ذلك رفعوا نداء الوحدة بين السنّة والشيعة، ودعوا إلى التآزر وشدّ أواصر التلاحم بين مختلف شرائح المجتمع من عربٍ وأكرادٍ فضلًا عن القبائل العربية؛ لذلك كانت هذه ثورةً وطنيةً خالصة، صنع مقدماتها، وحرّك أغلب أحداثها علماء الحوزة العلمية، فكانت ثورة علمائية بامتياز، تخطيطًا وتنظيمًا، إذ كانت توجيهات المرجعية وفتواها هي العامل والمحرّك الأول للجماهير باتجاه المطالبة بحقوقهم المشروعة، ومواجهة مخططات المحتل، ولم تكن الثورة المسلحة هدفًا للمرجعية الدينية، بل كان هدفها الأوسع والأشمل هو الإصلاح[٣].

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥.
٢. فريق المزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٣٥٤-٣٥٥.
٣. الجبوري، كامل سلمان، النجف الأشرف والثورة العراقيّة الكبرى ١٩٢٠، ص٢٨٥.

ثانيًا: دور شيوخ وأبناء العشائر في الثورة

كان للعشيرة في مراحل مختلفة من تاريخ العراق وحتى السنوات الأخيرة من تكوين الدولة العراقية الحديثة وما بعدها، أهميةٌ استثنائيةٌ في تكوين حياة المجتمع وطبقاته[١]، بل شكّلت في بعض الأحيان كيانًا خاصًا بها، من خلال أدوارها السياسية أو علاقاتها مع بعض العشائر والكيانات السياسية الأخرى، فقد شهد العراق ظهور العديد من الشخصيات العشائرية التي أدّت دورًا مهمًّا في أحداث البلاد السياسية ولا سيّما في النصف الأول من القرن العشرين، كما حظيت بعض الشخصيات العراقية ولا سيّما العشائرية منها ذات التأثير الاجتماعي الذي انعكس بشكلٍ أو بآخر على المسرح السياسي في أواخر العهد العثماني وبداية عهد الاحتلال البريطاني، ومن ثمَّ تشكيل الحكومة الملكية في العراق عام ١٩٢١، وممّا لا يخفى أنّ للعشائر العراقية دورًا في ثورة العشرين ولها تاريخ مضيء في مواجهة الاحتلال البريطاني والدفاع عن العراق، حيث أدّت العشائر والقبائل العراقية دورًا مهمًّا في وحدة الموقف وتوحيد الشعب العراقي ضد الاحتلال الإنجليزي بمنهجٍ وطني في الدفاع عن العراق، تنفيذًا لما صدر من علماء العراق بالدفاع عن الوطن وقتال المحتل[٢].

وسبق انطلاق ثورة العشرين مقدماتٌ مهمةٌ وحراكٌ عشائريّ كبيرٌ من خلال شيوخها الذين وضعوا أياديهم ضد التآمر على العراق، كما أنّ هناك العديد من معارك التي تؤكّد هذا الدور والتلاحم العشائري الذي أثبت أنّ جميع العراقيين شاركوا في ثورة العشرين، فمنها معركة الرارنجية، وحصار الكوت، ومعارك

١. م، ن، ص٢٩٠.

٢. علاء عباس، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، ص١١٣.

العارضيات الهاشميات، ومعارك الكفل والحلة، ومعارك عشيرة زوبع وقطعهم سكك الحديد بين بغداد وسامراء، ومعارك العشائر الكردية؛ حيث لم يكن الكرد في معزل عن ثورة العشرين فقد تحرّكت القبائل والعشائر الكردية تضامنًا مع العشائر العربية[١]، واشترك الكرد والعرب في ديالى ومندلي وخانقين في القتال ضد الاحتلال الإنجليزي كما أنّ معارك تلعفر وعشائرها التركمانية كانت مشهودة وشرسة وقد هزم فيها جيش الإنكليز، وكانت الأهازيج و(الهوسات) هي تقنيات الحرب الإعلامية استعملتها العشائر كمحفّزٍ إعلاميّ واحتفظت الذاكرة العراقية بهذه الأهازيج وأصبحت تشحذ الهمم فيها وتفاخر الأحفاد بها، كما استطاع رجال عشيرة العوابد من فك الحصار البريطاني عليهم الذي وقف عاجزا أمام صمود وإيمان وشراسة وقوة وتضحيات أبناء العشائر العراقية، وعندما عجز الاحتلال البريطاني عن التصدّي لمقاومي الاحتلال في كثير من المعارك سلك طرق الغدر في محاولة لإخافة العشائر العراقية بعد أنْ يئس من شراء الذمم، فأقدم الاحتلال على ارتكاب جريمته باغتيال العديد شيوخ العشائر[٢]، وجرت عملية للتهيئة للثورة، من خلال الاتصالات والاجتماع بين الثوار وشيوخ العشائر في مختلف مناطق الفرات الأوسط، وكان ذلك الاجتماع قد جاء بناءً على توجيه المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي، إذ وجّه الشيخ الشيرازي رسالةً الى أحد شيوخ عشائر المنتفك، أكد فيها: (والواجب علينا جميعًا الاتّفاق والاتّحاد، والتواصل والوداد، وترك الاختلاف)، إذ إنّ هذه الثورة الخالدة التي قدمت فيها العشائر العراقية الأصيلة أروع صور البطولة

١. الصالحي، خضر عباس، شاعرية أبي المحاسن، ص ٧٩-٨٢.
٢. كمال الدين، محمد علي، التطور الفكري في العراق، ص٣٩.

والتضحية، إذ استطاعوا رجال العشائر والوطنيون والثوار من فك الحصار البريطاني الذي فرض عليهم، وبالرغم من زيادة العدة والعدد لدى الجيش البريطاني والفارق الكبير في إمكانات التسليح لدى جيش العدو، كلّ ذلك الفارق في الإمكانيات لصالح المعسكر الإنجليزي وقف عاجزًا أمام صمود وإيمان وشراسة وقوة وتضحيات أبناء العشائر العراقية[١].

ثالثًا: دور المثقفين

وكان لطبقة المثقّفين وطلّاب المدارس العالية دورٌ واسعٌ ومهمٌّ في نمو الروح الوطنية والقومية عند الثوّار، وحثّهم على مكافحة الاحتلال البريطاني إذ أسهموا وبشكلٍ ملحوظٍ في ظروفٍ مختلفةٍ وأوقاتٍ متفاوتةٍ في الحركة الوطنية والأحزاب السياسية، وبتأجيج الثورة والمشاركة فيها؛ ولذا كان من الطبيعي أن تستخدم سلطات الاحتلال أسلوب القوة ضد المناوئين لسياستها والمحرّضين على مقاومتها، وألقت القبض على كثيرٍ منهم، بينما التحق بعضهم بجبهات الصراع مشاركين الثوار عملياتهم القتالية[٢]، وبعضهم الآخر منهم لجأ الى النجف الأشرف وكربلاء والسماوة ومن الأمثلة على ذلك: لجوء محمود رامز، وعارف حكمت في النجف وإرسال قيادة حرس الاستقلال حسين علوان، وشاكر محمود الخبيرين بالمدفعية الى الكوفة ليشرفا على المدفع الذي استولى عليه الثوار، وبوساطته تم إغلاق الباخرة (فايرفلاي).

وحينما حرّر الثوار المدينة اتّخذوا دائرة البريد مقرًّا للقيادة ورفعوا العلم

١. الرهيمي، عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠- ١٩٢٤، ص ١٨٩.
٢. محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ١/ ٢٦٣.

العراقي، إذ كان لفئة المثّقفين العراقيين الأثر الكبير في دفع عجلة التطور الفكري والفني للصحافة عبر تاريخ النضال السياسي، تجلّى ذلك في إصدار المنشورات والصحف قبل الثورة وأثنائها، لا سيّما أنّ المحتلين حاولوا من جانبهم تجريد الفئة المثقفة الواعية من وسائل العمل الفعال بين الجماهير، ومن هذه الوسائل المطالبة بحرية الرأي وإصدار الصحف، فقد طالب رجال الحركة الوطنية منذ بداية الاحتلال البريطاني للعراق بحرية الصحافة والمطالبة بإعطاء بعض الحريات للمطبوعات رغبة بالوقوف على أفكار أحرار العراق،، وفي الاجتماع الذي عقده المندوب المدني مع رؤساء العشائر في الشامية يوم ٣ تموز ١٩٢٠ طالب الثوّار بحرية اطلاق الرأي، إذ يقول محمد مهدي البصير: «إنّ من أهم الأغلاط التي أثارت سخط الشعب على الحكومة، ووقعت في نفوس المفكرين هو وقع خنق الحرية الفكرية ومنع إصدار جريدةٍ سياسيةٍ غير الجرائد الرسمية»؛ إذ وقف بعض المثقّفين ضد السلطات المحتلة؛ لأنّهم حرموا من حرية إبداء الرأي[١]، وعندما تعذّر على الكتّاب والمثقّفين الحصول على موافقة السلطات والحكومة المحتلة في منحهم صحفًا يعبرون فيها عن آرائهم وطموحاتهم في التحرّر والاستقلال وبث التوعية بين أوسع الجماهير الشعبية، اغتنم قادة الحركة الوطنية الفرصة وطبعوا منشورات بالدعوة الى القيام بالثورة، وكانت هذه المنشورات ترسل بالليل وبأساليب مختلفة.

وكانت لفئات المثقّفين الثورين الدور الأكبر في تحريض جماهير الشعب بمختلف طبقاته على سلطة الاحتلال، وجعلت الموقف العام يبدو بوضوح

١. عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى، ص٢٧٦.

للجماهير بأنّ القوة هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة الحقوق، وقد أصدر عددٌ من المثقّفين قبل وإبّان الثورة المجلّات والجرائد، وكان لها أنْ تؤدّي دورًا كبيرًا في تاريخ العراق السياسي والفكري ومنها: مجلة اللسان إذ حصل المثقّفون العراقيون على امتياز مجلةٍ شهريةٍ صدرت في تموز ١٩١٩، ولكن هذه المجلة كانت في حقيقتها تخدم النهضة القومية بأسلوبٍ علمي أدبي، واستقبل الشباب العراقي المتحمّس صدور هذه المجلة بارتياحٍ كبيرٍ، وكانت لها مكانةٌ كبيرةٌ في نفوسهم، وعندما قررت قيادة الثورة إصدار صحفٍ ناطقةٍ باسمها لتنقل أخبار الثورة أولًا بأول، ولتردّ على محلات الدعاية البريطانية ضد الثورة أصدرت قيادة المثقّفين في النجف الأشرف (جريدة الفرات)، وأتبعتها ب(جريدة الاستقلال)، فكانت تلك الصحف تعكس تفهمًا واسعًا لتطوّرات المنطقة، كما كان لها دورٌ أساسٌ في إذكاء نار الثورة، وتنشر مفاهيمها وبثّ الحماس الثوري لدى الجماهير[١]، وبذلك كان لفئة المثقفين دورٌ بارزٌ في الثورة العراقية الكبرى من حيث:

١. دورهم في نهوض الحركة الوطنية والقومية والاستقلالية.

٢. نجحت هذه الفئة في إماطة اللثام عن حقيقة الاستعمار البريطاني، وفي فضح السياسة المالية والإدارية التي وقعت عبئًا ثقيلًا على كاهل الشعب العراقي.

٣. تمكّن المثقفون من إذكاء روح العداء لمحتل، وبيان انعدام الأواصر الشعبية والأخلاقية والدينية معه.

٤. عمل المثقفون على إرساء قاعدة تحالف وتآصر جماهيري واسع شمل العراق كلّه تحت شعاراتٍ قويةٍ واضحةٍ أصبحت الأساس المتين للثورة.

---

١. فياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص٢٧٧.

٥. نجح المثقّفون في تعبئة الجماهير والوطنيين والثوار من خلال إقامة المناسبات الدينية، واستثمارها في إلقاء الخطب الثورية لاستنهاض الهمم الشعبية.

٦. التزم المثقّفون بتحقيق لحقوق السياسية والمدنية للمواطنين، فكان التزامهم بحرية الرأي والصحافة والنشر والتأليف للأحزاب والجمعيات السياسية ضمن الأهداف التي كانت محط أنظارهم، كما لا يمكن إغفال دور المثقّفين في تحريك الثورة وقيادتها[١].

ومن المطالب التي نادى بها المثقّفون والثوّار والوطنيّون وخاطبوا بها حكومة الاحتلال البريطاني هي:

١. رفع الحواجز عن ارتباط الشعب العراقي، وتفاهمه مع الشعوب الأخرى، بحرية المواصلات وكافة المنشورات والمطبوعات؛ إذ كانوا يدركون تمامًا العلاقة الوطيدة القائمة بين التحرّر من السيطرة الاستعمارية، وبين الحصول على الحرية والديمقراطية والصحافة الحرة.

٢. التأكيد على أهميّة إقامة علاقاتٍ مفتوحةٍ ومستمرةٍ مع الأقطار المجاورة؛ لتسهيل وصول الصحافة والثقافة للسكّان، وبخاصّة في الوقت الذي بدأت فيه الإدارة البريطانية بانتهاك الحقوق والحريات، والتضييق على الناس، وعلى الصحافة، وعلى دخول صحف الأقطار العربية والمجاورة إلى العراق[٢].

رابعًا: تأثير الجمعيات والأحزاب السرية

لم تسمح السلطات الإنكليزية في العراق بقيام أحزابٍ سياسيةٍ علنيةٍ في

---

١. م، ن، ص٢٧٨.

٢. البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، ص٤٥.

البلاد؛ لذلك لجأ المعنيّون في الحركة الوطنية الى تأسيس جمعياتٍ وأحزابٍ سريّة، أهمها: فروع حزب العهد العراقي في بغداد والموصل، وحزب حرس الاستقلال، وكان الحزب الأخير في المدّة التي سبقت الدور المسلح للثورة من أنشط الأحزاب وأكثرها فعاليةً لأسبابٍ عديدةٍ منها[١]:

١. ضمّ هذا الحزب شخصياتٍ ذات شأن، ومؤيّدين مثابرين على العمل السياسي.

٢. تظهر أهمية هذا الحزب في أنّه استطاع أنْ يضمّ إليه كثيرًا من أعضاء الجمعيات الأخرى، كجمعية الشبيبة ببغداد، وأعضاء من فرع حزب العهد في المدينة نفسها.

٣. يضاف إلى ذلك أنّ لحزب الحرس صلاتٍ في المناطق العراقية الأخرى خاصّة النجف وكربلاء اللتين كانتا من أهمّ مراكز الحركة الوطنية في العراق.

و نظرا لوجود علماء الدين ذوي النفوذ الأكبر في نفوس الجمهور في تلك المرحلة في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة اللتين كانا ملتقى للعاملين في الحركة الوطنية[٢]، قاموا بتأسيس (جمعية النهضة الإسلامية)، وهي تنظيمٌ حزبيّ وضع أُسّسه علماء ومجتهدون في١١ آذار ١٩١٧، وهو اليوم نفسه الذي دخلت فيه القوات البريطانية إلى بغداد، وقد انضمّ إليها معظم رؤساء النجف الأشرف وزعماؤها المحلّيون وبعض رؤساء العشائر، وتشكّلت هيأتها الإدارية من السيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، وهما اللذان وضعا الأسس الفكرية والسياسية للجمعية، وحدّدا خطواتها العامة في التحرّك والعمل، فضلًا

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص٣٤٨.

٢. م، ن، ص٣٥٨.

عن محمد علي الدمشقي عضوًا، وعباس الخليلي سكرتيرًا عامًّا.

وقد أشارت الوثائق البريطانية إلى أنّ جمعية النهضة الإسلامية أبلغت الحكومة العثمانية برسالةٍ في: ١٢ كانون الأول ١٩١٧، عن تشكيل الجمعية وأسماء أعضائها[١]، وأنّ هدفها وعملها يتفق معهم، وسيكونون على اتصالٍ مع الضبّاط العثمانيين حين الضرورة، وطلب المساعدة على حدّ ما ورد في الوثيقة. على أنّ يقتصر هذا التعاون على الدعم التسليحي فقط، ولا يمسّ ذلك استقلال العراق مستقبلًا. ولم يكن هدف الجمعية هو نفسه هدف العثمانيين[٢]، بدليل أنّ النجفيين قاموا بطرد الحامية العثمانية من المدينة، وقد ذكرت المس بيل سكرتيرة المندوب السامي البريطاني في العراق في مذكراتها عن الجمعية ما نصّه: «اتضح لنا فيما بعد عن وجود لجنةٍ للثورة الإسلامية في النجف، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزًا لخلق الاضطرابات بين العشائر، وكان مائة أو أكثر من رجال الدين متورطين فيها».

كما كان هناك توجّهٌ إسلاميّ واضحٍ في فكر جمعية النهضة إضافةً إلى قيام علماء من الحوزة العلمية بتأسيسها وقيادتها، ويعد أوّل عمل حزبي إسلامي عرفته النجف الأشرف في قرنها العشرين، لذا يمكن القول إنّ علماء الدين في النجف الأشرف سبقوا المثقّفين الى التنظيم الحزبي الذي يهدف إلى مقاومة الاحتلال البريطاني في العراق. وتواصل أعضاء الجمعية مع علماء النجف الأشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية المقدسة، وشيوخ العشائر والأعيان، وكان هدفها تنبيه الرأي العام في العراق على مخاطر الاحتلال البريطاني، وكيفية التخلّص منه

١. عبد الأمير العكام، مصدر سابق، ص ٣٩ -٣٨.
٢. م، ن. ص ٣٩ -٣٨.

والدفاع عن الوطن. وأصبح عدد أعضائها يتزايد يومًا بعد آخر، واتّخذت من مدينة النجف الأشرف مقرًّا لها، مع اتّخاذها قرارًا بأنّها ستتخذ مقرًّا بديلًا فيما لو استولت القوات البريطانية على المدينة. نشط عمل أعضاء الجمعية وأخذوا بتنظيم اجتماعاتهم بصورةٍ سريةٍ متّخذين دار السيد محمد علي بحر العلوم في محلّة المشراق مقرًّا لهم، حيث يتوافد أعضاؤها تحت جنح الظلام للاجتماع في أوقاتٍ مختلفة، وقد اتّخذوا قرارًا للتصدي لأية صعوبةٍ تعترضهم من أجل تأدية رسالتهم الإنسانية لتخليص المجتمع من الهيمنة الأجنبية، ولو كلّف ذلك حياتهم؛ لذا أصبح للجمعية جناحان:

١. **جماعة أهل العلم والوجهاء**: ويتداولون بينهم في الدعوة إلى كشف نوايا الحكومة البريطانية، ومفاتحة زعماء العشائر غير المرتبطين بالبريطانيين بالتعاون للقيام بتلك الأعمال، وطلب المعونة منهم لدعم الجمعية.

٢. **الجناح العسكري**: الذي تألّف من ثلاث مجموعاتٍ؛ الأولى بقيادة نجم البقّال، والثانية بقيادة كاظم صبّي زعيم محلة البراق، والثالثة بقيادة كريم سعد الحاج راضي نجل زعيم محلة المشراق، وكلّ ما يقوم به الجناح الثاني يعرض على الجناح الأول لمناقشته والموافقة عليه.

وقد بعثت الجمعية رسالةً إلى الشيخ محمد تقي الشيرازي أطلعته فيها على أعمال الجمعية وتأسيسها، وكان الشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد محمد علي بحر العلوم هما المحرّكان الرئيسان لجمعية النهضة الإسلامية، وكانت ميولهما وطنيةً استقلالية، واستمرّا في كسب الأنصار، وبذلا جهدًا كبيرًا في الثورة النجفية، حيث كانا السبب الرئيس لتأييد الناس للجمعية بوصفهما عالمين

فقيهين، ويمتازان بقابلية استقطاب مختلف فئات الشعب، فكانا محور الثورة إداريًا وعمليًا[١].

خامسًا: المظاهرات

أصدر المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي نداءً موجّهًا إلى أبناء الشعب العراقي عُدّ بمنزلة فتوى دينيةٍ وقرارٍ سياسيّ، يدعوه فيه إلى النضال وتأييد المقاومة المتصاعدة ضد المحتلين الأجانب بالمظاهرات السلمية، ورد فيه ما يأتي: «أما بعد، فإنّ إخوانكم في بغداد، والكاظمية، والنجف، وكربلاء، وغيرها من أنحاء العراق، فقد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع، والقيام بمظاهراتٍ سلمية، وقد قامت جماعةٌ كبيرةٌ بتلك المظاهرات، مع المحافظة على الأمن، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إنْ شاء الله بحكومةٍ إسلامية[٢]، فالواجب عليكم، بل على جميع المسلمين، الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف، وإيّاكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإنّ ذلك مضرٌّ بمقاصدكم، ومضيّعٌ لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل، والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدًا منهم بسوء أبدًا».

ثم أعقب ذلك بفتوى صريحةٍ ذات أهميةٍ فائقةٍ في مجرى تطوّر أحداث الثورة واستخدام السلاح ضد المحتلين جاء فيها: «المطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم

١. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، ٤: ٢٨.
٢. م. ن، ص٢٩.

التوسّل بالقوة الدفاعية إذا أمتنع الإنكليز من قبول مطالبهم»[١]. وكانت هذه الفتوى صريحةً في مقاصدها، واضحةً في تأكيدها على عددٍ من النقاط المهمّة، التي تعدّ يومئذٍ حقًّا ثابتًا من حقوق الشعوب، إذا ما وجد أنّ المستعمر يرفض الاستجابة لهذا الحقّ المشروع، وأنّ تحقيق هذه الأهداف يتطلّب وحدةً وطنيةً صلدة، بعيدةً عن التفرقة القومية والدينية والطائفية، وبعيدةً عن الاختلافات الفكرية والسياسية[٢]، وعن المساس بالناس أو بمصالحهم بسبب الاختلاف في القومية أو الدين أو الطائفة أو غيرها[٣].

---

١. م، ن.

٢. عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ص٤٧.

٣. ومما يجدر ذكره هنا: أنّ الإمام (محمد تقي الحائري الشيرازي) كان واحدًا ممّن تسلحوا بوعي سياسي، وحسٍّ وطني سليم؛ استطاع أنْ يجنِّب الثورة والثوّار المزالق المحتملة، والصراعات الداخلية غير المبررة، وقبل الانتهاء من هذه الفقرة، لا بدّ من الإشارة إلى عاملٍ مهمٍّ من عوامل تحريك وتوعية المجتمع حينذاك ألا وهو: عامل الصحافة السياسية الوطنية، التي كانت تُعدُّ مرآةً عاكسةً لواقع المجتمع، وللمشكلات السياسية التي يواجهها، وللحالة النضالية التي كان عليها، كانت الصحافة قبل الثورة، تمارس دورًا يندد بالهيمنة الاستعمارية البريطانية الجديدة، ويفضح غاياتها وأغراضها، ويكشف الغطاء عن المشكلات التي بدأ المواطن العراقي يتعرّض لها في ظلّ سلطة الاحتلال البريطانية، كما كانت الصحافة تؤدّي دورًا بارزًا في بلورة أهداف الحركة الوطنية ومهماتها، وتساهم في توسيع ميادين الثورات، وتأجيج الروح الحماسية في نفوس المناضلين. وقد وجدت في مرحلة الثورة جريدتان هما: الفرات والاستقلال، اللذان لم يستمرا في العمل والنشر طويلًا، لكنّهما كانتا شوكة حقيقية في عيون المستعمرين وأعوانهم، وأداةً ثوريةً فعليةً بيد المناضلين الثوار. وكانت منبرًا لبعض قادة الثورة، الذين قاموا بالتحرير فيها، فسلطوا الضوء على المشكلات، التي كانت تواجه المجتمع، فاضحين نوايا البريطانيين السياسية والاقتصادية في العراق، ويعمقون الفجوة التي كانت تفصل حقيقةً بين الادعاء بتحرير العراق من الهيمنة العثمانية، وبين واقع سقوط العراق تحت احتلال استعماري جديد بريطاني الجنسية والهوية.، عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، ص٤٩.

سادسًا: صدور الصحف والجرائد

رافق انفجار الكفاح المسلّح لثورة العشرين صدور صحفٍ كشفت عن إيمان الثورة بوحدة العراق الوطنية، ففي النجف الأشرف صدرت جريدة (الفرات) يوم ١٥ آب ١٩٢٠ التي حثّت الثوّار في مقالاتها الوطنية على مهاجمة البريطانيين، وتدمير قواعدهم العسكرية من أجل استقلال العراق، وقد أسّسها الشيخ محمد باقر الشبيبي أحد قادة جمعية حرس الاستقلال السرية، وحلقة الوصل بين بغداد والفرات الأوسط خلال الثورة، وهي الجريدة العراقية الوحيدة التي نشرت (قرار المؤتمر العراقي) المنعقد في دار البلدية في دمشق في ٧ آذار ١٩٢٠، والذي حدّد حدود العراق الطبيعية، وأعلن استقلاله ضمن هذه الحدود الوطنية، وفي مدينة النجف الأشرف أيضًا صدرت في أواخر أيام الثورة جريدة الاستقلال بعد موافقة قائمقام النجف الذي عينه الثوار، فأظهرت تمسّكها بالاستقلال والوحدة الوطنية، وفي بغداد أصدر عبد الغفور البدري جريدة (الاستقلال) يوم ٢٨ آب ١٩٢٠، التي أعلنت في عددها الأول عن نهجها الوطني المؤمن بوحدة العراق الوطنية فقالت: «الاستقلال منشور وطني حر يخدم أفكار العرب عامة والعراقيين خاصة، يدافع عمّا يدافعون، ويطلب ما يطلبون، ولا يبالي إذا انزعج منه الخائنون، ولا ينتسب إلّا إلى الوطنية الصادقة، ويصغي لنداء الوطنيين بملء أذنيه، وأمنية الشعب هي غاية ما يتمناه»[١].

وخلال حملتها ضد البريطانيين، نشرت الجريدة سلسلة من المقالات أكّدت فيها بقوةٍ على وحدة العراق الوطنية، ودعت إلى التسامح والإخاء بين أهل

١. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، ص٢٤٣.

العراق على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وتوثيق عرى الاتحاد الوطني بينهم، فعدّ البريطانيون ذلك تحريضًا على الفتنة، ممّا أدّى إلى إغلاقها، وحكم على محرّرها وكادرها بأحكامٍ تتراوح بين ستة إلى ثمانية عشر شهرًا، كما أنّ المقالات التي نشرتها هذه الصحف ومنها مقالات وقصائد الكتاب والشعراء والمفكّرين الذين أسهموا في الثورة تظهر سعيهم لإرساء قاعدةٍ شعبيةٍ واسعةٍ تشمل العراق كله بحدوده الطبيعية؛ لتعزيز الوحدة الوطنية من أجل دعم الثورة وتحقيق الاستقلال.

وهكذا أظهرت الصحافة الوطنية أنّ الثورة هي كفاحٌ مسلّحٌ من أجل استقلال العراق ووحدته الوطنية، وتظهر محاضر جلسات المجلس كيف كانت أبيات الشعر الحماسية لإثارة النخوة الوطنية في نفوس الأعضاء، تتضمن كلمات قادة ثورة العشرين خلال مناقشات المجلس[١]، وقد أصدرت جمعية المترجمين العراقيين حديثًا (موسوعة ثورة العشرين الكبرى بأقلام أجنبية)، وذلك ضمن مشروعها لترجمة ١٠٠ كتاب، بهدف تعزيز واقع الترجمة والثقافة في البلاد، إذ تتميّز الموسوعة بأجزائها الستة عن جميع المؤلّفات السابقة التي تناولت ثورة العشرين أنّها اعتمدت على أقلامٍ أجنبيةٍ كتبت عن الثورة، مع ما وثّقه الأرشيف البريطاني، ومذكّرات الحكّام السياسيين آنذاك حول هذه الثورة التي شهدها العراق مطلع عشرينيّات القرن الماضي[٢]. وما يميز هذه المجموعة أنّها تتحدث عن ثورة العشرين بأقلامٍ أجنبيةٍ صرفة، أي إنّ الموسوعة تقدّم للقارئ والباحث ترجمةً لأفكار الكتّاب والباحثين الأجانب، وأهمّ أحداثها وأبرز قادتها ونتائجها من منظورٍ أجنبي، من دون أنْ يكون للمترجم أو لأيّ طرفٍ عراقي تدخّل

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية، ص ٩٨ -٩٧.
٢. م، ن، ص٩٨.

بما تقدّمه هذه الموسوعة من معلومات[١]، ومن خلال استقراء لهذه الدراسات التي تناولت هذه الفترة في تاريخ العراق المعاصر - وكذا المضابط والبيانات التي صدرت حينذاك والصحف التي عالجت الثورة - نجد بأنّه كان للعراقيين نصيبٌ كبيرٌ في تدوين ثورة العشرين سواء كانت على شكل مؤلفات أم على شكل أطروحات رسائل جامعية، أم مذكّرات شخصية للمشاركين فيها. كما كان للصحافة دورٌ كبيرٌ في نقل يومياتها، ونشر البيانات والتصريحات، ومن خلال الاطلاع على هذه المصادر المتنوعة، نلحظ أنّ سلطات الاحتلال البريطاني لم تكن تعتقد بقدرة العراقيين على خوض النضال ضد القوات البريطانية، ولم تكن تتوقع نشوب ثوراتٍ ضدّها أصلا[٢].

المقصد الثاني: نتائج الثورة

تعدُّ ثورة العشرين الكبرى من أهمّ الأحداث في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ إنَّ أحداثها تؤلّف مرحلةً قائمةً بذاتها إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنّها تمثّل انطلاقةً لمرحلةٍ جديدة، لا سيما أنَّ نتائج أحداثها أثّرت بشكلٍ واضحٍ في الحياة الفكريَّة

١. عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص ٢٩.

٢. حيث يرى الباحثون الأجانب أنّ الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ أجبرت البريطانيين على تغيير أساليب إدارتهم في العراق، إنّ المتتبع لأحداث الثورة العراقية الكبرى وتفاصيلها -كما يرويها الكتّاب الأجانب في الموسوعة الحالية- يتيقن أنّ ثورة العشرين ورغم سيطرة الإنجليز عليها عسكريًّا، نجحت في تحقيق أهدافها التي انطلقت من أجلها، بعكس المفهوم السائد من أنّ الثورة فشلت في تحقيق أهدافها واستسلام قادتها وهروب آخرين خارج العراق؛ إذ تعدّ ثورة العشرين من أهمّ الثورات التي هزّت الوجود البريطاني في العراق، ومثّلت بدايةً لمرحلةٍ جديدةٍ من مراحل النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني، لا سيّما أنّ نتائجها أثّرت بشكلٍ واضحٍ على الحياة السياسية والفكرية في تاريخ العراق المعاصر. م، ن، ص٣٢.

والسياسيَّة، وهي في الوقت نفسه منعطفٌ تاريخيٌّ وسياسيٌّ واجتماعيٌّ بالنسبة للشعب العراقي، وبداية التأسيس للدولة العراقيَّة المعاصرة، ولعلّنا لا نبالغ إذا ما قلنا إنّها أهمّ حدثٍ تاريخي منذ سقوط بغداد على يد المغول في العام ١٢٥٨، وما تبعه من موجات غزوٍ واحتلالٍ متلاحقةٍ امتدّت عبر قرونٍ طويلة، وكانت لثورة العشرين نتائج عديدة ومتداخلة، بنحوٍ لا يمكن الادّعاء بأنّها فشلت في تحقيق أهدافها الأساسية بالرغم من كون المعركة لم تكن في كلّ الأحوال متكافئةً أو متوازنةً بين الفريقين، والنتائج التالية تشهد على ذلك:

١. كان لفتوى الميرزا الشيخ الشيرازي صدى وتأثير كبيران على بقية المناطق في الفرات الأوسط، فقد نظّم عددٌ كبيرٌ من العشائر الفراتية عددًا من المضابط حسب توجيه وإرشاد الشيخ الشيرازي لترسل الى الحجاز، إذ كان لهذه الفتوى الأثر العميق في نفوس الأوساط الشعبيّة وأوساط الثوار والمعارضين للاحتلال الأجنبي، وتُعدّ هذه الفتوى هي الأولى خلال السيطرة البريطانيّة الفعلية على العراق حين أعطى فيها المرجع الشيرازي رأيًا علنيًّا ضد البريطانيين، وشكّلت هذه الفتوى تحدّيًا مباشرًا للاحتلال البريطاني، وعلّقت المس بيل على هذه الفتوى بالقول: «حرّم المجتهدون في كربلاء والكاظمية على المسلمين أنْ يصوّتوا لغير تشكيل حكومةٍ إسلاميةٍ، فبلغ الاختلاف حدًا أوقف سير الاستجواب»، كما علّقت على عملية الاستفتاء في كربلاء بالقول: «أما في مدينة كربلاء فقد أصدر المجتهدون فتوى بأنّ كلّ شخصٍ يرغب في حكومةٍ غير مسلمةٍ يُعدّ خارجًا عن الدين وبتأثير هذه الفتوى تردّد سكّان المدينة في إعطاء أيّ جواب»[١].

١. جدد الشيخ الشيرازي في نهاية الرسالة دعوته إلى الحكومة الأمريكية بالتدخّل لمساعدة الشعب العراقي على تحقيق طموحاته، ولم ترد الولايات المتحدة على رسالتي الشيخ الشيرازي بشكل مباشر، وإنّما

٢. في هذه الثورة قدّمت فيها العشائر العراقية الأصيلة أروع صور البطولة والتضحية، وكان من ضمنها معركة الرارنجية، التي صمد فيها الثوار بوجه أقوى جيوش العالم آنذاك، وهو جيش الاحتلال البريطاني، والفارق الكبير في إمكانات التسليح لدى جيش العدو، كلّ ذلك الفارق في الإمكانات لصالح المعسكر الإنجليزي وقف عاجزًا أمام صمود وإيمان وشراسة وقوة وتضحيات أبناء العشائر العراقية، ممّا مكّنهم من فكّ الحصار المفروض عليهم، وتحويل كفة المعركة لصالحهم، كذلك الهجوم الشرس الذي قادته بريطانيا تضمّن قصف المدن والقرى والعشائر بالطائرات والمدافع، وخلال خمسة أشهر من بداية الثورة كانت المؤن والعتاد نفدت، وبحسابات الحروب فإنّ العراقيين تكبّدوا خسائر من الناحيتين البشرية والمادية، إلّا أنّ النتيجة المباشرة للثورة كانت إلغاء مشروع بريطاني قضى باقتطاع الجزء الجنوبي من العراق وربطه بالهند، وعمل عليه ويلسون وغيره من قادة الاحتلال في العراق، وبعد الثورة تم التعجيل بالمطالبة المهمة ما أدّى لقيام الحكومة العراقية ثم استقلال العراق[١].

ردّت بشكلٍ غير مباشر؛ لأنّ اللجنة الأمريكيّة التي تم إرسالها الى سوريا لأخذ رأي السوريين حول الاستقلال أو الانتداب، قرّرت تمديد عملها ليشمل العراق أيضًا بعد سوريا، واتّضح ذلك جليًّا من مضمون الرسالة التي أرسلها (جعفر العسكري) الشخصية العسكرية والسياسيّة المعروفة، والذي كان موجودًا في سوريا الى الشيخ الشيرازي إلّا أنّ تلك اللجنة لم تصل إلى العراق ولا يعرف السبب، لكن ممكن أن يكون لبريطانيا دورٌ معرقلٌ بهذا الاتجاه عن طريق الضغط على الولايات المتحدة؛ لأنّه وفي حالة ظهور رغبة العراقيين بالاستقلال وطلب المساعدة الفنيّة والاقتصاديّة من الولايات المتحدة حصار، تكون بريطانيا قد خسرت كلّ شيءٍ لها في العراق بعد أنْ تكبدت خسائر ماديّة وبشريّة كبيرة حتى تمكّنت من السيطرة عليه.

١. ولا توجد إحصاءات دقيقة للخسائر كما يقول السيد الحسني، عبد الرزاق في كتابه، مكتفيًا بذكر الخسائر التي سجلها الجنرال البريطاني هالدين، وأفادت بمقتل ٣١٢ بريطانيًا منهم ١٩ ضابطًا، بالإضافة لجرح

٣. إنّ ثورة العشرين تعدّ أول ثورةٍ شعبيةٍ اشتركت فيها كلّ الشرائح الاجتماعية وأوّلها العشائر العراقية، وكانت عشائر الفرات الأوسط هي العمود الفقري للثورة، وشاركت فيها عشائر من الجنوب، والوسط وبغداد وأبي غريب وديالى وتلعفر، كما أنّ هذه الثورة أسّست للحراك الشعبي الفطري الذي يؤمن بالكرامة وبالاستقلال، ودلّت على أنّ المجتمع العشائري الأصيل يستند إلى وطنيّته وأرضه، وأنّ ذلك المجتمع على الرغم من بساطته، فقد كان يجنح إلى قانون وبناء دولة، فضلًا عن أنّ قادة الثورة لم يكن لديهم نفس طائفي، وأنّ هذه الانتفاضة لعشائر العراق في ثورة العشرين، كانت دليلًا على التلاحم الوطني ووحدة أبناء البلد، وهي امتدادٌ لتاريخ يعيد نفسه في تحقيق الانتصارات على أرض العراق، وطرد الإرهابيين والانتصار عليهم، كما أنّ وقفة العشائر العراقية المشرفة تجسّدت في مواقفها الوطنية، والتضحيات الكبيرة التي قدّمتها لاحقًا، ففي الزمن الحاضر تصدّت تلك العشائر وقاتلت من أجل وحدة المجتمع العراقي في كلّ أرض العراق، ومساندتها للحكومة الاتحادية والقوات الأمنية في الجيش والشرطة، وتلبية نداء المرجعية الكريمة للدفاع عن الشرف والكرامة وتحرير الأرض، إذ إنّ العشائر العراقية لبت نداء المرجعية في أول فتوى ضد الاحتلال البريطاني، وللمرة الأولى لتنطلق ثورة العشرين ضد الاستعمار البريطاني، ولبّت نداء المرجعية في الفتوى الثانية ضد الإرهاب وهو دليلٌ على انتمائها وأصالتها[1].

٤. إنّ ثورة العشرين الخالدة هي تلك الملحمة التي خطّت المسار التاريخي

١٢٢٨ بريطانيا، أما المفقودون منهم فوصل عددهم إلى ٤٥١، بينما بلغ عدد القتلى والجرحى العراقيين نحو ٨٤٥٠. محمد حسين الصغير، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف، ص ٦٧.

١. الصغير، محمد حسين، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف، ص ٦٩.

لنضال العراقيين ضدّ الطغاة، وتسلّط الضوء على رؤية الجيل المعاصر لتلك الثورة حيث رسمت طريق الحرية والدستور، كما أنّها كانت تجسيدًا حيًّا، وتعبيرًا واقعيًا عن اعتزاز العراقيين بحريتهم، فقد تحرّكت العشائر العربية الأصيلة، بعد فتوى المرجعية في النجف الأشرف، لترسم طريق العراق نحو نيل حقوقه في الحرية والدستور، وعدم الخضوع للإرادة الخارجية أو الارتهان لها، وهو ما تحقّق بفضل صمود أبناء شعبنا العراقي، الذي ألهم حينها الكثير من الشعوب العربية لتسعى نحو التحرّر من الهيمنة الأجنبية[١].

٥. لقد حقّقت الثورة إنجازًا مهما في تاريخ العراق الحديث، المتمثّل بتأسيس الدولة العراقية ولأول مرةٍ منذ سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨م، إذ بقي العراق، ولمدة قرونٍ طوالٍ مسجونًا ومكبلًا بقيود التبعية للمحتلين، وقال ناجي شوكت في مذكراته: «في اعتقادي أنّه لولا هذه الثورة العراقية الكبرى، لما استطاع العراق أنْ يحصل حتى ولا على شبه استقلال، ولا كان من الممكن أنْ يدخل عضوًا في عصبة الأمم، إلى جانب الدول العظمى، التي كانت تتمتع بهذه العضوية، فالعراق الذي أصبح أول دولةٍ عربيةٍ مستقلةٍ، واحتلّ مقامه بين دول العالم، في الوقت الذي لم يكن هناك أيّ بلدٍ عربي يحلم بالاستقلال، إنّما هو مدين لثورته الكبرى هذه».

٦. كانت ثورة العشرين تجربةً سياسيةً غنيةً للشعب في مواجهة القوات

١. قال حسن العلوي: «وكان أعظم ما أنجزته ثورة العشرين أنّها أجهزت على مشروع ولسن البريطاني المتمثّل بعدم الاعتراف بدولة عراقية أو حكم عراقي، إذ إنّ من نتائج ثورة العشرين المهمّة هو تأسيس الدولة العراقية الحديثة، والذي لم يكن يدور بخلد أيّ أحدٍ من الإنكليز سواء كان من منظريهم أو من أركان حكومتهم، قالت المس بيل في أوراقها بهذا الخصوص: لم يكن يدور بخلد أحد ولا حكومة صاحبة الجلالة، أن يمنح العرب مثل الحرية التي سنمنحهم إياها الآن كنتيجة للثورة». م، ن، ص٧٨.

البريطانية: أكدت استعداد الجماهير للقتال في سبيل الأهداف التي تسعى إليها، وعبرت في الوقت نفسه عن نشوء نوعٍ من الوحدة الوطنية بين العراقيين في مختلف مناطق العراق، كما أنّها جسّدت فكرة العيش المشترك لقرونٍ طويلةٍ في هذه المنطقة من العالم، والتي ستصبح فيما بعد العراق الحديث بحدوده التقريبية الراهنة، كما أظهرت وجود أهدافٍ مشتركةٍ إلى حدٍّ ما بين تلك القوى، وبين أبناء الشعب العراقي من عربٍ وكُردٍ وأقلياتٍ قوميةٍ ودينيةٍ، وأثبتت الثورة أيضًا أنّ زوال الاختلاف والصراع بين الريف والمدينة، وبين البدو والريف، وبين البدو والمدينة، ممكنٌ حصولُه وتحقُّقه بالصورة التي عرفتها الفترة السابقة من تاريخ العراق، وأصبح معلومًا عند الجميع أنّ اشتراك فئات الشعب، بمختلف قومياته وأديانه وطوائفه بالعمل الثوري ممكن، بل ضروري لمواجهة سلطات الاحتلال البريطانية[1].

٧. برهنت ثورة العشرين على حقائق أخرى مهمة، كما تبلورت خلال الثورة جملةٌ من الأمور المهمّة خاصّة بمستقبل العراق حينذاك، منها – على سبيل المثال – منحت الثورة المجتمع العراقي الإحساس بالكيان الواحد، الذي لم يكن واضحًا في فترة الحكم العثماني، وقد اتّخذ هذا ثلاثة اتجاهاتٍ رئيسة هي:

أ. تضافر جهود العراقيين من العرب والكُرد: إذ شارك العديد من المدن والمناطق الكُردية بنشاطٍ ظاهرٍ مهمٍّ في ثورة العشرين، ومن قبلها في ثورة ١٩١٩ في السليمانية.

ب. تضافر جهود الريف والمدينة: وقد توّجت هذه الجهود؛ بالتخلي عن الصراعات التي عرفتها الفترات السابقة.

---

١. الصغير، محمد حسين، المرجعية الدينية العليا، النجف الأشرف مسيرة ألف عام، ص٢٨٧.

ج. **تضافر جهود الفئات الاجتماعية المختلفة في النضال** من أجل الاستقلال والسيادة الوطنية، وازداد هذا الإحساس قوةً أكثر فأكثر، في الفترة التي أعقبت قيام الدولة العراقية الجديدة فكان لهذا التطور أهميةٌ بالغةٌ انعكست على اتجاهات النضال الوطني العراقي.

٨. أكّدت هذه الثورة الخالدة استعداد الشعب العراقي قدرته على خوض النضال من أجل حقوقه المشروعة، كما أنّها أحبطت المشروع البريطاني الطامع في جعل العراق جزءًا من التاج البريطاني - كما كان الحال في الهند - وعطل مشروعهم لتوطين عائلاتٍ بريطانيةٍ، وأخرى هندية بأعدادٍ كبيرةٍ في العراق. كما لو كان العراق موطنهم الأصلي[١]، وأكّد لهم أنّ بريطانية تروم جعل العراق جزءًا من الإمبراطورية البريطانية[٢].

٩. كان من أهمّ نتائج ثورة العشرين أنْ قرّرت الحكومة البريطانيّة دعوة الأمير فيصل إلى بريطانيا للتشاور في تنصيبه أو أحد أبناء الشريف حسين ملكًا على

١. ويشير (العلوي) إلى عددٍ من القضايا التي كانت تسعى بريطانيا لتحقيقها، من خلال هيمنتها على العراق، وتنصيب الشخصية المتمرسة في مكافحة الحركات السياسية في المستعمرات السير (أي. تي. ولسن) حاكمًا عامًا في العراق، قائلًا: وكان أعظم ما أنجزته ثورة العشرين أنّها أجهزت على مشروع ولسن البريطاني، المتمثل بعدم الاعتراف بدولة عراقية أو حكم عراقي، كما نقل الدكتور (عبد الرحمن البزاز) نصًا يعبّر عمّا كانت تطمح إليه، وتطمع فيه سلطات الاحتلال البريطانية وممثلها (ولسون) جاء فيه: إنّ العراق بقي قرونًا عديدةً يحكم حكمًا مباشرًا من قبل الأتراك، وليس له أنْ يتطلع إلى أن يحكم نفسه بسرعة، بل إنّ الإسراع في ذلك يضر العراق، وقد يؤدّي ذلك إلى عكس المطلوب. ثم كتب الدكتور (البزاز) قائلًا: وفي الواقع فإنّ جميع أقواله وأفعاله كانت تدلّ على عزمه على إبقاء العراق تحت السيطرة البريطانية الفعلية المباشرة مدة طويلة. ويؤيّد هذا السماح للإنكليز المقيمين في العراق بجلب زوجاتهم وأطفالهم للاستقرار فيه. وقد دخل العراق في أواخر سنة ١٩١٩ فقط، أكثر من خمسمائة شخص، مما زاد في رعب العراقيين.

٢. العلوي، طالب كامل، ثورة العشرين مدخل لفهم الشخصية العراقية، ص٥٩.

العراق، ويقول عبدالرازق الحسني: إنّه في يوم(٢١ تشرين الأول ١٩٢٠م) قرّر السير برسي كوكس مشروعه المتضمن أنْ يؤلّف حكومةً مؤقتةً، تكون كالجسر بينه وبين الشعب العراقي، وتأخذ على عاتقها تعبيد الطريق لإقامة الحكم المقرّر، دون أنْ يمّس جوهر السياسة المرسومة، وتكوّنت حكومةٌ عراقيّةٌ مؤقتةٌ على النحو الآتي: السيد عبد الرحمن النقيب رئيسًا لمجلس الوزراء، وطالب النقيب وزيرًا للداخليّة، وساسون حزقيل وزيرًا للماليّة، ومصطفى الآلوسي وزيرًا للعدليّة، وجعفر العسكري وزيرًا للدفاع، والسيد محمد مهدي بحر العلوم وزيرًا للصحة والمعارف، وعبد اللطيف المنديل وزيرًا للتجارة، والسيد محمد علي فاضل وزيرًا للأوقاف، وعزّت باشا الكركوكي وزيرًا للثقافة[١].

١٠. كشفت ثورة العشرين عن صورةٍ من صور حقيقة العقل الجمعي العراقي المعبّر عن هويّته الحضارية الوطنية من جهة، والمؤثّر على الساحة العالمية من جهةٍ ثانية، وهذا أمرٌ مهمٌّ لأنّ بريطانيا قد حكمت الهند على سبيل المثال ردحًا من الزمن، فلم يحصل معهم ما حصل مع النسيج العراقي إلّا بعد الثورة العراقية، عليه فمن الممكن عدّ ثورة العشرين مصدرًا رئيسًا من المصادر التي عزّزت روح

١. جدّد الشيخ الشيرازي في نهاية الرسالة دعوته الى الحكومة الأمريكية بالتدخّل لمساعدة الشعب العراقي لتحقيق طموحاته، ولم ترد الولايات المتحدة على رسالتي الشيخ الشيرازي بشكل مباشر، وإنّما ردّت بشكلٍ غير مباشر؛ لأنّ اللجنة الأمريكيّة التي تم إرسالها الى سوريا لأخذ رأي السوريين حول الاستقلال أو الانتداب قرّرت تمديد عملها ليشمل العراق أيضًا بعد سوريا، واتّضح ذلك جليًّا من مضمون الرسالة التي أرسلها (جعفر العسكري) الشخصية العسكرية والسياسيّة المعروفة، والذي كان موجودًا في سوريا إلى الشيخ الشيرازي إلّا أنّ تلك اللجنة لم تصل إلى العراق، ولا يعرف السبب، لكن ممكن أن يكون لبريطانيا دور معرقل بهذا الاتجاه عن طريق الضغط على الولايات المتحدة؛ لأنّه وفي حالة ظهور رغبة العراقيين بالاستقلال وطلب المساعدة الفنيّة والاقتصاديّة من الولايات المتحدة حصار، تكون بريطانيا قد خسرت كلّ شيءٍ لها في العراق بعد أنْ تكبدت خسائر ماديّة وبشريّة كبيرة حتى تمكنت من السيطرة عليه.

ومفهوم الهوية الوطنية في الشرق الأوسط، وقد حققت نتائج نوعية، كما أعطت أهمّ معيارٍ لمفهوم الشخصية الوطنية، وعلى سبيل المثال فإنّ المنصف حينما يتأمّل في هذه الكلمات الواردة في فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي، التي صدرت منه متزامنةً مع اندلاع ثورة العشرين بمدةٍ قصيرة، والتي قال فيها: «المطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز التوسّل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم»، إذ نلاحظ أنّه استعمل مفردة العراقيين؛ لأنّه وجدها أفضل مفردةٍ تلائم عقلية الشخصية العراقية، ولم يخاطبهم طائفيًّا أو عرقيًّا[١].

١١. تسبّبت الثورة بتغييرٍ جذريّ لنظرة المسؤولين البريطانيين ممّا جعلهم يعيدون لنظر في حساباتهم الاستراتيجية في العراق على إثر الخسائر الهائلة التي تعرّضوا لها، وواجهوا على إثرها انتقادات الساسة البريطانيين في مجلس العموم البريطاني، حيث صرّح رئيس وزراء بريطانيا بأنّه «لا يريد أنْ يجعل من العراق مقبرةً لجيوش بريطانيا»، فقرر حينها وزير المستعمرات البريطاني، ونستون تشرشل أنّ هناك حاجة إلى إدارة جديدة في العراق ونادى لعقد مؤتمر موسع بالقاهرة، في مارس ١٩٢١م، حيث قرّرت السلطات المحتلة أن تكون سيطرة البريطانيين على العراق من خلال وسائل غير مباشرة، وذلك عن طريق تثبيت مسؤولين سابقين ذوي علاقةٍ ودّيةٍ بالحكومة البريطانية، وبذلك قلّ وبنسبة معتدٍّ بها سقف المطامع البريطانية في العراق[٢].

١٢. كشفت الثورة عن عقلائية الشخصية العراقية في تحركاتها وبراعتها

١. العلوي، طالب كامل، ثورة العشرين مدخل لفهم الشخصية العراقية، ص٥٩.
٢. م، ن، ص٦٤.

في كيفية استثمار الظرف الملائم لكل تحرّكٍ من تحركاتها، ولا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال اختزال ثورة العشرين بأيّ قائدٍ من قادتها، أو أيّ فئةٍ من فئاتها، بل هي ثورةٌ عراقيةٌ شعبيةٌ صرفة، عكست صورةً ناصعة البياض من صور الشخصية العراقية الأصيلة ذات الخزين الحضاري الهائل، كما كشفت الثورة عن حقيقة الصراع الطائفي بأنّه فخٌ من فخاخ الاستعمار البغيض، ونزعة من نزعات الأشرار، وحفرة من حفرهم للإيقاع بين الأخوة في الوطن الواحد؛ ولذا أعرض عنه أبناء الشعب العراقي الغيارى، فمن نتائج هذه الثورة أنّها قد أعادت السؤال عن الهوية العراقية التي أصبحت مطلبًا وجزءًا مهمًّا من الوعي الجمعي العراقي؛ لأنّ خضم أحداث الثورة قد حرّك هذا البعد، وستظلّ الثورة البصمة المؤكّدة على أصالة هذه الهوية[1].

١٣. كشفت هذه الثورة أنّ العراقيين في ثورتهم الكبرى هذه لم يقوموا متمردين على النظام أو خارجين على القانون كما توهّم الإنكليز، ولم تكن نهضتهم

١. قال الدكتور الوردي، علي: «استفحل التقارب الطائفي في النصف الثاني من رمضان بشكلٍ لم يسبق في العراق له مثيلًا من قبل. وقد اتّضح ذلك بوجهٍ عامٍّ عند مجيء وفدٍ من الكاظمية لحضور حفلات بغداد، إذ كان الوفد يأتي إلى بغداد بعربات الترامواي، وعلى رأسه السيد محمد الصدر، فإذا قاربت العربات أول الدور من بغداد خرج لاستقبالها أهالي الجعيفر والسوامرة والتكارتة وغيرهم يحملون الشموع، ويهللون ويكبرون. وإذا وصلت العربات المحطة كان في استقبالها جمهورٌ غفيرٌ من أهل بغداد، وفي مقدمتهم أحمد الشيخ داود أو غيره من علماء السنّة، فيتعانق الشيخ والسيد عناقًا أخويًا كرمز للتآخي بين الطائفتين، وعند هذا يعجّ الجمهور بالصلاة على محمد وآل محمد، وكتبت جريدة (الاستقلال) في هذه المناسبة تقول: إنّ المآتم الحسينية اشترك فيها هذه السنة جميع المسلمين، فكنت تشاهد فوجًا من الشيعة، ومعه أفواج من أهل السنّة، مشعلًا للشيعة ومعه أضعافه لأهل السنّة. وفي اليوم العاشر من محرم ذهب الجميع إلى الكاظمية للاشتراك في الواقعة، وقال مايكل هدسون: «إنّ المتديّن وغير المتدين، والسنّي والشيعي، والكردي والعربي، والبدوي والحضري، أوجد أسطورة التعاون والمقاومة التي صار يعتزّ بها منذ ذلك الوقت في التاريخ الوطني القومي». مايكل هدسون، السياسة العربية، دمشق ١٩٧٧م، ص ٧٥.

المسلّحة ثورةً هوجاء لا تستند إلى عقل، ولا يسيّرها منطق، فقد ثاروا في وجه الظلم والاستبداد، وثاروا على الجور والاستعباد، فكانت شؤون ثورتهم منتظمةً انتظام شؤون الحروب الدولية، وكانت أمورهم العامة مرتبة ترتيب الحكومات الراقية، فقد جُبِيَتِ الضرائب في أيامها، وانتظمت المواصلات في أرجائها، وساد الأمان كافة الطرق المؤدية الى جبهاتها، وتألّفت حكوماتٌ محليةٌ في البلاد التي استولى الثوار عليها، وقامت هيئات علمية تشرف على شؤونها، وتموّن القائمين بها، وتجبي ما يقتضي لها من رسوم، وتوصل الأخبار اللازمة إلى من يهمه الأمر أنّى كانوا وحيثما أرادوا، فقد أنشئ في مدينة النجف الأشرف على سبيل المثال عاصمة الثورة مجلس بلدي قوامه ثمانية أشخاص لكلّ محلةٍ من محلّات المدينة[١].

واستنادًا إلى ما ذكرناه، يمكن القول بأنّ ثورة العشرين شكّلت نقطة تحوّلٍ أساس في سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط، وكانت السبب في تغيير سياستها إزاء العراق وفي قيام الدولة العراقية.

الخاتمة

في نهاية رحلتنا البحثية التأريخية القيمة هذه التي أبحرنا فيها نحو الأهداف والأسباب والثمار والنتائج التي أينعت من ثورة العشرين المباركة الخالدة. وجدنا في رحلتنا هذه أنّ من حقّ أيّ شعبٍ أنْ يفخر بماضيه المُشرّف، ويستحضره متى ما كان في استحضاره ضرورة تاريخية لشحذ الهمم واستنهاض العزائم، وتاريخ العراق مليءٌ بالشواهد المضيئة التي غيّرت مسار التاريخ، وصحّحته في كثيرٍ من مفاصله المهمة والمصيرية، ومن هذه المحطات المضيئة التي حاول الكثيرون العمل

١. العلوي، طالب كامل، ثورة العشرين مدخل لفهم الشخصية العراقية، ص٦٧.

على طمسها، أو سلبها من أصحابها وصناعها الحقيقيين، هي الثورة العراقية الكبرى ثورة العشرين التي قام بها أبناء الوسط والجنوب فهي إضاءةٌ مُشرفةٌ في تاريخ العراق الحديث، كان للثوار فيها دورٌ لا يُنكر ولا يمكن نسيانه إذ بالرغم من المفارقة التاريخية الغريبة لهؤلاء الثائرين الأبطال الذين ضحّوا بأرواحهم وممتلكاتهم وواجهوا أعتى وأشرس قوةٍ على الأرض آنذاك من أجل ثوابتهم العَقَدية والوطنية، التي لم تخضع يومًا للمساومات أو توضع في كفة التنازلات، ونيل المكاسب على حسابها، إذ إنّ ثورة العشرين الخالدة التي فجّرها أبناء الشعب العراقي ضدّ أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ وقتذاك نعني بذلك (بريطانيا العظمى).

تعدّ أول ثورةٍ شعبيةٍ ووطنيةٍ في تاريخ العراق الحديث، وقد مثّلت أحداثها مرحلةً مهمةً قائمةً بذاتها كما أنّها مثّلت انطلاقةً لمرحلةٍ جديدة، وفي الوقت نفسه مثّلت منعطفًا تاريخيًا وسياسيًا واجتماعيًا مهمًا بالنسبة للشعب العراقي، وبداية لتأسيس الدولة العراقية المعاصرة، ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا: لولا ثورة العشرين لما استطاع العراق أن يحصل حتى ولا على شبه استقلال، ولا كان من الممكن أن يدخل عضوًا في عصبة الأمم الى جانب الدول العظمى التي كانت تتمتع بهذه العضوية، فالعراق مدينٌ لثورته الكبرى هذه، وبفضلها أصبح أول دولةٍ عربيةٍ مستقلةٍ، واحتلّ مكانه بين دول العالم، في الوقت الذي لم يكن هناك أيّ بلدٍ عربي يحلم بالاستقلال، كما تكمن أهمية هذه الثورة في تضافر جهود أبناء هذا البلد من علماء ومراجع دين وشيوخ عشائر وفلّاحين وموظفين وكسبة ومن مختلف أطيافه وفئاته للوقوف جنبًا الى جنب ضد المحتل البريطاني، إذ لم يكن الأعداد لثورة العشرين حدثًا طارئًا، وإنّما جاء عن تخطيطٍ مسبقٍ مهّدت له أمورٌ

وأحداثٌ كثيرةٌ كانت بمنزلة مقدمات لها، كما أنّ علماء الدين في النجف الأشرف وعلماء ثورة العشرين في منطقة الفرات الأوسط لم يغفلوا خلال أعدادهم للثورة إخوانهم من شيوخ العشائر العراقية؛ وذلك نتيجة لما لمسوه لديهم من مشاعر وطنيةٍ جيّاشةٍ ورغبةٍ جامحةٍ للتخلّص من الأنظمة الاستبدادية، والتعسّف الشديد من قبل قوات الاحتلال، وتوضّح ذلك أيضًا من خلال تشجيعهم، وحثّهم على المساهمة في الثورة ضد الاحتلال البريطاني في محاولةٍ من قادة الثورة توسيع نطاقها الى أقصى ما يمكن الوصول إليه.

ختامًا وجدنا أنّ ثورة العشرين الخالدة بقيت تلامس الوجدان الشعبي العراقي، وتبعث في نفوس العراقيين الهمم، وتجعلهم ذائبين في المشروع التحرري الرافض لكل أنواع الاحتلال، إذ ارتبطت أهمية ثورة العشرين بالظروف التي أحاطت بها ورافقت اندلاعها، وبالنتائج التي انعكست فيّما بعد على مستقبل العراق دولةً وشعبًا.

نتائج البحث

١. ممّا وجده البحث أنّ ثورة العشرين تعدّ أول ثورةٍ شعبيةٍ اشتركت فيها كلّ الشرائح الاجتماعية، وأولها العشائر العراقية، كما أنّ هذه الثورة أسّست للحراك الشعبي الفطري الذي يؤمن بالكرامة وبالاستقلال، ودلّت على أنّ المجتمع العشائري الأصيل يستند إلى وطنيّته وأرضه، وأنّ ذلك المجتمع على الرغم من بساطته، فقد كان يجنح إلى قانون وبناء دولة، فضلًا عن أنّ قادة الثورة لم يكن لديهم نفس طائفي، وأنّ هذه الانتفاضة لعشائر العراق في هذه الثورة المباركة، كانت دليلًا على التلاحم الوطني ووحدة أبناء البلد، وهي امتدادٌ

لتاريخ يعيد نفسه في تحقيق الانتصارات على أرض العراق، وطرد الإرهابيين، والانتصار عليهم، كما أنّ وقفة العشائر العراقية المشرّفة تجسّدت في مواقفها الوطنية والتضحيات الكبيرة التي قدّمتها لاحقًا، ففي الزمن الحاضر تصدّت تلك العشائر، وقاتلت من أجل وحدة المجتمع العراقي في كلّ أرض العراق، ومساندتها للحكومة الاتحادية والقوات الأمنية في الجيش والشرطة، وتلبية نداء المرجعية الكريمة للدفاع عن الشرف والكرامة وتحرير الأرض، إذ إنّ العشائر العراقية لبّت نداء المرجعية في أول فتوى ضد الاحتلال البريطاني وللمرة الأولى لتنطلق ثورة العشرين ضدّ الاستعمار البريطاني، ولبّت نداء المرجعية في الفتوى الثانية ضد الإرهاب، وهو دليل على انتمائها وأصالتها.

٢. ممّا وجده البحث أنّ الأسباب المحركة للثورة كثيرة وإنْ اختلفت حولها الرؤى والأفكار السياسية، فقد عزاها السياسيون المشاركون فيها من خلال مذكراتهم، أو المؤرّخون والكتّاب أو الصحفيون إلى أسبابٍ عديدةٍ سواء كانت سياسيةً أم اقتصاديةً أم اجتماعيةً أم غير ذلك، ومن تلك الأسباب ما هو خارجي، ومنها ما هو داخلي مرتبط بأوضاع وشؤون العراق، ومن أهم الأسباب لقيام واندلاع الثورة هو دور الموجّهين من رجال الدين ووعاظ وخطباء وشعراء وكتاب ومعلمين وغيرهم، وبخاصة كبار المراجع الدينية، من العهود والوعود التي قطعها الحلفاء للعرب خلال الحرب العالمية الأولى، ممّا أدّى الى ضعف، ثم انعدام الثقة بتلك الوعود، وبالتالي إصدار فتاوى دينيةٍ بوجوب الوحدة الوطنية ومقاومة ومحاربة المحتل.

٣. ممّا توصل إليه البحث أنّ هذه الثورة المباركة تعدّ أول ثورةٍ في تاريخ

العراق الحديث؛ إذ شكّلت منعطفًا تاريخيًا وسياسيًا واجتماعيًا للشعب العراقي، وكانت البداية لتأسيس الدولة العراقية الحديثة، هذه الأهمية للثورة تنبع من الظروف المحيطة بها، والتي رافقت انطلاقها، والنتائج التي تمخّضت عنها، والتي كان لها أثرٌ كبيرٌ على مستقبل العراق السياسي الحديث، وتنبع أهميتها من أنّها أول ثورةٍ وطنيةٍ ضدّ المحتلّ خاضها الشعب العراقي بكلّ طوائفه، ولا يخفى الدور المرجعي الوطني لعلماء الحوزة العلمية الشريفة في إذكاء الثورة وقيادتها، وما يتّصل بهذا الدور من أحداث ووقائع، إذ إنّ دور المرجعية الشريفة في أطلاق شرارة ثورة العشرين هي حقيقة وطنية وقف فيها الشعب العراقي برمته وبكلّ شرائحه الاجتماعية مهتديًا بالقيادة المرجعية الرشيدة لعلماء الأمة، فكانت ثورةً وطنيةً بامتياز.

٤. ممّا وجده البحث أنّ المتتبع لأحداث الثورة العراقية الكبرى وتفاصيلها -كما يرويها الكتّاب الأجانب - يتيقن أنّ ثورة العشرين ورغم سيطرة الإنجليز عليها عسكريًا، نجحت في تحقيق أهدافها التي انطلقت من أجلها، بعكس المفهوم السائد من أنّ الثورة فشلت في تحقيق أهدافها، واستسلام قادتها، وهروب آخرين خارج العراق، كما أنّ هذه الثورة مثّلت بداية لمرحلةٍ جديدةٍ من مراحل النضال الوطني ضدّ الاستعمار البريطاني، لا سيّما أنّ نتائجها أثرت بنحوٍ واضحٍ على الحياة السياسية والفكرية في تاريخ العراق المعاصر.

٥. ممّا وجده البحث أنّ ثورة العشرين المباركة تمثّل رمزًا مشرقًا في تاريخ العراق الحديث؛ لأنّها قامت على أساس الوحدة الوطنية للعراق، إذ إنّ بواكير التعبير عن الشعور بالوحدة الوطنية في العراق قد ظهرت بشكلٍ واضحٍ قبل

اندلاع الكفاح المسلح للثورة، وممّا لا يختلف عليه اثنان من العراقيين على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم هو أنّ ثورة العشرين تُعدّ من بين أبرز الأحداث التي شهدتها البلاد في تاريخها الحديث، بل لعلّها مثّلت نقطة التحوّل الكبرى بين مرحلتين أو عهدين، وما ميّزها عن سواها من الوقائع والأحداث التاريخية جملة أمورٍ من أهمّها إنّ كّل مكوّنات المجتمع العراقي وشرائحه اشتركت فيها، من علماء ورجال الدين إلى شيوخ ووجهاء وأبناء العشائر، فضلًا عن النخب الثقافية والاجتماعية، من الشيعة والسنّة، ومن أبناء الوسط والجنوب والفرات الأوسط والشمال.

٦. ممّا توصل إليه البحث أنّ ثورة العشرين كشفت عن صورةٍ من صور حقيقة العقل الجمعي العراقي المعبّر عن هويّته الحضارية الوطنية من جهة، والمؤثّر على الساحة العالمية من جهةٍ ثانية، فمن الممكن عدّ ثورة العشرين مصدرًا رئيسًا من المصادر التي عزّزت روح ومفهوم الهوية الوطنية.

٧. ممّا وجده البحث أنّ ثورة مدينة النجف الأشرف قد غيّرت اتجاه البريطانيين في تعيين الحكّام، فبعدما كانوا يعملون على أساس أنْ يكون جميع الحكّام من الإنجليز كما هو الحال في الهند أصبحوا يعتقدون بضرورة تعيين الحكّام من العرب والعراقيين مع إجراء إصلاحاتٍ إدارية، فضلًا عن تغيير خططهم في أساليب الإدارة، إذ تميّزت هذه الثورة بأنّها أول مواجهةٍ وطنيةٍ ثوريةٍ ضدّ الاحتلال البريطاني، وقد أعقب ثورة النجف تطوّراتٌ سياسيةٌ مهمةٌ على الساحة العراقية تمثّلت بثورة العشرين، وكانت ثورة النجف الأشرف العامل الأساس في تنبيه العراقيين لأعمال الحكومة البريطانية التي جاءت الاستعمار

العراق، فهي تعطي صورةً واضحةً من صور المجتمع النجفي في رفضه للاحتلال والوقوف بوجهه، وتعدّ أوّل ثورةٍ في العراق تُعلن ضد الوجود البريطاني.

٨. مما نتج عن البحث أنّ أولوية ما عملت عليه المرجعية الدينية في العراق هي تحرير البلد وحفظ الشعب سواء بالواجب الجهادي الذي ظلّ ملاصقًا لها منذ تأسيس العراق وحتى وقتنا الحاضر، أو شتى الوسائل، إذ شهد العراق أحداثًا عصفت به، بدئًا من عملية احتلاله ودخول القوات الأجنبية إلى أرضه إلى وقتنا الحالي تؤكّد على حرصها الشديد على دماء أبناء العراق، ومحاولة الابتعاد عمّا يؤدي إلى إراقة قطرة دمٍ واحدةٍ من دماء أبنائه، إذ لم يكن الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين الخالدة قائد ثورةٍ فحسب، بل كان قائد دين، وعملاق فكر، ومعلم خير وفضيلة، قضى عمره الشريف في خدمة ومصالح المسلمين، برحابة صدر، وانشراح قلب، إذ كان علمًا من أعلام الاجتهاد والمرجعية في العالم الإسلامي.

التوصيات

١. ينبغي عَدّ القادة الذين كان لهم شرف السبق في هذه الثورة المباركة وإشعال نورها ولا سيّما المرجع الأعلى آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي ﷺ، وبقية العلماء الأعلام والثوار والقادة والأحرار، ينبغي عدّهم رموزًا وطنيةً وقدوةً صالحةً في مجتمعنا الإسلامي لمواقفهم النبيلة والوطنيّة المشرّفة في ثورة العشرين، وتوحيد العراقيين كافة خلف راية العراق الواحد، ومواجهة الاحتلال الأجنبي، وتحقيق الاستقلال الناجز، فهذه الرموز الوطنية سطرّت بدمائها وتضحياتها ملحمة الحرية والسيادة، وأسمعوا المحتلّ البريطاني صوت الرفض العراقي لتواجدهم،

فما أحوجنا اليوم إلى استلهام دروس التاريخ لتعزيز وحدة الشعب العراقي، وضمان حريته، وصون كرامته، والحفاظ على سيادته الوطنية، والتكاتف معًا من أجل عراقٍ حرٍّ ينعم بالتقّدم والازدهار يتمتّع فيه العراقيون – دون تمييزٍ وإقصاء- بحياةٍ حرةٍ وكريمة؛ لذلك ممّا ينبغي من باب الوفاء بحقهم تضمين سيرتهم العلميّة والجهاديّة في المناهج الدراسيّة في وزارتي التربيّة والتعليم العالي والبحث العلمي، ولا سيّما في المواد الدراسيّة التي تعنى بالتربيّة الإسلامية والوطنيّة، إذ إنّ من الأهميّة الالتزام بإرشادات المرجعيّة ونصائحها فهي تُعدّ صمام الأمان، وإرشاداتهم فيها من الحلول المثلى لمشكلات العراق المتوالية وتيسير الإصلاح الحقيقي وإعمار العراق وتقدمه.

٢. إنّ دراسة أسباب وأهداف ومجرى وقوى الثورة العراقية الخالدة، مع محاولات الاستفادة من مختلف الدراسات التي صدرت عن الثورة ومن الوثائق التي نشرت حتى الآن عن ثورة العشرين، ستساعد الباحثين بلا شك في صياغة العديد من النتائج، واكتشاف قيمٍ وثمارٍ ورواسخٍ وطنيةٍ ومبادئ ثابتةٍ يتربّى عليها الجيل القادم والناشئة، التي لا يخفى مالها من التأثير على مسيرة حياتهم الوطنية والعلمية والمهنية والمستقبلية.

٣. إنّ بلدنا العراق العزيز اليوم بأمس الحاجة لمعاني ثورة العشرين لبناء البلد على الأسس التي رسمها أجدادنا في تعزيز الوحدة الوطنية بين العراقيين؛ لذلك ينبغي دعوة الأحرار والمهتمّين بالشأن السياسي والوطني لإحياء الذكرى الخالدة لهذه الثورة الوطنية القيمة عبر الإخلاص لميراثها ومبادئها التي غرست بذور الاستقلال والوحدة والسيادة والكرامة الوطنية، فلا يجوز التفريط بأيّ ركنٍ أو جزءٍ ممّا تركته لنا هذه الثورة الخالدة التي ترفعت عن كلّ ما يفرق أو يقسّم، والتي

رسمت لنا محاور الوحدة، وأكدت لنا ضرورة الاتفاق على وحدة الهدف والمصير والدم العراقي.

المصادر والمراجع

الكتب والمصادر

١. أرنولد ويلسن، الثورة العراقية، ترجمة وتعليق: جعفر الخياط، كاليفورنيا، ١٩٧١.
٢. الأسدي، حسن، ثورة النجف على الإنكليز، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٥.
٣. آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقة في ثورة العشرين، الطبعة الثانية، ١٩٩١، شركة مطبعة الأديب البغدادية.
٤. آل طعمة، سلمان هادي، تراث كربلاء، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.
٥. ، كربلاء في ثورة العشرين، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت،٢٠٠٠م.
٦. آل وهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، مطبعة الشعب- بغداد، ١٩٣٥.
٧. البصير، محمد مهدي، تاريخ القضية العراقية، الطبعة الثانية، دار اللام- لندن، ١٩٩٠.
٨. الجبوري، كامل سلمان، النجف الأشرف ومقتل الكابتن مارشال، بيروت، دار القارئ للطباعة، ٢٠٠٥.
٩. الحبوبي، علي فاروق، محمد سعيد الحبوبي ودوره الفكري والسياسي ١٨٤٩ - ١٩١٥، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف،٢٠١٢م.
١٠. حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، التحرك الإسلامي (١٩٠٠- ١٩٥٧)، دار المنتدى، بيروت، ١٩٩٠.
١١. الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، مطبعة العرفان، لبنان، صيدا، ١٩٤٨.
١٢. ــــــــــــــ، الثورة العراقية الكبرى، الطبعة الرابعة، دار الكتب- لبنان ١٩٧٨.
١٣. ــــــــــــــ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب، مطبعة العرفان، صيدا - لبنان، ١٩٣٥.
١٤. حسين باقر مرزه، الشيخ محمد جواد الجزائري ونشاطه السياسي، بيروت، مؤسسة العارف للمطبوعات،٢٠٠٢.

١٥. الحكيم، حسن عيسى، المفصّل في تاريخ النجف الأشرف، مطبعة شريعت، قم، ٢٠١٠.
١٦. الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، القسم الأول- الحياة السياسية، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ١٩٦٥.
١٧. حميد أحمد حمدان التميمي وعكاب يوسف الركابي، السيد علوان الياسري- الزعامة العشائرية والعمل الوطني- دراسة في سيرته ومواقفه الوطنية في تاريخ العراق المعاصر، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٣.
١٨. الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، دار التعارف، بغداد، ٢٠٠٤.
١٩. الدجيلي، جعفر، موسوعة النجف الأشرف، دار الأضواء للطباعة، بيروت، ٢٠٠٠.
٢٠. الدراجي، عبد الرازق، عبد جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنيّة في العراق ١٩٠٨- ١٩٤٥، ط٢، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م.
٢١. الزبيدي، حسن لطيف، موسوعة الأحزاب العراقية، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.
٢٢. سميسم، علي، المجاهد الجزائري على صفحات الأدب، النجف الأشرف، د. م، ٢٠٠٨.
٢٣. الشرقي، علي، الأحلام، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣.
٢٤. الطاهر، عبد الجليل، العشائر العراقية، بيروت، ١٩٧٢.
٢٥. الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر، النجف، ١٩٥٤م.
٢٦. العزاوي، عباس، عشائر العراق، بيروت، مكتبة الحضارات، د. ت.
٢٧. العلوي، حسن، الشيعة والدولة القومية في العراق (١٩١٤- ١٩٩٠)، مطبعة قلم، قم، ١٩٩٠.
٢٨. علي بابا خان، دور النجف في الثورة العراقية الكبرى، لندن، مركز كربلاء للبحوث والدراسات، ١٩٩٩.
٢٩. علي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى العام ١٩٦٥، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣م.
٣٠. العنبكي، قحطان حميد كاظم، تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩١٤- ١٩٦٨، المطبعة المركزيّة، جامعة ديالى، ٢٠١٦.

٣١. الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، الطبعة الثانية، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٥.
٣٢. الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٣.
٣٣. كبة، محمد مهدي، مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨- ١٩٥٨، ط١، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥م.
٣٤. كمال الدين، محمد علي، ثورة العشرين في ذكارها الخمسين- معلومات ومشاهدات من الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠، مطبعة التضامن، النجف، ١٩٧١.
٣٥. محبوبه، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٩.
٣٦. المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة: جعفر الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.
٣٧. المظفر، كاظم، ثورة العراق التحرريّة عام ١٩٢٠، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٩م.
٣٨. المفرجي، عدي حاتم، النجف الأشرف وحركة التيار الإصلاحي (١٩٠٨- ١٩٣٢) المواهب للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥.
٣٩. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مطبعة المعارف، بغداد،١٩٧٧.
٤٠. وميض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط٢، بغداد، ١٩٨٥.
٤١. الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٦.

الرسائل والأطاريح الجامعية والبحوث

٤٢. البطيحي، هدى جاسم محمد، السيد محمد سعيد الحبوبي حياته وشعره، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦م.
٤٣. علاء عباس نعمة، محمد تقي الشيرازي الحائري ودوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق (١٩١٨ - ١٩٢٠) رسالة ماجستير، كليّة التربيّة/ جامعة بابل، ٢٠٠٥م.
٤٤. المطوكي، أحمد خزن حمود، الرفاعي في العهد الملكي (١٩٢١ - ١٩٨٥) دراسة تأريخية، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة ذي قار - كلية الآداب، ٢٠٢١.
٤٥. المكصوصي، شيماء طالب عبد الله، المنتفق دراسة تاريخية سياسية (١٩٢١ - ١٩٣٩) رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية - كلية التربية، ١٩٩٨.
٤٦. جريدة الوطن، الى روح العلامة الكبير البطل الثائر المرحوم محمد تقي الحائري(بحث)، العدد السادس عشر، السنة الأولى، بغداد، ٢٨/ ٦/ ١٩٦٦م.

البحوث والدراسات والمقالات المنشورة على شبكة المعلومات الدوليةّ(الإنترنيت)

٤٧. بحر العلوم، السيد محمد صادق، دور النجف في الثورة العراقيّة الكبرى عام ١٩٢٠ والانتفاضات الوطنيّة الأخرى، الموقع الإلكتروني: https://www.haydarya.com
٤٨. الجزائري، محمد جواد جاسم، الشيخ محمد جواد الجزائري وأثره في ثورة النجف عام ١٩١٨ دراسة في الوثائق البريطانيّة، جامعة الكوفة/ كليّة الآداب.، الموقع الإلكتروني: .http://arts uokufa.edu.iq
٤٩. حمد جاسم محمد، المرجعيّة الدينيّة والثورات في العراق، ثورة العشرين نموذجا، مركز الفرات للتنميّة والدراسات الإستراتيجية: www.fcdrs.com
٥٠. دور المرجعيّة الدينيّة في ثورة العشرين، الموقع الإلكتروني لوكالة يقين للأنباء بتاريخ ٣٠ حزيران ٢٠١٧م https://yaqein.net/reports
٥١. الغانمي، باسم أحمد هاشم، دور رجال الدين الشيعة - في الأحداث السياسيّة العراقية (١٩٠٠-١٩٢٠) الحلقة الأولى، على الرابط: الموقع: http://fcdrs.com
٥٢. محمد علي جواد تقي، محمد تقي الشيرازي القيادة المرجعية للثورة، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث، منشور بتاريخ ٢٨ أيلول ٢٠١٥م على الموقع الإلكتروني: http:// shrsc.com